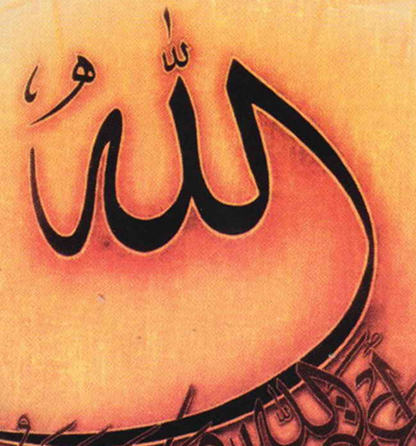
# لكيلا تتنازعوا


آية الله العظمى الإمام

السيد محمد الحسيني الشيرازي

(أعلى الله درجاته)


مؤسسة الوعي الإسلامي

دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع بيروت-لبنان




لكيلا تتنازعوا

# لكيلا تتنازعوا

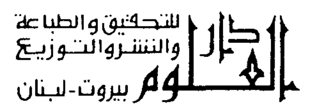
تحقيق

صاحب مهدي

آية الله العظمى

الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي

«أعلى الله درجاته»




مؤسسة الوعي الإسلامي

لبنان - بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾

سورة الأنفال: الآية ٤٦

# في البدء كانت كلمة



الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق وخاتم المرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين .

قال ﷻ : ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1] .

حينما سمع الحسن البصري بمقتل طاغية العراق في زمن الأمويين الحجاج بن يوسف الثقفي سجد لله شكراً ، وقال : «اللّهم كما أمتّه فأمت عنّا سنته» .

واليوم وبعد زوال أعتى نظام وأكبر طاغية عرفه التاريخ المقروء في العراق صدام التكريتي والذي يسمّيه البعض بمجمع الطواغيت ، الذي

(١) سورة التوبة : الآية ١٠٥.

أهان المقدسات ، وسحق الكرامات ، وسلب الشعب حقوقه ، وقتل من شيعة العراق صبراً خمسة ملايين وثمانمائة ألف إنسان عدا من زجّهم بحروبه ومعاركه مع دول الجوار ، والذي لم يبنِ للعراق سوى المقابر الجماعية والسجون والمعتقلات . علينا أن نعمل سوياً لإماتة بدعه بفضحه ومن آزره وناصره في مسيرته الإجرامية من دول ومنظمات وأزلام عبر تدوين جرائمهم وطغيانهم ونشرها عبر كافة وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية ، وبذلك نكون قد أوجدنا الوعي في الشعب حتى تكون له حصانة لعدم تكرار مآسيه ، ونكون قد أدينا ما علينا من مسؤولية تجاه الأجيال والتاريخ والحق والحقيقة ، ونكون قد أوجدنا وسيلة ردع إضافية أمام الحكام الظلمة على أن ما يقترفونه سيكون مآله الكشف والفضح ، فلو عمل الشعب العراقي في الماضي على فضح الحكومات الاستبدادية لما وصل الأمر إلى تسلط صدام وزمرته ، ولو لم يُفضح اليوم صدام ونظامه فسيأتي هدّام في المستقبل .

ويقترح في هذا الصدد تحويل بعض السجون ووسائلها التعذيبية وملفاتها إلى متاحف ليطّلع عليها العالم ، وأن تصدر جريدة عراقية بالتعاون مع منظمات حقوق الإنسان هدفها استقصاء جرائم النظام البائد ، وأن تحوّل المقابر الجماعية في محافظات العراق إلى نصب تذكارية يلاقون الاحترام والإجلال .

علينا أن نقبر ما جاء به صدام من أفكار ومفاهيم كالقومية والعنصرية والطائفية وحكومة الأقلية وما مارسه من نظام الحزب الواحد والحاكم الواحد وما عمله من تقسيم للمواطنين من الدرجة الأولى والثانية والثالثة ، وعلينا أن نزيل من نفوسنا أدران التفرد والعنف والسلوك الانتقامي في التعامل ، هذه الأدران التي أوجدتها جمهورية الخوف ، حيث حولت الناس إلى أذلاء يتكالبون على النفاق وعلى إيذاء بعضهم البعض وعلى الانتقاص من القيم الأخلاقية والاجتماعية فضلاً عن الإنسانية .

إنّ إماتة بدع صدام تحتاج إلى إزالة كوابيس التقاعس والتماهل واللامبالاة التي منينا بها ، ونحتاج إلى جمع الهمم والسواعد وإلى وحدة الصف والهدف ، ومسؤوليتنا الشرعية والعقلية تحتم علينا العمل سوياً من أجل عراق استشاري ـ ديمقراطي ـ يضمن حقوق الأكثرية ، ويحمل القيم الإسلامية ومبادئ أهل البيت عليهم السلام مع الحفاظ على حقوق الأقلية ، وهذا يتطلب منّا ما يلي :

١ـ نبذ الخلافات والصراعات الداخلية . قال تعالى : ﴿**وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ**

(١) سورة الأنفال : الآية ٤٦ .

**جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾**[1] وأن نركّز على القواسم المشتركة ، فإنّ : (**المسلمون إخوة ، يد واحدة على من سواهم ، تتكافأ دماؤهم ، يسعى بذمتهم أدناهم ، ويرد عليهم أقصاهم**)[2] كما جاء في الحديث ، وأن نعي أساليب الاستعمار وخططه ودسائسه في تمزيق الشعوب والمجتمعات .

٢ـأن نشخّص أعداءنا من الدول التي لا ترغب بقيام حكومة ديمقراطية في العراق معللين ذلك بسيطرة الأكثرية في الحكم ، وهذا ما عبر عنه وزير الخارجية الأمريكي في بعض تصريحاته ، ويسعى له بعض الحكام من تحركات مشبوهة .

٣ـأن نحدد الهدف ونتمحور حوله حتى تتضح لنا الرؤية في العمل ، ونعرف ما ينبغي وما لا ينبغي .

٤ـأن نلتف حول قياداتنا الدينية والوطنية الصالحة والمتقية التي يهمها مصلحة العراق وشعبه .

٥ـأن نعمل جميعاً وباستمرار وفاعلية وبالطرق السلمية من أجل نيل الحقوق ، فالاعتقاد بالحقوق دون السعي لها لا يحقق المنال ، وهذه

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٠٣.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج١٧ ص٢٨١.

سنة الأنبياء والمرسلين والصالحين.

٦ـأن تكون أعمالنا نخبوية ومرّكزة هدفها تنمية القدرات العلمية والتنظيمية والوحدوية للجماهير.

٧ـأن نجعل لأعمالنا ضوابط وأطراً ، فبدون ذلك مآلها التصادم والتناحر ، ومن تلك الضوابط احترام حقوق الآخرين وعدم السعي لتحجيم أو إسقاط أي طرف وترك حالة الاستعلاء والاستبداد ، فإنّ : **(من استبدّ برأيه هلك)**[1] ؛ كما قال الإمام علي عليه السلام .

٨ـأن نعمل من أجل صياغة دستور تقوم به لجنة من الأخصائيين الدينيين والأكاديميين من ذوي الاختصاص ، يراعي حقوق الأكثرية والدين الإسلامي والعرف الاجتماعي والخصوصية العراقية ، وعرض هذا الدستور على الاستفتاء العام على أن يكون بين فترة تحضيره والاستفتاء عليه فترة زمنية يتخللها إقراره من المراجع العظام وعقد مؤتمرات تقييمية من قبل النخبة العراقية.

٩ـأن نفهم البعد الديمقراطي وحقوق الأكثرية ، وأن نطالب بتلك الحقوق ، ويتجسد ذلك بأن يكون الرئيس مسلماً ومن الأكثرية ، وكذا الوزارات والوظائف الحكومية والجيش ومجالس البلدية والمناهج

(١) نهج البلاغة ـ قصار الحكم: ص٥٠٠ ح ١٦١ ، خصائص الأمة: ص١٠٨.

التعليمية والتربية الدينية والأوقاف وألف شيء وشيء. وبغير ذلك نكون قد كررنا التجربة المأساوية للماضي من بعد ثورة العشرين من تسلط المتعصبين من الأقلية على البلاد والتحكّم بمصير غيرها، ويكون مصيرنا كما قال الشاعر أحمد شوقي:

**قد أردنا من المغانم حظاً فوردنا الوغى فكنا الغنائما**

١٠ـومن المناسب هنا أن أدون هذه الملاحظة: أن ما يفعله البعض من تقسيم السلطة على أساس نسبة الطوائف وبعض القوميات في آن واحد فيه التفاف لهضم حقوق الأكثرية؛ لأن المسلمين في العراق إما شيعة أو سنة، وتقسيمهم كذلك إلى أكراد وتركمان، وتَرْكُ العرب من التقسيم القومي، فإن الأولين ـ الأكراد والتركمان ـ يدخلون في التقسيم الأول، فالمفترض هو إعطاء الشيعة حسب نسبهم ٨٠٪ سواء كانوا عرباً أو أكراداً أو تركماناً، وإعطاء السنة نسبة ١٥٪ سواء كانوا عرباً أو أكراداً أو تركماناً.

١١ـأن يتقيد الرئيس المنتخب عبر استفتاء عام لكل عراقي صوت واحد ببرلمان حر منتخب، وأن تكون السلطة بالتداول عبر المنهج السلمي بعيداً عن الانقلابات العسكرية على أن يكفل الدستور ذلك.

١٢ـأن نعمل من أجل إيجاد قوانين تحقق الاستقلال القضائي في كل أبعاده ومفاهيمه الإدارية والمالية والفنية كما كان في زمن الإمام علي عليه السلام،

وأن يكون هذا القضاء قادراً على حماية المواطن وحرياته وحقوقه المدنية والسياسية .

١٣ـأن نعمل من أجل خلق رأي عام عبر حرية الصحافة ـ السلطة الرابعة ـ وحرية تشكيل التنظيمات والأحزاب ، وحرية التظاهر والاحتجاج ، وحرية عقد المؤتمرات والندوات لأجل إخراج العراق من واقعه المأساوي ونشر الوعي والتثقيف الديني وتحديد مصير الشعوب بنفسها دون تدخل القوى الأخرى .

١٤ـأن نعمل لوضع خطة اقتصادية متكاملة ، تكفل لنا الاكتفاء الذاتي وإزالة التبعية للغرب .

١٥ـأن نسعى جميعاً لتقوية الحوزات العلمية والمؤسسات الدينية التي سعى النظام السابق للقضاء على رموزها وتصفيتها .

وهذه الأمور وغيرها قد أكد عليها الإمام الشيرازي ﷺ في لقاءاته وحواراته وخطاباته وكتاباته ، وكان يسعى دائماً لإزالة الاستبداد من أرض المقدسات والحضارات ، صحيح أنه ﷺ انتقل إلى جوار ربه ولكن كتاباته بين الأيدي وأمانيه واضحة فاسعوا لتحقيقها لتنالوا الاستقلال والسيادة وتورثوا أبناءكم عزّاً وسعادة .

وأود أن أنشر إحدى الرسائل التي بعثها إلي قبل خمس سنوات من سقوط الطاغية وأنا في المهجر والتي هي بمثابة رسالة لكل عراقي وكل

مسلم يحترم مقدساته وقيمه .

من جوار عقيلة الهاشميين عليها السلام

صاحب مهدي

جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ

نص الرسالة المعنونة بقلم سماحته قدس سره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحجة الاجل الحاج الشيخ صاحب دام تأييده

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ادام الله عزكم ولطفكم وبقائكم

ان مشكلة العراق وبعض البلاد الاسلامية الآخر الاستبداد و

قد حلّت البلاد الغربية قبل قرنين هذه المشكلة بكتابة (٢٠) الف

كتاب حول التعددية كما حلّت الهند ذات الف مليون واليابان

ذات (١٢٠) مليون المشكلة بنفس هذه الوسيلة واللازم علينا

ان ندخل البيوت من ابوابها والاشهر الستة (رمضان و

ايام الحج والى صفر) خير موسم لتحريض الناس بطبع ونشر

هذه الكتب التعددية وانتم بحمد الله ممن رزقه الله سبحانه الوجاهة

الكاملة والوجاهة من الرزق (ومما رزقناهم ينفقون) فاذا

اهتممتم بهذا الامر لعل الله يحدث بعد ذلك امراً وارجو دعائكم

وادعو لكم .

محمد الشيرازي

# مقدمة الناشر



الحمد لله ربِّ العالمين ، والصّلاة والسّلام على أشرف الخلق محمد ﷺ وعلى آله الطاهرين .

وبعد . . ممّا يؤسف له حقاً حال العالم الإسلامي اليوم بسبب الهيمنة والتسلط الاستبدادي الذي يخيّم على ربوعه ، وما نجم عن ذلك من تمزق وصراعات وانقسامات ، طالت كتلته الجغرافية والاجتماعية .

فأنظمة الحكم المنحرفة ، والمتسترة بشعارات الوطنية والقومية ، وما أشبه ذلك ، إنما جاءت واستمدت سياستها الجائرة ، من نفس سلوك وسياسات تلك الأنظمة التي استعبدت المسلمين باسم الإسلام ، لتخلق عبر كل تلك القرون الطويلة من التاريخ الإسلامي مناهج الظلم والتفرقة والتجزئة ، ولنا في حكام بني أمية وبني العباس وآل عثمان ، وصولاً إلى صور الاستعمار الحديث ، وصنيعته من الأنظمة الحالية ، أمثلة تشهد على انحرافها وممارساتها الظالمة حيال الشعوب المتعاقبة .

ولا يفوتنا من أن الجهل وعدم الوعي من لدن قطاعات واسعة من أبناء الأمة ، وفي خطط الاستعمار والحكام الظلمة ، كانا من جملة عوامل ، ساهمت بوضوح في تمكين الطغاة من التلاعب بمقدّرات الشعوب المسلمة ، والتحكم بمصائرها وفق نزواتهم ونزعاتهم ، والسير بها بعيداً عن خط الإسلام الصحيح ، ومبادئ رسالته السمحاء ، وسنة نبيه الكريم محمد صلى الله عليه وآله وتعاليم أهل بيته عليهم السلام .

إن الاستعمار لعب دوراً واسعاً في تمزيق وحدة العالم الإسلامي ، على الصُّعد الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وإضعافه كقوة عالمية ، تقف بالمرصاد لمخططاته ومشاريعه التوسعية العدوانية .

ولا سبيل للمسلمين للرجوع إلى عزِّهم ومجدهم العريق إلاّ بالعودة إلى الإسلام الصحيح والانتهال من ينابيع المعرفة والعلم التي أفاض بها القرآن الكريم وما رسمته السيرة النبوية الشريفة وأحاديث ووصايا أئمة أهل البيت عليهم السلام .

وأول ما ينبغي على المسلمين فعله هو الوحدة ، روحاً ومضموناً ، وتجسيد شعاراتها بالعمل على أرض الواقع ، فالوحدة أساس القوة والمنعة ، قال جل جلاله : ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا**﴾[1] .

وقد دعا الإمام الشيرازي قدس سره في هذا الكتاب المسلمين للعودة إلى

---

(1) سورة آل عمران : الآية ١٠٣.

جوهرهم وفطرتهم الإيمانية وروح الإسلام ، ولأهمية هذا الموضوع ومدى اتصاله بحياة المسلمين ومستقبلهم وما يمر به الشعب العراقي اليوم من ظرفٍ حساس ، الذي يحتاج فيه إلى بناء مجتمع متماسك قوامه التعايش والتآلف ووحدة الصف والهدف واتخاذ الخيار السياسي الذي يسعى الاحتلال إلى القضاء عليه ليقضي على قيمنا ووجودنا ؛ فقد ارتأينا طبع هذا الكتاب القيّم ، عسى أن تنتفع به الأمة ، ويسترشد به المسلمون.

والله ولي التوفيق ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

مؤسسة الوعي الإسلامي

بيروت ـ لبنان

# مقدمة المؤلف

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصَّلاة والسَّلام على محمدٍ وآله الطاهرين .

وبعد : فقد وجدت في حكايات الذين تنازعوا ففشلوا ، وحكايات الذين توحّدوا وتعاونوا فتقدّموا دروساً وعبراً لمن يريد التقدم ويخشى التأخر ، ووجدت في قصص هؤلاء وأولئك عاملاً مهماً في التقليل من الخصومات والنزاعات بين أبناء الأمة الواحدة ، تلك المنازعات التي انتشرت وتعاظمت حتى بلغت حالة خطرة في النصف الثاني من هذا القرن[1] ، وقد تفشّت حتى عمّت الجميع من حاكمٍ ومحكومٍ ومؤسسةٍ وجماعةٍ وجمعيةٍ ـ إلاّ من عصم الله ﷻ ..

ولأهمية هذا الموضوع فقد قرَّرتُ أن أكتبه على شكل كتاب ؛ لتعمَّ الفائدة الجميع ، علَّهُ يساهم في فتح عيون البعض على حقائق الأمور

---

(١) حيث كتب سماحة الإمام الراحل ﷺ هذا الكتاب قبل ثلاثين سنة وبالتحديد سنة ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م).

فيتركوا التنازع ويأخذوا بوحدة الصف .

فنحن لا نريد بهذا الكتاب أن ننهي الخلافات والنزاعات لأنها من طبيعة البشر ، بل قال بعض العلماء : «مثلما لا تستطيع أن تجد إنسانين متشابهين في كل التفاصيل ، كذلك لا تجد إنسانين متشابهين في الآراء ووجهات النظر ، وقلّما تجد إنسانين على رأي واحدٍ» .

وهذا لا يعني أنَّ الاختلاف أدّى بهما إلى حدٍّ الخصومة والنزاع ، فليس المقصود بتعدد الآراء تعدد النزاعات . وليس المقصود أيضاً دعوة أصحاب الآراء المختلفة أن يتركوا آراءهم ويأخذوا بآراء الغير ـ بصورة مطلقة ـ فليس كلامنا في هذا الاتجاه بل ما نريد قوله هو :

١ـاجتهدوا لتحرّي الحقيقة من بين الآراء المختلفة والمتناقضة .

٢ـوإذا تمَّ التمسك برأي ما ، بعد طول اجتهاد وعناء ، فلا يعني اختلاف الرأي انتشار البغضاء والعداء .

٣ـوإذا أظهرتم العداء ـ لا سمح الله ـ فيجب أن يكون لهذا العداء حدٌّ معقولٌ ، فالشيء إذا جاوز حدَّه ، انقلب إلى ضدِّه .

٤ـثم إذا أظهر أحد الطرفين العداء فلا موجب للطرف الآخر أن يردّ على العدوان ؛ لأنّه الأفضل في قانون الإسلام : ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾[1] ، وأيضاً جاء في القرآن

---

(١) سورة فصلت : الآية ٣٤.

الكريم : ﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١] .

فالموقف الإيجابي سيقلل من المشكلات الناجمة عن الصراعات الاجتماعية وسيقلل من نتائج المواجهة بين الأطراف المتناقضة .

٥ـ وليعلم الذي يظهر العداء ويغالي فيه بالاتهام والكيد أنّه أولاً : سيؤدي بعمله هذا إلى تحطيم نفسه ، وبعد أن يتحطّم هو ، تتحطّم المجموعة التي ينتمي إليها ، ويكون تحطيمه لنفسه أكثر من تحطيمه للمجموعة التي ينتمي إليها .

ثانياً : الطرف الثالث الذي يستفيد من صراعات الطرفين هو الغالب والرابح ؛ لأنّ قواه مكتملة بعد أن تهشّمت قوة الطرفين .

وحسب قاعدة التنازع ، فإنّ الأقوى سيتغلّب على القوي .

وقد ذكر الشاعر الإيراني هذه الحكمة ، ما ترجمته :

**سرق لصان ذهباً فتنازعا عليه ... وبينما كانا مشغولين بالنزاع**
**تدخل الطرف الثالث واغتنم ... الفرصة فحصد الذهب وذهب[٢]**

وعلى من يريد التنازع أن يطرح على نفسه هذا السؤال ؛ ما هو مصدر التنازع ، هل هو الجهل أو الكبر أو الحسد ؟ .

---

(١) سورة التغابن : الآية ١٤ .

(٢) وأصل الشعر بالفارسية :

دو نفر دزد زري دزديدند ... سر تقسيم بهم جنكيدند
آن دو بودند جه كرم زدوخرد ... سومي آمد وزد رازدوبرد

إذ ربما كان مصدر النزاع هو الجهل ، كأنْ يتصور الإنسان أنّ قرينه قد التفّ حوله الناس أكثر من التفافهم حوله ، ويتسبب ذلك تبطين الحقد في نفسه فيبدأ بمخاصمته وإعطاء مبرر غير حقيقي للمخاصمة .

وتنتهي هذه الخصومة إلى نتائج غير محمودة على الشخص نفسه ، أما القرين فلا يتأثر كثيراً بهذه الخصومة .

ولربما كان السبب من وراء الخصومة الشخصية الكِبَر ، مثلاً عندما يتكبَّر إنسان عن طاعة مَنْ فوقه ، وحيث لا يجد سبيلاً للفرار من واجبه يلتجئ إلى المخاصمة ليحطّ من قدره ، ويبرِّر عند المجتمع عصيانه له .

ولربما يكون المنطلق نحو الخصومة هو الحسد ، فقد يحسد إنسان إنساناً آخر ، أعلى شأناً منه ، وتصبح النتيجة هو حدوث الخصومة بين الحاسد والمحسود ، وإذا سألت أحدهما لأي سبب تختصمان؟ ، فإنك لا تشعر بوجود سبب معقول للاختلاف سوى الحسد ، والحسد يضع صاحبه ؛ لأنه سيجعله صغيراً في أعين الآخرين .

من هنا ، فإذا كان منطلق النزاع هو الجهل ، يجب أن يكفّ عن ذلك ؛ لأن نزاعه لا مورد له ، وهو هواءٌ في شبك .

وإذا كان منشأ النزاع هو الكِبَر ، فليعلم أن التكبر مذموم في الشريعة ، ولذا يجب الابتعاد عنه .

وأما إذا كان الباعث هو الحسد ، فليكن في علمه أن «الحسود

لا يسود»[1] وأن «العامل بالحسد مصيره النَكَد»[2].

وقد شاهدت في حياتي هذه الأقسام الثلاثة من أقسام التنازع، وشاهدت نهاية تلك المنازعات التي كانت تنتهي إلى لا شيء، ولم يكن من نصيب أصحابها سوى الخسارة والفضيحة.

ولم يكن قصدي من هذه النتيجة التي انتهيت إليها القول: بأنّ كل اختلاف منشأه غير شريف، ومردُّه إلى العوامل النفسية الثلاثة التي ذكرتها.

فهناك صراع الحق مع الباطل، وهو صراعٌ مبدئي ولابدّ منه؛ لأنّ الحياة لا تستقيم إلاّ بمواجهة الحق للباطل.

أمّا خصائص صراع الحقّ مع الباطل فهي:

١ـ إنّ نزاع الحق والباطل لا ينطلق من العوامل النفسية التي ذكرناها.

٢ـ إنّ صراع الحق والباطل مؤطرٌ بإطار الحق لا بالزيادة ولا التعدي.

٣ـ إنَّ الحق دائماً يدفع بالتي هي أحسن وهي الإيجابية المطلقة، كما

---

(١) إشارة إلى الحديث الوارد: (الحسود لا يسود)، غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٩٩ ح٦٧٩٥، مستدرك الوسائل: ج١٢ ص٢١ ب ٥٥ ح١٣٤٠١.

(٢) فقد ورد في هذا الصدد أحاديث عديدة منها: (الحسد ينكد العيش) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٠٠ ح٦٨٢٦، (لا عيش أنكد من عيش الحسود والحقود) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٠٠ ح ٦٨٢٨، (أسوأ الناس عيشاً الحسود) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٠٠ ح٦٨٢٧.

ورد في القرآن الكريم ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾[1].

هذه القواعد هي حصيلة تجارب وقصص وحكايات ، شاهدتها بنفسي طيلة حياتي أو طرقت مسامعي أو قرأتها في بعض الكتب.

والله المسؤول أن ينفع المسلمين بهذا الكتاب ، والله المستعان.

الكويت

١٨ شعبان ١٣٩٥ هـ

محمّد الشيرازي

(١) سورة فصلت : الآية ٣٤.

# العلماء يتحدّون الطغاة

غضب ناصر الدين شاه القاجاري[1] على العالم الديني المشهور الفشاركي[2] ، فأمر بإحضاره إلى العاصمة طهران ، وكان الفشاركي

---

(١) ناصر الدين شاه ، رابع ملوك القاجار ، الذين حكموا إيران مدة ١٣٣سنة من ١٢١٠هـ (١٧٩٥م) وإلى سنة ١٣٤٣هـ (١٩٢٥م) ، ولد سنة ١٢٤٧هـ (١٨٣١م) ، وحكم من سنة ١٢٦٤هـ (١٨٤٨م) وإلى سنة ١٢٨٦هـ (١٨٦٩م) ، اتّسم حكمه بالظلم والاستبداد والتبعية للغرب؛ فقد منح امتياز التنباك للإنجليز مقابل مبلغ زهيد من المال ، ومن مقولاته في الحكم: «أود أن أكون محاطاً بحاشية من الأغبياء لا يعرفون عن بروكسل هل هي مدينة أو نوع من الخس؟».
أُلّف باسمه الكثير من الكتب باللغة الفارسية ، منها: مرآة البلدان ، ناسخ التواريخ ، سعادة ناصري.

(٢) نسبة إلى فشارك ، من قرى مدينة أصفهان الإيرانية التي بزغ منها عدة أعلام ، منهم:
١ـ المولى محمد باقر بن محمد جعفر الفشاركي المتوفى سنة ١٢١٥هـ ، عالم جليل ، له عدة مؤلفات ، منها: آداب الشريعة ، أسباب الفقر والغنى .
٢ـ السيد محمد بن المير قاسم الطباطبائي الفشاركي ، ولد سنة ١٢٥٣هـ وتوفي في شهر ذي القعدة سنة ١٣١٦هـ ، عالم قدير وفقيه مجد ، له عدة مؤلفات ، منها: رسالة في حكم الجاهل في العبادات ، رسالة في حكم المبتدئة والمضطربة في

يقطن مدينة أصفهان ، والسبب في استدعائه هو التزامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورفضه الانصياع إلى السلطات ودعوته الملحة لتطبيق القوانين الإسلامية ؛ وكان يعيش في طهران عالمان جليلان ، يرجع الناس إليهما في التقليد ، وكان بينهما نوع من التنافس إلاّ أن مع قيام الشاه بجلب الفشاركي تناسى العالمان خلافاتهما وقررا أن يتحركا لمنع الشاه من تنفيذ مخططه ، وفي لحظة من الإخلاص ، قام أحد العالمين بزيارة العالم الآخر في منتصف الليل ، ولم تكن دهشة هذا العالم قليلة عندما شاهد خصمه على باب داره في ذلك الوقت المتأخر من الليل ، فسأل عن سر هذه الزيارة ، فذكر له قصة نفي الفشاركي من أصفهان إلى طهران ، ثم أضاف : حتى لو كان بيننا شيء من القطيعة والتباعد لكن مسؤوليتنا الشرعية تحتم علينا الوقوف قبال خطة الشاه وأن نكون يداً واحدة وصوتاً واحداً وفعلاً واحداً .

وبعد مناقشة الطرق الكفيلة بردّ الشاه ، قررا الطلب من أصحاب

---

الحيض ، رسالة في أصالة البراءة ، رسالة في الخيارات ، رسالة في الإجارة. تتلمذ عند أخيه السيد إبراهيم والفاضل الأردكاني والمجدد الشيرازي. ترجمه نقباء البشر في القرن الرابع عشر.

٣. المولى محمد حسين الفشاركي الأصفهاني ، الذي توفي سنة ١٣٥٣هـ في أصفهان عن عمر يناهز التسعين سنة ، وكان فقيهاً أصولياً معروفاً ، له باع واسع في الإحاطة بالفروع الفقهية ، يعد من تلاميذ الشيخ زين العابدين المازندراني والمجدد الشيرازي والميرزا حبيب الله الرشتي. ترجمه أعيان الشيعة : ج٩ ص٢٣٢ .

المحلات والدكاكين إغلاقها والخروج لاستقبال الفشاركي ، وفعلاً خرجت جموع الأهالي لاستقبال الضيف المبعد يتقدَّمهم العالمان الجليلان .

ولما سمع الشاه بهذا الموضوع أشرف من نافذة قصره ، فرأى الجماهير الهائلة وهي تهدر من كل مكان لاستقبال الفشاركي ، فخشي الشاه أن يقوم الناس بمحاصرته في قصره ، فجمع وزراءه واستشارهم وطلب منهم أن يوجدوا له حلاً .

فقالوا له : إنّ أفضل وسيلة لإسكات الجماهير هو أن يسير الشاه ووزراؤه لاستقبال العالم ويظهروا أن استدعاءه لم يكن بعلم الملك .

وقال الملك لوزرائه : أرأيتم كيف اتحد رجال الدين ضدي ، وأجبروني على تغيير موقفي من الفشاركي ؟ .

وعندما وصل العالِم المبُعد إلى طهران كان الشاه أول من عانقه ، واستفسر منه عن سبب مجيئه إلى طهران ، فقال العالم : بأنّ موظفيه طلبوا منه ذلك . فأنكر الشاه ذلك واعتذر إليه ، ثم أمر باستضافته في أضخم القصور ، وازدحم الناس حوله ، وأخذت الوفود تأتيه من كل مكان ، وظلّ أياماً في طهران بين حفاوة لا نظير لها ، وبعد أيام جاءه الشاه مرةً أخرى وقدّم له الهدايا الثمينة وخيّره بين البقاء في طهران أو الرحيل ، فاختار الرحيل والعودة إلى أصفهان بعد أن يكمل الزيارة[1] .

---

(١) أي زيارة السلطان عبد العظيم أخي الإمام الرضا عليه السلام .

وهكذا ، نجد كيف استطاع العالمان الجليلان باتفاقهما إنقاذ الموقف وتخليص الفشاركي من عقوبة الإبعاد وتغيير موقف السلطة إلى الجهة المعاكسة ؛ كل ذلك حدث بفضل تعقّل أحد العالمين وترك الخصومة واتخاذ ذلك القرار المهم في زيارة العالم الآخر.

قال ﷻ : ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[1] .

فقد ألغيا ما بينهما من برود وقررا أن يعملا معاً .

وهذا درس يعطينا العبرة في أهمية الاتحاد ، وكيف إذا تضافرت جهود العلماء في عمل ما فانهم سيتمكنون من تحقيق ذلك العمل .

إنّ صرف النظر عن المنازعات الشخصية وترك الخصومات وملاحظة المصلحة العامة لهو مفتاح نجاح كل شيء ، وبالعكس فإن الانشغال بالنزاعات الشخصية والبقاء على الفرقة والتنابذ لا يجنى منه سوى الخيبة والخسران .

فكان لابد من أن نصبّ كل اهتمامنا للمصلحة العامة ، ونبذ المصالح الشخصية التي لا يأتي منها إلاّ البوار .

---

(١) سورة الأنفال : الآية ٤٦ .

# لأجل هذا انتصر اليهود

انظر إلى اليهود كيف تناسوا خلافاتهم ، وقرروا العمل سويةً ، فكان نتيجة اتحادهم انتصارهم في حرب حزيران سنة ١٩٦٧م[1] ، بينما ليس

---

(١) حرب النكسة . الهزيمة . التي نشبت بين إسرائيل والدول العربية المحيطة بفلسطين ؛ حيث بدأت إسرائيل الحرب بهجوم جوي كثيف ومباغت في صبيحة الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧م عندما هاجمت طائراتها مصر وهاجم الجيش الإسرائيلي صحراء سيناء والأردن براً ، وفي هذه الحرب احتلت إسرائيل هضبة الجولان السورية وسيناء المصرية وكل ما بقي من فلسطين تحت الانتداب بعد سنة ١٩٤٨م بالإضافة إلى قطاع غزة الذي كان تحت الإدارة المصرية ، ووصلت القوات الإسرائيلية إلى شاطئ قناة السويس جنوباً وإلى الطريق المشرف على دمشق شمالاً وإلى نهر الأردن شرقاً ، وتعرف هذه الحرب بحرب الأيام الستة ، وبلغت خسائر مصر وحدها خمسة عشر ألف شهيدٍ وستة آلاف أسير و٨٠٠ دبابة و٣٠٠ طائرة ، وبلغت خسائر مصر وفق النسب : من المعدات العسكرية ٨٥٪ من القوة الجوية والدفاع الجوي ومن القوات البرية و١٠٠٪ من القاذفات الثقيلة والقاذفات الخفيفة و٨٧٪ من المقاتلات ، وعندما دخلت قوات إسرائيل القدس سنة ١٩٦٧م ، تجمهر الجنود اليهود حول حائط المبكى ، وأخذوا يهتفون مع موشي دايان : «هذا يوم بيوم خيبر». وتابعوا هتافاتهم :

حطــــوا المشــــمش علــــتفاح دیــــــن محمــــــــد ولى وراح

لليهود سوى حكومة واحدة ، أمّا المسلمون فلهم أكثر من عشرين حكومة؟! .

وقد سألني سائل في إحدى المرات عن سبب انتصار اليهود وهزيمة المسلمين في حرب ١٩٦٧م مع أنّ أولئك كانوا يهوداً أما هؤلاء فمسلمين ، ومع أن أولئك لهم حكومة واحدة ولهؤلاء عشرون حكومة .

فقلت للسائل : إنك أجبت على سؤالك .

فقال لي : كيف ذلك ؟ .

فقلت له : ألم تقل إن لليهود حكومة واحدة وللمسلمين عشرين حكومة ، فهذا يعني أن اليهود متحدون أما المسلمين فمختلفون .

ثم نقلت له قصة القافلة المشهورة ، والقصة هي :

خرجت قافلة من بلدها وقصدت بلداً آخر لمزاولة التجارة ، لكنها رجعت بعد مدة قصيرة إلى بلدها منكسرة ؛ لأنّ قطاع الطرق هجموا عليهم ونهبوا ما في حوزة القافلة من البضائع ، وكانت القافلة تتألف من مائة شخص بينما لم يكن عدد اللصوص يتجاوز الاثنين ، فتعجب الناس من ذلك واندهشوا كيف استطاع اثنان من هزيمة هذا العدد الكبير؟! .

---

وهتفوا أيضاً : «محمد مات ، خلف بنات». وفي حينها طبعت إسرائيل بطاقات معايدة ، كتب عليها : «هزيمة الهلال» وبيعت بالملايين لتقوية الصهاينة الذين يواصلون رسالة الصليبين الأوربيين وهي محاربة الإسلام وتدمير المسلمين.

فقالوا لهم : كيف انهزمتم وأنتم مائة شخص؟

قال أحدهم ـ وكان حكيماً ـ : «نعم ، إنهم كانوا اثنين لكنهم كانا متحدين ، ونحن كنّا مائة لكن كنّا متفرقين ، وهذا الاختلاف الذي كان بيننا وبينهما ، والاثنان عندما يكونان متحدين ، يكونان أقوى من كل واحد واحدٍ منا حتى لو كنا مائة» .

أجل ، فالمسلمون اليوم أكثر من مليار نسمة ، أما اليهود فلا يزيد مجموعهم عن عشرين مليون في جميع أنحاء العالم ، ولا يزيد عددهم في فلسطين عن ثلاثة ملايين[1] لكنهم جميعاً صفٌ واحدٌ مقابل المسلمين .

إني لا أزعم ان هذا هو السبب الأول لهزيمة المسلمين في حرب حزيران عام ١٩٦٧م ، فهناك أسباب أخرى ، من أهمها : إهمال المسلمين للتقدم العلمي ، وعدم أخذهم بمكتسبات العصر من حيث بناء المؤسسات وإقامة الصناعات وما أشبه ذلك . لكن هنا أريد أن أبيّن الأسباب الرئيسية للهزيمة ، وهي بخط عريض : «**التفرُّق والتشتت**» ، فالمسلمون من غير العرب لم يشتركوا في حرب حزيران ؛ لأن الحرب كانت عربية صرفة ، والعرب ليس بمقدورهم الانتصار ؛ لأنهم في الأساس مختلفون وغير منتظمين بل إنهم جماعات متناحرة يعادي بعضهم بعضاً ، فكيف يمكن أن يتحقّق النصر في مثل هذه الظروف ؟! .

---

(١) هذا وفق الإحصاءات السابقة ، أما الإحصاءات الفعلية فقد بلغوا قرابة الخمسة ملايين يهودي في إسرائيل حالياً ، وقلّت نسبتهم عالمياً.

# المجدد الشيرازي واتّحاد الأمّة

وقصة أخرى من قصص الاتحاد هي قصة التّنباك[1] ، لما أقدم المجدد الشيرازي[2] على تحريم استعمال التنباك بسبب احتكار البريطانيين لهذا

---

(١) التّنباك: أحد أنواع التبغ الذي كان شائعاً في إيران في القرن التاسع عشر الميلادي ، وكان يوضع في النرجيلة لتدخينه. قامت ثورة التنباك بعد أن منح ناصر الدين شاه امتياز التبغ إلى شركة بريطانية لبيعه داخل إيران وخارجها. ونتيجة لفتوى الإمام الشيرازي ﷺ بتحريم استعمال التبغ ، اضطر الشاه أن يلغي الاتفاقية بعد أن امتنع الناس من التدخين وساروا في تظاهرات صاخبة ، عمّت جميع المدن الإيرانية للتنديد بالشاه وبالاتفاقية ، كما اضطر الإنجليز إلى سحب جيوشهم من إيران التي كان قوامها أربعمائة ألف مقاتل .

(٢) السيد محمد حسن الشّيرازي ، المعروف بالمجدّد ، عميد الأسرة الشيرازية ، ولد في مدينة شيراز سنة ١٢٣٠هـ (١٨١٥م) ، ودرس في أصفهان والنجف الأشرف ، وتوفي في مدينة سامراء سنة ١٣١٢هـ (١٨٩٤م) إثر دس البريطانيين السم إليه ، ودفن في النجف الأشرف. تتلمذ عند السيد حسن المدرّس والمحقق الكلباسي والشيخ محمد حسن الجواهري والشيخ الأنصاري ، آلت إليه المرجعية بعد وفاة الشيخ الأنصاري. له ثمانية مؤلفات ، يقول عنه الأميني في كتابه شهداء الفضيلة ص٢٨٨ : «مجدد المذهب في القرن الرابع عشر ، الإمام المؤتمن.. لم يثبت التاريخ نبأ زعيم ديني أكبر منه في القرون الإسلامية» ، قاد ثورة التنباك ضد الإنجليز

المتوج . فقد توسل الإنجليز بكل الوسائل الممكنة لإفشال التحريم ، ومن جملة أساليبهم أنهم حاولوا إلقاء الفتنة بين العلماء الأعلام ؛ حتى ينقض بعضهم فتوى المجدد ، ويكون ذلك حجة لدعاية مضادّة ضد المجدد ولإلقاء البلبلة في صفوف المسلمين .

فقد حاول الاستعمار البريطاني أن يشعل الفتنة بين المجدد الشيرازي وأحد كبار المراجع هو الشيخ زين العابدين المازندراني[1] الذي كان له

---

وحكومة ناصر الدين شاه القاجاري بعد أن قادت بريطانيا جيوشاً جرّارة على إيران في ربيع الثاني سنة ١٣٠٩هـ الواقع في تشرين الثاني من عام ١٨٩١م ، وكان قوامها ٤٠٠ ألف مقاتل ، وكان هدفهم الحصول على امتيازات التبغ ، زراعة وشراءً وتصديراً مقابل ٢٥٠ ألف ليرة إنجليزية تقدمها لندن لناصر الدين شاه ، وقد أحبط الشيرازي هذه المؤامرة وأحزمت الجيوش الإنجليزية حقائبها ثم ولّت منهزمة تجر أذيال الخيبة والانكسار ، كما ألهمت هذه الثورة المسلمين الوعي السياسي في تاريخه الحديث ونبهتهم للأخطار التي يسببها النفوذ الأجنبي في بلاد المسلمين. ومن مواقفه السياسية أيضاً : وقف بوجه الفتنة الطائفية التي أحدثها ملك أفغانستان عبد الرحمن خان وبتخطيط من الإنجليز ؛ حيث أخذ هذا الملك يذّبح رجال المسلمين الشيعة وأطفالهم ويستحيي النساء ويعتبرهم أسرى حرب ويبيعهم بأبخس الأثمان. راجع أسرة المجدّد الشيرازي لنور الدين الشهرستاني.

(١) الشيخ زين العابدين المازندراني ، عالم فاضل وفقيه متبحّر ، ولد في مدينة مازندران الإيرانية وهاجر منها إلى مدينة كربلاء المقدّسة ، ودرس عند المولى محمد سعيد المازندراني الشهير بسعيد العلماء والسيد إبراهيم الطباطبائي صاحب ضوابط الأصول ، ثم هاجر إلى مدينة النجف الأشرف ودرس عند الشيخ محمد حسن الجواهري والشيخ مرتضى الأنصاري ، اشتهر أمره في التقليد في

مقلدون كما للمجدد الشيرازي وكلمته مسموعة عند الناس ، يومها كان الشيخ المازندراني في مدينة كربلاء المقدسة ، بعث إليه السفير البريطاني رسالةً خاصةً ، يبدي فيها رغبته في زيارة الشيخ ، في الوقت نفسه أوعز السفير البريطاني إلى جماعة من رجالاته المرتبطين بالسفارة الحضور في بيت المازندراني وتأييد ما يقوله السفير .

وبالفعل حضر السفير في اليوم المقرر للزيارة إلى بيت الشيخ المازندراني وبعد المجاملات الدبلوماسية ، توجّه السفير إلى الشيخ قائلاً له :«إني سمعت أن هناك حديثاً عن رسول الإسلام محمد بن عبد الله ﷺ يقول فيه : **(إن حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرامٌ إلى يوم القيامة)**[1] فهل هذا الحديث صحيح ؟

قال الشيخ : نعم ، ومؤكد أيضاً .

عند ذلك قال السفير منتهزاً الفرصة : فهل التنباك حلال أم حرام ، فإن كان حلالاً في الشريعة الإسلامية فكيف يحرّم اليوم ، وإن كان حراماً فكيف حلّل قبل ذلك؟ فانبرى المرتزقة الذين أحضرهم السفير ، فأيّدوا

---

بعض البلدان ولا سيما في بلاد الهند ، توفي في ١٦ ذي القعدة سنة ١٣٠٩ هـ ، ودفن في حرم الإمام الحسين عليه السلام ، من مؤلفاته : زاد المتقين ، زينة العباد الكبرى ، الدرّة النجفية ، مناسك الحج.

(١) بصائر الدرجات : ص١٤٨ ب١٢ ح٧ ، وورد في الكافي (أصول) : ج١ ص٥٨ ح١٩ (حلال محمد حلال أبداً إلى يوم القيامة وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيامة لا يكون غيره ولا يجيئ غيره) .

كلام السفير ؛ ليؤثّروا في جواب الشيخ المازندراني .

ولم تنطل الخدعة على الشيخ المازندراني ، فقد كان أذكى من السفير البريطاني ، فقد أجابه بهذا الجواب :

إن الحديث صحيح ، والتنباك كان حلالاً إلى ما قبل فتوى المجدد ، أما بعد الفتوى فهو حرام ، ذلك لأن هناك حديثاً آخر عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وهو أن (**لا ضرر ولا ضرار في الإسلام**)[1] فإذا صار الواجب أو الحلال ضررياً ، ارتفع حكمه ، ومثاله : أن الصوم واجب لكن إذا صار ضررياً ، سقط وجوبه ، والوضوء والغسل والحج كلها واجبات ما لم توجب الإضرار ، والتنباك قبل الانحصار[2] كان حلالاً ، لكن بعد منح الامتياز للبريطانيين ، صار مضراً للمسلمين ، ولذا أصبح حراماً ، وأفتى بذلك المجدد ، ونحن نؤيده ومتى ما تم إلغاء الامتياز ، عاد الحكم إلى حالته السابقة من الحلية .

وبهذا الجواب القاطع ألقم السفير ومرتزقته حجراً ، وسكتوا ولم ينبسوا ببنت شفة .

وهكذا فشلت محاولات البريطانيين في إيجاد ثغرة بين العلماء ببركة

---

(١) وسائل الشيعة : ج٢٦ ص١٤ ب١ ح٣٢٣٨٢ ، معاني الأخبار : ص٢٨١ ، مصباح الكفعمي : ص٣٤٦ ، نهج الحق : ص٤٨٩ وص٥٠٦ ، غوالي اللآلي : ج١ ص٢٢٠ ح٩٣ .

(٢) منح الامتياز للأجانب .

اتحـادهم وتعـاونهم وتـآزرهم ، وبهـذا الاتحـاد العظـيم والامتـثال لفـتوى الشيرازي اضطر الإنجليز أخيراً إلى الانسحاب وإلغاء الامتياز .

# إسرائيل وسياسة التفريق

قال أحد زعماء الكيان الصهيوني الغاصب للأرض الإسلامية في فلسطين :«إن دولته تصرف أكثر الميزانية المُعَدَّة للأمن الإسرائيلي في تفريق البلاد العربية وتشتيت شمل الفلسطينيين» ، حتى لا تقوم لهم قائمة .

أما كيف يتسنى لهم ذلك ؟ .

في الإجابة نقول : اختار اليهود أسلوب الوقيعة بين الرؤساء ، وإرشاد العملاء ، وتوجيه الصحف والإذاعات لتحفيز العرب ضد العرب ولإثارة الخلافات العربية ـ العربية .

وقد بذل اليهود الأموال الطائلة لشن الحرب النفسية والدعائية . وقد عزفوا في إعلامهم على وتر القومية والإقليمية والعرقية واللونية وإلى غيرها . فلماذا نبقى نحن المسلمين في غفلة عن أحابيل اليهود ومخططاتهم الجهنمية .

من هنا ، فكل صوت يدعو إلى التفرقة فهو صوتٌ مرفوض عند المسلمين ؛ ذلك لأن الوحدة فوق كل شيء كما الإنسان الملزم بالوحدة العامة كذلك ملزم بالوحدة الخاصة .

من هنا ، كان اللازم أن نتمسك بالوحدة الخاصة : أي أن يطبق الوحدة كل واحد منا على أسرته . فالأسرة هي نواة المجتمع ، فإذا كانت الأسرة متحدة أصبح المجتمع متحداً أيضاً .

والدائرة الأخرى غير دائرة الأسرة هي دائرة العمل وهي التي تضم جميع العاملين ، وكلّما توسعنا في المجتمع توسعت الدائرة ، فدائرة الأقرباء ثم دائرة العشيرة ثم دائرة القرية ثم دائرة المدينة ثم دائرة الدولة .

والوحدة تبدأ من الدائرة الصغيرة لتنتهي إلى الدائرة الأكبر .

# من وحي التاريخ

وقد جاء في قصص الحكماء عن نتائج الاختلاف قصة البقرات الثلاث : البقرة السوداء ، والبقرة البيضاء ، والبقرة الصفراء ، وقد اجتمعت هذه البقرات الثلاث في مرعى وكنَّ في أمن من كل خطر ، عشن هكذا مدة من الزمن لا يعكر صفو حياتهن أيّ خطر حتى داهم المرعى أسدٌ جائع ، قرر في نفسه التهام هذه البقرات ولكن كيف؟ وهن ثلاثة وهو لا يستطيع على البقرات الثلاثة .

فلاح في خاطر الأسد فكرة تفريقهن ليتمكن من التهامهن ، وبعد تأمّل طويل جاء الأسد إلى البقرتين البيضاء والصفراء وأخذ يقول لهنّ : كنت أمرُّ في المرعى وقد شاهدت بقرة سوداء بلون الليل الداكن ، فهذه البقرة السوداء ستجلب لكُنّ الشرّ وسيطمع فيكما الحيوانات الأخرى . فإن أذنتما لي وسمحتما بافتراسها حتى تتخلصان منها . فيرفع عنكن الشر ويصبح المرعى لكما أنتما فقط .

وجدت البقرتان هذه الفكرة حسنة حيث إنهما ستتخلصان من هذه البقرة السوداء وتصبح المرعى لهما فقط دون مشاركة ثالث . فوافقتا على

اقـتراح الأسـد الـذي أسـرع وانقـضّ عـلى الـبقرة السـوداء ، ومـا هـي إلاّ لحظات حتى تحولت إلى لقمة سائغة في فم الأسد الجائع .

وبعـد أيـام جـاء الأسـد مـرّة الأخـرى وهـو يحمـل جوعـه إلى مـرعى الـبقرتين ، فـاتخذ الأسلوب نفسه ، فقال للبقرة الصفراء : إن وجود البقرة البيضـاء فـيه ضرر كبير عليك ، فهي تكشف للأعداء عن مكان وجودكما لأن بـريقها يجلـب الانـتباه ، كما وأنها تنافسك في طعام المرعى . فلو أذنت لـي وسمحـتي لـي بالـتهامها والقضـاء علـيها قـبل أن تفـتك بكما حيوانات الغابة ، فأذنت البقرة الصفراء في ذلك .

فقفـر الأسد نحو البقرة البيضاء والتهمها . ولم يبق له إلاّ البقرة الصفراء التي جعلها طعامه القادم إذا جاع .

ولم يكـن أمامـه مـانع في افـتراس الـبقرة الصفراء ؛ إذ بقيت هذه البقرة وحيدة لا تستطيع الدفاع عن نفسها .

وعـندما حـان الوقـت لافتراسـها واعـتقدت البقرة الصفراء أنّ يومها قد حان فعلاً صاحت بأعلى صوتها : أُكلتُ يوم أُكِلَتْ البقرة السوداء .

وهـذه القصـة فـيها مـن المعـاني الكبيرة التي لو تدبرنا فيها لكفتنا تمسكاً بالوحدة .

وقد قال الشاعر :

**مـــن حلقــت لحـــية جــار لـــه**

**فليســكب المـــاء علـــى لحيـــته**

وقال شاعرٌ آخر :

إذا احترقــت دارٌ لجــارك فاســتعد

لهيــب اللظــى يســري لمــن بجوارهــا

# هكذا أوقع الفرقة بينهم

يقال : إنَّ رجلاً زعم أنه من ذرية رسول الله ﷺ ، ورجلاً آخر كان يرتدي العمامة ويدّعي أنّه طالب علم ، ورجلاً ثالثاً كان يعمل موظفاً في جباية الضرائب . فوزدوا بستان أحد المزارعين وأخذوا يقطفون الثمار ويأكلونها ، فرآهم صاحب البستان على تلك الحالة وعلم أنه لا يطيق الثلاثة سويةً ، فأراد إلقاء الفرقة بينهم ؛ ليتخلّص منهم واحداً بعد آخر .

تقدم إليهم ، وقال من أنتم؟ ولماذا دخلتم البستان وأكلتم من ثمره دون استئذان .

فأجاب الأول : إنه يأكل حقه من الخمس باعتباره سيداً من ذرية رسول الله ﷺ .

وقال الثاني : إنه يأكل حقه من الزكاة .

وقال الثالث : إنه يأكل ما يجب على صاحب البستان من ضرائب .

فقال البستاني للأولين : أما أنتما فهنيئاً لكما . . فالحق الشرعي لا مفرّ منه فكلا ما شئتما ، ثم توجه إلى الثالث وقال له : من قال لك إني لم أدفع الضريبة إلى الحكومة؟ ثم أخذه ودفعه إلى خارج البستان وأوسعه

ضرباً وركلاً ، أما الصديقان فقد وقفا يتفرجان لأنه أرشاهما بكلامه وتركهما وشأنهما يأكلان ، ويعبثان بالبستان ، ثم بعد ذلك تقدم إلى السيد وقال له : نعم سيدنا ، إن لك الحق في الخمس فكل هنيئاً مريئاً .
أما أنت أيها الشيخ المحترم ، من قال لك إن ثمر البستان قد بلغ النصاب حتى يستحق الزكاة ؟! .

أليس شرطاً أن تكون الثمرة خمسة أوسق[1] ، وهل تعلم أن هذا البستان فيه عدة شركاء لا تصل حصة أحدهم حتى وسقاً واحداً ، إذاً أيها الشيخ الكريم ، ليس على البستان وثمره زكاة ، ثم أخذ بيد الشيخ وأخرجه من بستانه .

وبعد أن تخلص من الشيخ وموظف الضرائب ، جاء إلى السيد وقال له : أجل إن للسيد خمس أرباح الناس ، وهذا ما ورد في القرآن الكريم ، لكن هل ورد في القرآن أيضاً أن للسيد الحق في أن يسرق وأن يدخل بستان الناس بغير إذنهم ، ثم أخذ يسحبه حتى أخرجه من البستان بصورة ذليلة ، وتخلص البستاني من الثلاثة بإلقاء الفرقة والاختلاف بينهم .

---

(١) جمع وسق ، والوَسْقُ والوِسْقُ : مِكْيَلَة معلومة ، وقيل : هو حمل بعير وهو ستون صاعاً بصاع النبي ﷺ ، وهو خمسة أرطال وثلث ، فالوسْقُ على هذا الحساب مائة وستون مَناً ؛ قال الزجاج : خمسة أوسق هي خمسة عشر قَفِيزاً ، قال : وهو قَفِيزُنا الذي يسمى المعدّل ، وكل وَسْق بالمُلَجَّم ثلاثة أَقْفِزَةٍ ، قال : وستون صاعاً أربعة وعشرون مكُّوكاً بالمُلَجَّم وذلك ثلاثة أقفِزَةٍ ، لسان العرب : ج١٠ ص٣٧٨.

وهـذه هـي نتيجة كـل فـرقة وعاقـبة كل اختلاف . فمصير كل اختلاف وفرقة هو الذل والهوان للمختلفين .

# زُوَّار الأربعين

عندما احتلّ الإنجليز أرض العراق قبل نصف قرن[1] سأل القائد البريطاني أحد شيوخ العراق عن عدد الذين يزورون الإمام الحسين عليه السلام في الأربعين - العشرين من صفر -؟

قال الشيخ : لا أعلم .

قال القائد الإنجليزي : ولماذا لا تعلم بعددهم ؟ .

قال الشيخ : لأن عددهم هو أكثر من أن يحصى .

قال القائد الإنجليزي : لكنني سأقوم بإحصائهم ، فأمر جماعة من معاونيه أن يقفوا في الطرق الرئيسية المؤدية إلى كربلاء المقدسة في أول شهر

---

(١) احتلت القوات البريطانية مدينة الفاو الواقعة جنوب العراق ، سنة ١٣٣٣هـ وبالتحديد في السادس من تشرين الثاني سنة ١٩١٤م وأكملوا احتلال العراق سنة ١٣٣٧هـ (١٩١٨م) ، وقد عاملوا الناس عند احتلالهم أسوأ معاملة فكانوا يقتلون الجرحى ولا يرحمون الأسرى ويخرجون الجثث من القبور ، طمعاً في الثياب والملابس. و كانوا يقطعون الرؤوس ويرسلونها إلى لندن ليجعلوا من جماجم المسلمين مطافئ لسجائرهم.

صفر ليحصوا عدد الوافدين إليها ، ووضع على كل مدخل من مداخل المدينة محاسباً ومشرفاً ومساعداً ، وبدأ هؤلاء في العدّ وتمكنوا من عدّ الزوار إلى يوم العاشر ، أما بعد العاشر من صفر فاتصلت المواكب ليل نهار كالسيل المتلاطم ، الأمر الذي أصبح من غير الممكن حسابهم ، فرفعوا تقريراً عن عجزهم . فقال القائد الإنجليزي فلنعمد إلى أسلوب آخر في الإحصاء ، وأخذ يفرِّق الناس في أجناسهم وألوانهم ، فهذا عربي ، وذلك إيراني ، وهذا هندي ، وهذا تركي ، وهكذا دواليك ، ثم منع السفر من بلدٍ إلى بلد آخر داخل العراق ، وأمر كل مسافر يريد السفر بأن يحصل على الموافقة الخطية من حكام البلاد المختلفين ، ونشر الجواسيس والعيون بين الناس وكانت مهمتهم تتَّبع أمورهم ، وأمر الحاكم العراقيين بعدم التدخل في شؤون بلادهم ، وهكذا أخذ يفرِّق الناس بأساليب مختلفة حتى ثارت العشائر العراقية وقامت ثورة العشرين[1] بقيادة آية الله العظمى

---

(١) بعد احتلال الإنجليز لأرض العراق سنة ١٣٣٧هـ (١٩١٨م) ، وتعيين بيرسي كوكس حاكماً على العراق ، تصدى لهذا الاحتلال العلماء الأعلام بقيادة الشيخ محمد تقي الشيرازي سنة ١٣٣٨هـ (١٩٢٠م) ، فقد أصدر الشيرازي فتواه قائلاً : «مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين ويجب عليهم في ضمن مطالبتهم رعاية السلم والأمن ويجوز التوسل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الإنجليز من قبول مطالبهم» ، وأخرجوا القوات الإنجليزية من أرض الرافدين بعد أن كبدوها خسائر جمة في الأرواح والمعدات ، وقد انطلقت شرارتها في ٣٠ حزيران سنة ١٩٢٠م ، عن هذه الثورة راجع

كتاب: الحقائق الناصعة للفريق مزهر آل فرعون ، والثورة العراقية الكبرى للسيد عبد الرزاق الحسني ، وثورة الخامس عشر من شعبان لعباس محمد كاظم ، وتاريخ الحركة الإسلامية في العراق بين ١٩٠٠ ـ ١٩٢٤م لعبد الحليم الرهيمي ، وتاريخ العراق السياسي الحديث للسيد عبد الرزاق الحسني ، وتاريخ القضية العراقية لمحمد مهدي البصير ، ولمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث للدكتور علي الوردي ، ودور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث للدكتور عبد الله النفيسي ، والبطولة في ثورة العشرين للدكتور عبد الشهيد الياسري ، ودراسات حول كربلاء ودورها الحضاري لمجموعة من الباحثين.

(١) آية الله العظمى الشيخ محمد تقي الشيرازي ، قائد ثورة العشرين التحرّرية في العراق ضد الاستعمار البريطاني ، ولد في شيراز سنة ١٢٥٦هـ (١٨٤٠م) واغتيل بالسم في الثالث عشر من ذي الحجة سنة ١٣٣٨هـ (١٣/٨/١٩٢٠م) ، ودفن في حرم الإمام الحسين ﵇ ، تتلمذ في سامراء عند المجدد الشيرازي ، وفي كربلاء عند الشيخ حسين الأردكاني والسيد علي نقي الطباطبائي ، له باع طويل في حفظ الحوزات العلمية ونشر علوم أهل البيت ﵈ . من مواقفه السياسية: إصداره فتوى ضد الاحتلال الإنجليزي للعراق سنة ١٩١٤م وتخطيطه للثورة ضدهم ، وإصداره فتوى في العشرين من ربيع الثاني سنة ١٣٣٧هـ (٢٣/١/١٩١٩م) ضد المعتمد السامي البريطاني بيرسي كوكس ، الذي نصب نفسه حاكماً على العراق عبر الانتخابات الصورية ، كما أصدر فتوى أخرى ، جعل الإنجليز يجرون أذيال الخيبة والانكسار ويسحبون جيوشهم من أرض الرافدين ، ومن مواقفه أيضاً استنكاره للمعاهدة البريطانية ـ الإيرانية سنة ١٣٣٦هـ؛ والذي أدّى موقفه إلى إلغائها ، قال عنه السيد حسن الصدر في التكملة: «عاشرته عشرين عاماً فما رأيت منه زلة ولا أنكرت عليه خلة» ، من مؤلفاته: «حاشية على المكاسب» ، «رسالة في صلاة الجمعة» ، «رسالة في أحكام الخلل». ترجمه طبقات أعلام الشيعة ، أعيان الشيعة ، معارف الرجال ، نقباء البشر في القرن الرابع عشر.

الإنجليز من أرض العراق ونزع الاستقلال منهم بالقوة بعد أن أعاد للعراقيين وحدتهم ، وبثَّ فيهم روح الجهاد والفتوّة والبسالة ، وخرج الإنجليز من البلاد صاغرين مستسلمين لإرادة العلماء والجماهير الملتفّة حولهم مع أنهم في ذلك اليوم لم يتجاوزوا الثلاثة ملايين نسمة ، بينما كان الإنجليز قد استقوا بألف مليون شخص موجودين في الهند والصين والمستعمرات الأخرى ، كما وأن بريطانيا كانت تمتلك يومذاك أحدث الأسلحة والأعتدة المتطورة بينما كان الشعب في العراق أشبه ما يكون بالأعزل عن السلاح ، لكنهم بتمسكهم بقوله ﷻ : ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا**﴾[1] أنزل الله ﷻ عليهم النصر .

وإلى يومنا هذا يحتفل العراقيون بعيد الاستقلال في الثلاثين من حزيران ؛ إحياءً لتلك الثورة الباسلة ، رغم أن الحكومة البعثية تحاول إلغاء دور قائد الثورة الإمام الشيرازي ﷺ .

وهنا ينبغي الإشارة إلى حقيقة مهمة هي : أنّ الشيعة تأخروا في العراق منذُ الاستقلال تأخراً مشيناً ، فتقاعسوا عن العمل الدؤوب حتى أصبحت أجهزة الدولة كلها تقريباً بأيدي السنة المتعصبين المعارضين للشيعة . بينما بذل الشيعة التضحيات وهم الذين قاموا بثورة العشرين ، وعلى أكتافهم قامت الدولة العراقية الحديثة ، وبعد تلك التضحيات الجسام ، جاء

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٠٣.

غيرهم ، وجنى المرابح ، فكانت الأجهزة الثقافية ، والوظائف الرئيسية ، وقيادات الجيش ، والأوقاف ، والإعلام ، وكل شيء ، بأيدي السنة المتعصبين ؛ وهم لا يشكلون سوى خمسة عشر بالمائة من عدد سكان العراق ، وحرمت الأكثرية من إدارة دفة البلاد[1] .

---

(١) وكشاهد على مقدار التعصّب الذي يكنه الاستعمار للمسلمين الشيعة ، يقول السيد جواد هبة الدين الشهرستاني: «عندما طلب فيصل الأول قبل تتويجه اللقاء بوالدي ، قال فيصل: إن كافة الإجراءات قد تمت على يوم تتويجه وإنه يرغب أن يتوج بحضور كبار العلماء في العتبات المقدسة ويتوسم البركة واليُمن في حضورهم الحفلة ، فاعتذر والدي لفيصل عن حضور كبار العلماء وإنما في الإمكان حضور من ينوب عنهم من الأجلّة ، ولكن متى سيكون التتويج ؟ قال فيصل: يوم السبت ٢٠ آب. ولما أحسّ فيصل أن التاريخ الميلادي غير واضح لعدم التعامل به ، قال: ثاني يوم بعد انتهاء ـ فترة عطلة ـ عيد الأضحى. قال والدي : ولم اخترتم هذا اليوم ؟ قال فيصل: هذا اختيار وزارة المستعمرات في لندن ولا يمكن تغييره! قال والدي : بالعكس يمكن تغييره إلى ثلاثة أيام بعده بدل السبت يوم الثلاثاء ، قال فيصل: وما هو الفرق بين اليومين ؟ أجابه: اليوم الأول السبت يوم نحس لدى العارفين ويوم الثلاثاء يوم سعد. وأنتم في التتويج إلى اليوم الثاني أحوج. وطال النقاش حتى اقتنع فيصل بضرورة تغيير يوم التتويج من ٢٠ آب إلى ٢٣ آب وأن يطالب المندوب السامي مرجعه في لندن بضرورة تغييره بناءً على إصرار الملك عليه. وتم له ما أراد وجرى التتويج عليه. وكان والدي قد اقترح أن يتم تتويج الملك رسمياً في بغداد صباح الثلاثاء ٢٣ آب وحضره مع نخبة من علماء كربلاء والنجف وأن يجري التتويج الشعبي عصراً في الصحن الكاظمي ، واحتلفت البلدة بمقدمه ، وحين حضر الحفل المُقام في الصحن الشريف ، وجد البلدة في أبهى زينتها ممّا أذهله روعة ما شاهده بحضور كبار علماء الكاظمية وأشرافها إلى جانب كبار

# إشكالات وردود

وقد سمعتُ من عدد من شباب الشيعة أنهم يلقون بمسؤولية ذلك على علماء الشيعة ، فيقولون : إنهم فرَّطوا في حقّنا ، فلماذا جاؤوا بفيصل الأول[1] لحكم العراق ولم يفوضوا الحكم إلى رجل شيعي منهم ؟

---

الدولة الرسميين وغيرهم مما لم يشهد مثيله في بغداد وألقيت القصائد والكلمات ، أشادت بيوم الغدير يوم تتويج الإمام علي عليه السلام من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر من الله عز وجل . وهو اليوم الذي يحتفل فيه فريق كبير من المسلمين بميمنته والتبرك به. وانتبه المسؤولون من الحاضرين كيف غفلوا عن هذه الناحية وكيف فات على نقيب الأشراف رئيس الوزراء . عبد الرحمن الجيلاني . وهو العارف بمثل هذه الأمور. كيف جعل كل قراراته في هذا التاريخ ١٨ ذي الحجة الحرام ، ومعناه أن هذا التاريخ سيخلد إن اتخذناه رسمياً وطال النقاش والملامة حوله. حتى اتفقوا على عدم الاحتفال في العام المقبل وفق التاريخ الهجري وإنما يكتفى باتخاذ التاريخ الميلادي ٢٣آب هو الجاري عليه بينما استمروا على المحافظة بالتاريخ الهجري وحده في كافة المقررات ولعدة سنوات والاحتفال بعيد ٩ شعبان من كل عام ماعدا يوم التتويج وحده الذي أبقوه علىالتاريخ الميلادي للسبب المذكور .راجع كتاب الشيخ كاظم آل نوح ص٣٢. ٣٣ للمؤلف د. جمال عبد الرسول.

(١) فيصل بن حسين حاكم مكة ، ولد في الطائف سنة ١٣٠١هـ (١٨٨٣م) وتوفي سنة

ولماذا حرّموا على الناس دخول المدارس والوظائف والجيش؟ فلم تتكون لدينا المؤهلات المطلوبة للحكم، بينما حصل السنّة على كافة المؤهلات التي أتاحت لهم الدخول في كل مسلك وإدارة ومرفق؟

ولماذا قاطعوا الحكومات والأنظمة المتعاقبة على حكم العراق، ولم يتعاونوا مع السلطات، ولم يفتحوا جسراً للتفاهم بينهم وبين المسؤولين على شؤون الدولة حتى يتمكنوا من إسناد بعض الوظائف إلى الشيعة؟

---

١٣٥٢هـ (١٩٣٣م) في سويسرا ودفن في بغداد، كان ضابطاً في الجيش العثماني في إسطنبول ونائباً في مجلس النواب العثماني سنة ١٣٣١هـ (١٩١٣م)، وعاد إلى مكة بعد نشوب الحرب العالمية الأولى، وكان من عملاء الإنجليز؛ إذ تربّى على يد لورنس الجاسوس البريطاني، نصّبه الإنجليز حاكماً على سورية بعد تكوينها من قبلهم في ١٧ جمادى الآخرة ١٣٣٨هـ (٨/٣/١٩٢٠م). كما عينوا أخاه عبد الله على شرق الأردن ـــ ثم نصبوه حاكماً على العراق سنة ١٣٣٩هـ (١٩٢١م). بعد أن طرده الألمان من سوريا عند احتلالهم لها.، واستمر في الحكم إلى سنة ١٣٥٢هـ (١٩٣٣م). يقول فريتزا غروبا المفوض الألماني في العراق في مذكراته عن طريقة تنصيب فيصل حاكماً على العراق: «تسلم الملك فيصل في كانون الثاني من سنة ١٩٢١م دعوة من ملك بريطانيا لزيارة لندن، حيث كان سيعرض عليه عرش العراق وكان يرافق فيصلاً كل من: رستم حيدر والأمير عادل أرسلان ومرافقه الشخصي تحسين قدوري»، راجع العراق في مذكرات الدبلوماسيين الأجانب لنجدة فتحي صفوة: ص١٢٨، أولى جُلَّ اهتمامه على إرضاء الإنجليز وكسب ودّهم، وقال في خطبة التتويج: «وقد صرحت مراراً بأن ما نحتاج إليه لترقية هذه البلاد يتوقف على معاونة أمة تمدنا بأموالها ورجالها وبما أن الأمة البريطانية أقرب الأمم إلينا وأكثرها غيرة على مصالحنا فإننا سنستمد منها ونستعين بها وحدها على الوصول إلى غايتنا المنشودة في أسرع وقت».

إنَّ هؤلاء الشباب ، من حيث يشعرون أو لا يشعرون ، يرددون كلمات المستعمرين الذين أخذوا يلفّقون التهم ضد الشيعة وضد علماء الشيعة حتى لا تقوم لهم قائمة في العراق .

شأن كل المستعمرين في كل زمانٍ ومكان الذين يسعون إلى التفريق بين الأمة وقادتها المخلصين .

واختصاراً نوجز الرد على الإشكالات الثلاثة ؛ لتبدو الحقيقة واضحة ، شاخصة للعيان :

أولاً : أمّا قولهم لماذا جاؤوا بفيصل وهو ليس بشيعي؟

فالجواب : أن الإمام الثائر ـ محمد تقي الشيرازي ـ لما انتزع العراق من براثن الإنجليز ، جمع شيوخ العشائر الذين شاركوا في الثورة ، واقترح عليهم أن ينتخبوا واحداً من أنفسهم ، يكون ملكاً عليهم ، فأبوا أن يلبّوا هذا الطلب ؛ إذ أنف كل واحدٍ منهم أن يملّك عليه أحدهم مساوياً له في الرتبة والشخصية والثقافة .

فقال لهم : وما تقولون في القرعة : «إنها لكل أمرٍ مشكل»[1]؟

فلنقترع بينكم فأيُّكم خرجت القُرعة باسمه فهو الملك أو الرئيس ؟

قالوا : كلا ، فإنّا لسنا على استعداد لأن نؤمِّر أحدنا علينا .

---

(١) إشارة إلى الحديث الوارد عن الرسول الأكرم ﷺ : (القرعة لكل أمر مشكل). فتح الأبواب: ص٢٩٢ ، غوالي اللآلي: ج٢ ص١١٢ وص٢٨٥ وج٣ ص٥١٢.

فاقترح عليهم : إذاً ، فاقبلوا بـ «فرمان فرما»[1] وهو شخصية مرموقة ، وله مؤهلات إدارية وقيادية وهو رجل شيعي .

قالوا : لا ، إنه ليس من عنصرنا .

وهنا تحدّث السيد محمد علي الطباطبائي[2] ، وهو من رجال ثورة العشرين المشهورين ، قال كلمته المشهورة تهكماً بمن قال : «إنه ليس من عنصرنا» .

وأخيراً ، أجبروا الشيخ الشيرازي على الموافقة على تعيين فيصل ملكاً على العراق .

وإني أظن أنّ هذه الخطة كانت استعمارية ، مرّرت على العراقيين بتدبير من بريطانيا ونُسجت خيوطها في الظلام . وقد كشف «لورنس العرب»[3] الجاسوس البريطاني المشهور في كتابه «أعمدة الحكمة السبعة»

---

(١) أحد الشخصيات التي قارعت الاستعمار الإنجليزي ، له باع طويل في ثورة العشرين ، رشحه الإمام الشيرازي ﭬ لإدارة العراق.

(٢) السيد محمد علي بن مهدي الطباطبائي الحائري ، ينتهي نسبه إلى الإمام الحسن عليه السلام ، ولد في كربلاء المقدسة سنة ١٣٠٢هـ (١٨٨٤م) وتوفي سنة ١٣٨١هـ (١٩٦١م) ودفن في كربلاء. تتلمذ عند الميرزا جعفر الحائري والسيد هادي الخراساني والشيخ محمد تقي الشيرازي. شارك في ثورة العشرين وتعرض للاعتقال عدّة مرات ، نفاه الإنجليز إلى جزيرة «هنجام» مع رجالات الثورة ، ترجم له في تراث كربلاء : ص٢٨٩ للسيد سلمان هادي آل طعمة.

(٣) توماس أدوَرد لورنس ، المشهور بـ«لورنس العرب» ، ولد بمقاطعة ويلز سنة ١٨٨٨م ، درس في أكسفورد تحت إشراف دايفيد ج هوغارث . ضابط المخابرات المتخصص

عن ذلك .

من هنا ، فعلماء الشيعة أرادوا سيادة العراقي الثائر الشيعي ولم يكونوا يرغبون بفيصل ومن هو على شاكلة فيصل ، لكن الشيعة عصوا أمر علمائهم ولم يريدوا ذلك ، وقد قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : **(لا رأي لمن لا يُطاع)**[1] ، ولم يرشح الشيرازي نفسه لأمور خاصة .

ثانياً : وأما استنكارهم على العلماء تحريمهم للمدارس ، والوظائف ،

---

بشؤون الشرق الأوسط الذي كانت معلوماته عن أوضاع البلدان العربية في ظل الحكم العثماني لا تضاهى في ذلك الحين ـ ، قام لورنس برحلة على الأقدام في عدد من البلدان الإسلامية ، تخرج سنة ١٩١٠م من الجامعة في أكسفورد والتحق بمدرسة الإرساليين الإمريكيين في لبنان لتحسين لغته العربية. انخرط رسمياً في سلك المخابرات العسكرية البريطانية سنة ١٩١٤م وتسلّم قيادة العمليات العسكرية لاحتلال العراق سنة ١٩١٧م واستولى على مدينة بغداد في ١١/ ٣/ ١٩١٧م ، أصبح مستشاراً للرئيس البريطاني تشرشل في شؤون الشرق الأوسط ، ويعد مهندس تمزيق الأمة الإسلامية ومهندس تجزئة أراضيها ، وقام برسم الحدود بين العراق وإيران. يصف لورنس أهدافه قائلاً : «أهدافنا الرئيسية تفتيت الوحدة الإسلامية ودحر الإمبراطورية العثمانية وتدميرها.. وإذا عرفنا كيف نعامل العرب وهم الأقل وعياً للاستقلال من الأتراك فسيبقون في دوامة من الفوضى السياسية داخل دويلات صغيرة حاقدة ومتنافرة غير قابلة للتماسك إلاّ أنها على استعداد دائم لتشكيل قوة موحدة ضد أية قوة خارجية». قتل بحادث دراجة نارية سنة ١٩٣٥م إثر انهيار في دماغه. من مؤلفاته : أعمدة الحكمة السبعة. راجع «الوقائع السرية في حياة لورنس العرب ص ٥٢ ـ ٥٣» للمؤلفين : فيليب نايتلي وكولين سمبسون ، وكتاب أعمدة الحكمة السبعة للورنس.

(١) الكافي (فروع) : ج٥ ص٦ ح٦ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج٢ ص٧٤.

ودخول سلك الجيش .

فالجواب على هذا الاستنكار هو :

١ ـ لم يقل أحد بتحريم الدخول إلى المدارس أو الوظائف أو الجيش .

أليس العلماء أنفسهم ، دخلوا الوظائف ، فهذا السيد محمد الصدر[1] أصبح رئيساً لمجلس الأعيان ورئيساً للوزراء ، والشيخ الشبيبي[2] أصبح

---

(١) السيد محمد حسن الصدر ، ولد في مدينة سامراء سنة ١٣٠٤هـ(١٨٨٧م) ، أسّس حزب الاستقلال سنة ١٣٣٧هـ (١٩١٩م) والذي عرف بحرس الاستقلال في فترة العمل السّري ، لعب دوراً بارزاً في ثورة العشرين ، فكان الرابط بين قيادة الثورة والعشائر المحيطة بلواء الدليم وسامراء ، نفاه الإنجليز سنة ١٣٤١هـ (١٩٢٢م) مع بعض العلماء الأجلاء إلى خارج العراق وعاد إليه سنة ١٣٤٣هـ (١٩٢٤م) ، ترأس مجلس الأعيان في العهد الملكي لدورته الأولى والرابعة ، وترأس مجلس الوزراء سنة ١٣٦٧هـ (١٩٤٨م) ، ومن المهام التي عملها في وزارته : إلغاء معاهدة «بورتسموث» التي تضمنت إقامة تحالف دفاعي مشترك مع بريطانيا ، وكذلك ألغى المعاهدة الموقعة مع الإنجليز سنة ١٣٤٩هـ (١٩٣٠م) ؛ ولأجل ذلك لم تدم وزارته أكثر من خمسة أشهر ، توفي في ٤ نيسان ١٩٥٦م .

(٢) الشيخ محمد رضا بن محمد جواد الشبيبي ، عالم وشاعر وسياسي ، ولد في النجف الأشرف سنة ١٣٠٧هـ (١٨٨٩م) ، وتوفي في بغداد سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م) ، ودفن في النجف الأشرف ، تتلمذ عند السيد مهدي بحر العلوم وشيخ الشريعة الأصفهاني والسيد عبد الهادي الشيرازي ، أحد الأعضاء البارزين لحزب الاستقلال ، الذي أسسه السيد محمد الصدر ، شارك في ثورة العشرين ، وكان رابطاً مع شيوخ العشائر في الفرات الأوسط ، تقلّد وزارة المعارف في خمس دورات ورئاسة مجلس الأعيان في دورته الثالثة سنة ١٩٣٧م ، وأصبح عضواً لمجلس النواب في ثماني دورات ورئيساً للمجمع العلمي العراقي ، وعارض حلف بغداد والتبعية

وزيراً للمعارف، والشيخ محمد حسن أبو المحاسن[1] أيضاً وزيراً للمعارف.

أضف إلى ذلك السيد هبة الدين الشهرستاني[2] والشيخ

---

للغرب، وفي سنة ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م) رفع مذكرة احتجاج إلى عبد الرحمن البزاز رئيس الوزراء في عهد عبد السلام عارف، طالب فيها ردم الهوة الطائفية في مرافق الدولة والوظائف الحكومية. له عدّة مؤلفات، منها: تأريخ الفلسفة، أدب النظر في فن المناظرة، المأنوس في لغة القاموس، ديوان الشبيبي، تاريخ النجف. ترجمه أعيان الشيعة: ج٩ ص٢٨٧.

(١) الشيخ محمد حسن حمادي محسن الجنابي الحائري، المشهور بـ«أبي المحاسن»، ولد في مدينة كربلاء سنة ١٢٩٣هـ (١٨٧٦م)، وتوفي في الجنابية سنة ١٣٤٤هـ (١٩٢٥م)، شارك في ثورة العشرين وكان شاعراً للثورة وممثلاً للإمام الشيرازي ﷺ في المجلس الملّي، تعرض للاعتقال عدّة مرات، تقلّد وزارة المعارف سنة ١٣٤١هـ (١٩٢٣م)، له ديوان شعري يعرف بـ«ديوان أبي المحاسن» وقد حقق من قبل تلميذه الشيخ محمد علي اليعقوبي. ترجمته في كتاب كربلاء في الذاكرة، وكتاب أبو المحاسن الشاعر الوطني الخالد للسيد سلمان آل طعمة، وكتاب شاعرية أبي المحاسن للأديب خضر عباس الصالحي.

(٢) السيد محمد علي الشّهرستاني، المشهور بـ«هبة الدين»، ولد في مدينة سامراء سنة ١٣٠١هـ (١٨٨٤م) وتوفي سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٧م)، أصدر في العهد العثماني مجلة «العلم» في فترة إقامته في النجف الأشرف وذلك سنة ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) ثم تبعها بمجلة «المرشد» في فترة إقامته في الكاظمية، شارك في ثورة العشرين وأصبح رئيساً للمجلس العلمي الذي شكلّه الإمام الشيرازي ﷺ لقيادة الثورة، حكم عليه الإنجليز بالإعدام بعد الثورة لكنه لم ينفذ نتيجة للضغط الشعبي، تقلّد وزارة المعارف في وزارة الجيلاني الثانية واستقال منها احتجاجاً على فترة

علي الشرقي[1] وغيرهم[2] ، هؤلاء كلُّهم من أهل العلم ، ودخلوا سلك الوظيفة ، وارتقوا حتى وصلوا إلى المناصب العالية .

أما عن الجيش ، فقد تأسست أول فرقة في الجيش العراقي على اسم الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ، وكان تأسيسها في مدينة النجف الأشرف ،

---

الانتداب. أعماه الإنجليز سنة ١٣٤٣هـ (١٩٢٤م) عندما كان يرقد في إحدى المستشفيات للعلاج ، تقلّد رئاسة مجلس التمييز الشرعي الجعفري بين سنة ١٣٤٢هـ ـ ١٣٥٣هـ (١٩٢٣م - ١٩٣٤م) ، أصبح نائباً عن مدينة بغداد سنة ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م) ثم ترك الحياة السياسية ، له ٢٨ كتاباً ورسالة مطبوعة ، من أبرزها : الهيئة والإسلام ، المعجزة الخالدة ، نهضة الحسين ، وله ٢٣٤ كتاباً ورسالة غير مطبوعة.

(١) الشيخ علي بن جعفر بن محمد حسن بن أحمد الشرقي ، ولد في النجف الأشرف سنة ١٣٠٩هـ (١٨٩٢م) وتوفي سنة ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م) ، شاعر وسياسي ، قارع الاحتلال الإنجليزي للعراق في الحرب العالمية الأولى ؛ فكان يحمل كتب الدعوة والفتاوى التي تحث على الجهاد إلى العشائر العراقية. تولّى القضاء الشرعي في مدينة البصرة ، وتولّى رئاسة مجلس التمييز الشرعي فترة من الزمن ، وأصبح عضواً في مجلس الأعيان ، وتقلد الوزارة عدة مرات ، منها : وزيراً بلا وزارة في وزارة أرشد العمري الثانية التي تألفت في ٢٩ نيسان ١٩٥٤م واستقالت في ١٧ تموز ١٩٥٤م ، من مؤلفاته : العرب والعراق ، ذكرى السعدون ، تاريخ اليزيدية ، الأحلام ، عواصف وعواطف وهو ديوان شعري. ترجمه حسن الأمين في موسوعته الإسلامية : ج٦ ص٩٧.

(٢) كالدكتور عبد الرزاق محيي الدين الذي شغل وزارة الوحدة في وزارة طاهر يحيى وعارف عبد الرزاق وعبد الرحمن البزاز وعبد الرحمن عارف ، وأصبح عضواً في مجلس الرئاسة المشتركة بين العراق ومصر سنة ١٩٦٥م وانتخب سنة ١٩٦٦م أميناً عاماً للقيادة السياسية الموحدة بين العراق والجمهورية العربية المتّحدة.

وتم ذلك تحت سمع العلماء وبصرهم وبتشجيع منهم ، وعلى هذا فقس ما سواه .

ثم إننا لا ننكر أنهم اعتزلوا الحكومة لما رأوا فيصل وهو أخذ يتعاون مع الإنجليز ، ولا يهتم بمطالب الشعب المشروعة ، ثم إنهم قاطعوا الحكومة كما تقاطع الأحزاب الحكومات المتعاقبة[1] .

وقد تصدّى العلماء لحكومة فيصل الذي تحوّل إلى رداء يخفي تحته أذيال الاستعمار البريطاني . وقد بلغت المواجهة حدّاً إلى أن قام فيصل بنفي العلماء من أمثال الشيخ مهدي الخالصي[2] ،

---

(١) يقول الباحث الدكتور علي باباخان في كتاب كربلاء ودورها الحضاري: ص٥٦٠ حول موقف العلماء تجاه فيصل: «لم يكن موقف العلماء موحداً إزاء ترشيخ فيصل حيث برز اتجاهان رئيسيان مختلفان ، فالمعارض مثله اثنان من كبار المجتهدين وهما المرجع الأعلى السيد أبو الحسن الأصفهاني والشيخ محمد حسين النائيني ، أما الاتجاه المؤيد فقد مثله السيد محمد الصدر والشيخ مهدي الخالصي ، لكن بيعة الخالصي لفيصل كانت بشرط: أن يسير فيصل بالحكم سيرة عادلة وعلى أن يكون الحكم دستورياً ونيابياً وأن لا يتقيد العراق في عهده بأية قوة أجنبية». ثم يضيف: «إن الخالصي سحب بيعته للملك فيصل عندما أخل هذا الأخير بوعوده ، وعلى أثرها هُجّر من العراق إلى إيران بحجج كاذبة وملفقة في عام ١٩٢٣م».

(٢) الشيخ مهدي بن محمد حسين الخالصي ، عالم وفقيه وشاعر ، ولد في مدينة الكاظمية سنة ١٢٧٦هـ وتوفي في مدينة مشهد الإيرانية سنة ١٣٤٣هـ ، ودفن قرب مرقد الإمام الرضا عليه السلام ، ينتمي إلى أسرة تعيش في مدينة الكاظمية وتعد من الأسر العلمية التي أنجبت عدداً من العلماء الفطاحل ، درس في مدينة الكاظمية والنجف وسامراء عند الشيخ عباس الجصاني والشيخ محمد حسين الكاظمي

والسيد أبو الحسن الاصفهاني[1] ، والميرزا محمد حسين

---

والميرزا حبيب الله الرّشتي والمجدد الشيرازي ، من مواقفه السياسية : أفتى بوجوب جهاد الإنجليز في الحرب العالمية الأولى وسار مع جماعة من العلماء لساحات الوغى واشترك في جبهة الحويزة ، وكذلك شارك في ثورة العشرين وقاد خلالها الكتائب القتالية. أصدر الإنجليز بعد انتهاء الثورة أمراً باعتقاله ولكنه اختفى. وقاطع المجلس التأسيسي في زمن فيصل الأول ممّا حدا بفيصل أن نفاه مع لفيف من العلماء إلى خارج العراق فذهب إلى مدينة عدن اليمانية ثم إلى مكة المكرمة ومنها إلى إيران وبقي هناك إلى أن وافاه الأجل. له منظومات في العلوم العربية المختلفة تبلغ الألف بيت ، وله ما يقارب عشر رسائل مختصرة وكتاب العناوين في الأصول وكتاب القواعد الفقهية وكتاب الشريعة السمحاء وغيرها ، للمزيد راجع أعيان الشيعة : ج١٠ ص١٥٧ للسيد محسن الأمين وذكرى الخالصي لعبد الرزاق الأمين وزعيم الإسلام الخالد من إصدارات جامعة مدينة العلم سنة ١٣٦٩هـ. ولا يخفى أن العلماء الذين بايعوا فيصلاً كان قسم منهم قد راهن على قابلية حكومته للانعتاق من الهيمنة والوصاية البريطانية ، وقسم آخر. كما فعل الخالصي. أراد أن يعلّم العراقيين كيف يبايعون ليبقى حق العراق محفوظاً متى ما طالب العراقيون به ومتى ما أخل به الحكام. فبيعة الشيخ الخالصي هدفها كان ؛ كما عن ولده محمد : «خشيته من أن يبايع الناس فيصلاً».

(١) السيد أبو الحسن بن محمد بن عبد الحميد الموسوي الأصفهاني ، ولد في مدينة أصفهان الإيرانية سنة ١٢٧٧هـ ، وتوفي في الكاظمية سنة ١٣٦٥هـ ، ودفن في النجف الأشرف. يعد من تلاميذ الميرزا حبيب الله الرّشتي والشيخ كاظم الخراساني ، شارك في ثورة العشرين وعارض تعيين فيصل الأول ملكاً على العراق ، تصدّى لمهام المرجعية بعد وفاة الشيخ محمد حسين النائيني سنة ١٣٥٥هـ ، كما شارك في الحركة الدستورية في إيران ، له عدة مؤلفات ، منها : وسيلة النجاة ، منتخب المسائل ، شرح كفاية الأصول ، حاشية على تبصرة المتعلمين ، حاشية على العروة الوثقى.

النائيني[1] ، والسيد الحجة الكربلائي[2] وغيرهم[3] .

---

(١) الشيخ محمد حسين بن عبد الرحيم النائيني الملقب بشيخ الإسلام ، ولد في نائين في حدود سنة ١٢٧٣هـ (١٨٥٧م) ، وتوفي سنة ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م) عن عمر يناهز الثانية والثمانين سنة ، عالم فاضل ومحقق مدقق وفقيه وأصولي بارع وأديب متميّز ، هاجر إلى العراق سنة ١٣٠٣هـ ، ودرس في سامراء عند المجدد وحتى وفاة الأخير سنة ١٣١٢هـ ، ثم هاجر منها إلى كربلاء والنجف بعد أن بذلت الدولة العثمانية ما بوسعها لإضعاف الحوزة العلمية في سامراء ، عارض مع السيد أبو الحسن الأصفهاني المجلس التأسيسي الذي شكله فيصل الأول باعتباره لا يفي بالغرض لإنقاذ الشعب العراقي. يعد من تلامذة الشيخ محمد باقر الأصفهاني ومحمد حسن النجفي والمجدد الشيرازي والسيد محمد الفشاركي والشيخ محمد تقي الشيرازي والشيخ محمد كاظم الخراساني ، آزر الخراساني في الحركة الدستورية. أبعد إلى إيران مع لفيف من العلماء سنة ١٣٤١هـ ثم أعيد إلى العراق بعد أن شرط الإنجليز وفيصل عليه ألاّ يتدخل في الأمور السياسية ، آلت إليه المرجعية بعد وفاة شيخ الشريعة الأصفهاني ، من تلامذته : السيد الخوئي والشيخ محمد علي الكاظمي صاحب كتاب فوائد الأصول والشيخ موسى الخونساري صاحب كتاب منية الطالب في شرح المكاسب ، من مؤلفاته : تنبيه الأمة وتنزيه الملّة ، رسالة لعمل المقلدين ، أجود التقريرات ، رسالة في أحكام الخلل في الصلاة ، رسالة في اللباس المشكوك ، رسالة في التعبدي والتوصلي ، رسالة في نفي الضرر. للمزيد راجع موسوعة طبقات الفقهاء : ج٦ ص٥٤ للسبحاني.

(٢) السيد عبد الحسين بن علي بن أبي القاسم الطباطبائي ، الملقّب بـ«الحجّة» ، عالم جليل وفقيه فاضل ومرجع معروف ، ينتمي إلى أسرة عرفت بالعلم والزعامة والشرف ، وهو من أحفاد السيد علي الطباطبائي - صاحب الرياض - ، تتلمذ عن السيد محمد كاظم الخراساني ، توفي سنة ١٣٦٣هـ. ترجمه نقباء البشر في القرن الرابع عشر.

(٣) أمثال السيد حسن الطباطبائي والسيد عبد الحسين الطباطبائي والجواهري

وفي الحقيقة أنَّ علماء الشيعة قاموا بهذه المقاطعة بغية إصلاح الأمور، وبالفعل فقد نالوا بعض ما أرادوا.

٢ـ لنفرض جدلاً أن علماء الشيعة حرّموا كل هذه الوظائف وحرّموا الدخول إلى المدارس والجيش، فنتساءل ونقول: أو ليس قد دخل بعض الشيعة كل هذه الوظائف حتى إنهم وصلوا إلى بعض المراتب في الدولة والجيش ومجلس الأمة والشيوخ وغيرها. فلماذا لم يخدموا الشيعة؟ ولماذا كل المؤسسات والدوائر صارت تُدار من قبل متعصبي السنة وهم أقلية في الأقلية السنية؟

فهل ما حدث هو ذنب العلماء أم ذنب الذين لم يطيعوا العلماء بل وخالفوا أوامر العلماء ورغبتهم في اختيار أحدهم للقيادة العليا في العراق.

ثالثاً: وأما قولهم: لماذا قاطعوا الحكومات المتعاقبة على بلادهم ولم يتعاونوا مع السلطات ولم يفتحوا جسراً للتفاهم... إلخ؟

---

والشهرستاني، وقد بلغ عددهم ستة وعشرين عالماً وفاضلاً، وكان ذلك سنة ١٣٤١هـ (١٩٢٣م) في وزارة السعدون الأولى، عندما وقف هؤلاء بحزم ضد الهيمنة الإنجليزية وضد انتخابات المجلس التأسيسي، الذي كان يراد به المصادقة على المعاهدة العراقية ـ البريطانية، التي تجعل العراق تحت الهيمنة البريطانية. للمزيد راجع كتاب تاريخ العراق السياسي: ص٨٧ لطفي جعفر فرج، وكتاب لمحات من تاريخ العراق السياسي: ج٦ ص٢٥٢ للدكتور علي الوردي. يقول إسحاق النقاش في كتابه «شيعة العراق»: «أشارت بعض التقارير البريطانية بأن الملك فيصل كان متلهفاً بصفة خاصة على إضعاف نفوذ العلماء الذين اعتبرهم غير مخلصين للإنجليز».

فالجواب : أنهم قاطعوا بعض الحكومات لا جميعها ، وهل يُعد ذلك ذنباً من قبلهم . ثم لماذا لا يسألون لِمَ قاطع العلماء الحكومات ، أليس لكونها عميلة للاستعمار؟ ، وبالتالي هل يعتبر هذا الموقف خاطئاً أم أنه موقفٌ سليم ؟! .

أما عن مدّ جسور التفاهم مع الحكومات ، ففي التاريخ أمثلة عديدة عن قيام العلماء بمدّ جسور التفاهم والحوار مع بعض الحكومات ، وكلّما أحسّ العلماء بفائدة ولو ضئيلة للإسلام والشيعة في الاتصال بالحكومة ، أقدموا على ذلك ، وإني لأذكر الوزراء ، والنواب ، والضباط الكبار ، وسائر شخصيات الدولة الذين كانوا يزورون العلماء في بيوتهم ، وكان العلماء يستغلون تلك الفرصة فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وينصحون الحكام إلى ما فيه صلاح الأمة وخيرها . ويطالبون الحكومات بالإخلاص في العمل لما فيه خير العراق والعراقيين والإسلام والمسلمين عامة .

وفي هذا يقول الشاعر :

أيتها النفس أجملي جزعاً
إن الذي تحذرين قد وقعا

فالمشكلة كما يتصوّرها الشاعر قد وقعت فعلاً ، والأكثرية في العراق صاروا محرومين من أبسط حقوقهم ، فليس العلاج أن يكيل بعضنا التّهم ضد البعض الآخر ، يوزّع الشتائم على هذا وذاك ، فلنعتبر بالماضي ،

ونعمل للمستقبل ، والكلام الآن في كيفية العمل ، وهي بنظري :

١ـ تثقيف المسلمين عامة والشيعة بصفة خاصة تثقيفاً حضارياً يتلاءم وثقافة العصر ، ويستقي جذوره من الدين الإسلامي .

٢ـ نشر الوعي في طبقات الأمة ، عبر تنظيمهم في منظمات مختلفة متوزعة على مساحة الشؤون الدينية والدنيوية .

٣ـ توحيد الصفوف ونبذ الفُرقة والانقسامات والتفرقة والعصبيات القبلية .

٤ـ النهوض بالمجتمع عمرانياً واقتصادياً .

٥ـ العمل على استرجاع الحقوق المغتصبة من الشعب ، وذلك باعطائه زمام الأمور ، واحترام إرادة الأكثرية ، فمن دون استعادة حقوق الأكثرية التي لخّصناها في النقاط السابقة ، لا يمكن لأوضاع العراق أن تستقر ، ولمشاكله أن تنتهي وتزول .

وما نقوله ليس غريباً ؛ لأنه مقبول دينياً ، ويسمّى بالشورى ، وهو مستحسن دنيوياً ـ ويسمّى بالديمقراطية ـ وهو مطلوب بموازين العقل والشرع .

# لا لتقسيم العراق

قامت ثورة العشرين في العراق بقيادة القائد الإسلامي الشيخ محمد تقي الشيرازي ﵀ على أكتاف الشيعة ، والشيعة وحدهم ، لكن قائد الثورة المتّصف بالحكمة ، رأى من الضروري إشراك السُّنّة في الثورة ولو بشكل صوري ؛ ليقطع سبيل المراوغة على الإنجليز.

والإنجليز قاموا بعدة محاولات لإجهاض الثورة ، وكانت من جملة تلك المحاولات الفاشلة :

١ـ فصل السُّنّة عن الشيعة وإلقاء الفُرقة بينهم[1] ، ثم ضرب بعضهم

---

(١) مثلاً حينما التقى الحاكم البريطاني (لجمن) مع بعض عشائر الدليم السنية. قال لجمن : «هناك اضطرابات في النجف وما حولها ونريد التعرف على آرائكم بشأنها وأن حكومة صاحبة الجلالة ـ بريطانيا ـ في حيرة من أمرها ، هل تجعل حكومة العراق شيعية أم سنية ؟ وأن هذه الحكومة قررت أن تأخذ رجال الدين في النجف بالعقاب الشديد بجريمة التحريض على الاغتشاش ...» ، فردّ الشيخ ضاري ـ الذي قتل لجمن لاحقاً ـ أمام الحاضرين بالآتي : «إن أهل النجف يريدون حكومة وطنية لعموم العراق ونحن نتفق معهم بذلك وليس في الأمر مشكلة ، وفي العراق لا يوجد شيعة.. سنة ، أكو إسلام عرب». أما عن رجال الدين في النجف فقال الشيخ

ببعض ؛ لتبقى سيطرتهم على البلاد ، كما هي عادتهم قديماً وحديثاً مع مستعمراتهم ، فقد كانوا في الهند يذبحون البقرة ويرمون بلحمها في مناطق الهندوس .وفي الوقت نفسه كانوا يلطخون مساجد المسلمين بالنجاسة ويتركون عليها علامات تدل أنّ الفاعلين هم الهندوس ، فتقوم المذابح الجماعية ، ويتنفس الإنجليز الصُّعداء لمدة من الزمن ، وهكذا .

وقد قطع الإمام الشيرازي ﷺ الطريق على الإنجليز عندما اختار السنة إلى جانب الشيعة ولو بصورة إسمية ، وكلّما حاول الإنجليز إثارة موضوع السنة والشيعة ، كان تدبير الشيرازي أقوى من مؤامراتهم .

٢ـ تقسيم العراق إلى منطقة شيعية هي النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء وما حولها ، ومنطقة سُنيَّة هي بقية العراق . كما كان لهم رأي في إيجاد منطقة ثالثة هي منطقة الأكراد في شمال العراق ، كما فعلوا ببلاد الشام ؛ حيث قسموها إلى خمس حكومات .

وأخذ الإنجليز يروجون لفكرة تقسيم العراق بين الناس ، وفرح البسطاء من الجانبين بها ، وأخذوا يقولون : هل هناك أفضل من وجود

---

ضاري : «لكنهم أولوا أمرنا في الوقت الحاضر لعدم وجود حكومة شرعية في العراق وطاعتهم واجبة على كل مسلم أياً كان مذهبه ، وإذا اتخذت الحكومة ـ البريطانية ـ إجراءات ضدهم فسوف نكون إلى جانبهم مهما أصابنا من جراء ذلك من أذى» . راجع دراسات حول كربلاء : ص٤٥٩ ـ ٤٦٠ ومصدره المعتمد عليه : مصرع الكولونيل لجمن للمؤلف عبد الجبار عمر : ص ٤٩ ـ ٥٠ .

حكومة شيعية لا يضطهدها السّنة ؟.

وهل هناك أفضل من حكومة سنيَّة لا تشغل بالها بالشيعة ؛ لكن قائد الثورة وقف بكل حزم ضدَّ هذه الخطَّة قائلاً : «إنَّ المسلمين كلَّهم وحدة واحدة وإنْ اختلفوا في بعض الأمور»[1] .

---

(١) تقع على عاتق الشعب العراقي اليوم ، وبعد سقوط أعتى طاغية ، عرفه التاريخ المقروء والمسموع مسؤولية عظيمة وخطيرة ، تتعلق بمستقبله ومستقبل أحفاده من الأجيال القادمة. فعليه أن يتوجَّه إلى حقوقه المشروعة التي هضمت منذ مئات السنين ويطالب بها مهما كلفه ذلك من تضحيات ؛ إذ تلوح في الأفق مؤامرة لهضم الحقوق وتكرار المآسي التي حدثت في مطلع القرن الماضي ، عندما سعى الإنجليز بعد احتلال العراق عام ١٩١٨م إلى فرض نموذج تقسيمي له وصياغة المناهج التربوية والتعليمية وفق الأسس البريطانية وحصر الإشراف العام في المدارس والجامعات على عاتقهم والحصول على امتيازات البترول ـ من تنقيب واستخراج واستهلاك ـ وتحويل العراق إلى سوق لمنتجاتهم الصناعية. فعلى العراقيين أن يكونوا يقظين وأن يتسلَّحوا بثقافة مطالبة الحقوق عبر الحوار والتفاهم ثم المطالبة بدستور يضمن حقوق الأكثرية ويأخذ بنظر الاعتبار الدين ومذهب الأكثرية والخصوصية العراقية.

فقد وقّع أعضاء مجلس الحكم الانتقالي المعيّن ـ مؤخراً ـ قانون الدولة العراقي المؤقت ، ولنا بعض التساؤلات والتحفظات على بعض بنوده ، نذكرها بإيجاز :

١ـ مدى مشروعية القانون المدني في ظل الاحتلال العسكري ؟.

٢ـ مدى مشروعية قانون التوافق الحصصي بدون انتخابات حرة ونزيهة ، لكل عراقي صوت واحد.

٣ـ مدى مشروعية هذا القانون الذي تحفظ عليه اثنا عشر عضواً ، وأُكرهوا على توقيعه.

........................................................................

٤- إن هذا القانون مبني على عقلية غربية ، وهي تكريس نظام الفردية وليس عقلية شرقية إسلامية ، وهي تكريس نظام الأسرة.

٥- إن هذا القانون يجعل العراق بلداً ، تحكمه الضرورات والإملاءآت وليس الحلول الإساسية التي قوامها الثوابت والقيم.

٦- إن نظام الفيدرالية هو إحدى الطرق لجمع المتجزئ والمتفرّق. والعراق ليس من هذا القبيل بل العراق بلد إسلامي ، يعتنق شعبه الإسلام ، الذي يكفل صهر القوميات والطوائف في بوتقته. فطرح الفيدرالية في ظرف المتجمّع ، هو زرع لبذور التجزئة ودعوة مفتوحة للانفصال ، والعراق اليوم بحاجة إلى من يضمد جراحه لا من يسكب الملح عليها. ولو قيل: إنَّ حق النقض صمام أمان لحقوق الأقلية. قلنا : هناك وسائل أكثر نزاهة وأكثر فاعلية ولا تمس حقوق الأكثرية ، خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار شراكة الأكراد للشيعة في تعرّضهم للظلم والقهر والمقابر الجماعية التي لحقت بهم.

٧- إنه لم يحدد نوع الفيدرالية على أي نحو ، هل فيدرالية عرقية أم مذهبية أم جغرافية أم لغوية ؟!.

٨- إن البند (ج) من المادة ٦١ ، يتناقض مع الثوابت الديمقراطية والحرية وحق تقرير المصير ، كما يتناقض مع صميم الإسلام ؛ لأنَّ إعطاء حق النقض للأقلية معناه الحيلولة دون تمكين الأكثرية من ممارسة رغباتها وحقوقها ؛ وهذا يؤدي إلى عرقلة العملية السياسية ، خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار جهاد الأكثرية ودماءهم التي أريقت عبر التاريخ للحفاظ على استقلال العراق ووحدته ، بلّهِ إذا نظرنا إلى المعاناة التي لحقت بالأكثرية من حكومة الأقلية في العهد السابق من ظلم وقهر ومقابر جماعية ومصادرات للأموال والحقوق والكرامات والتهجير الجماعي والإبادة الجماعية في السجون والحروب.

٩- إن تحديد نسبة تمثيل المرأة في المجلس بـ٢٥٪ غير منطقي ؛ فإن التمثيل يجب أن يكون وفق الكفاءة بغض النظر عن الذكورة أو الأنوثة ، فلو كانت كفاءة المرأة أكثر من هذه النسبة فتحديدها بالربع هو انتهاك لحقوقها ، ولو كانت أقل من الربع فيلزم

# من مكر الإنجليز

## جاء قائد الحملة الإنجليزية العام إلى الإمام الثائر الشيرازي ﷺ ليقول

---

تقديم المفضول على الفاضل(.

١٠.إن لهذا القانون انعكاسات سلبية في النتائج ، منها : القضاء على التعايش القائم ، ليس في العراق وحده بل في الدول المجاورة للعراق ، ومنها : تقنين الانقسام على أساس قومي وطائفي بعد أن كان في زمن صدام واقع قومي طائفي ، ومنها أنه : يعطي الشرعية لكل منطقة فيدرالية أن تقنن الضرائب والرسوم حسب ماتراه دون النظر إلى خصوصية الدين الإسلامي وإلى مصلحة العراق كمجموع.

١١. يلوح من تصريحات بعض أعضاء المجلس أن الكثير من بنود هذا القانون لها صفة الإلزام والدوام ، والسلطات البعدية ملزمة بتنفيذها ، وهذا يتنافى مع اعتباره مؤقتاً. ونقترح في هذا الصدد :

أ. ندعو كل حقوقي عراقي ، تهمه مصلحة العراق أن يساعد الشعب في توضيح ملابسات وأخطاء هذا القانون.

ب . تشكيل مظاهرات سلمية للإعراب عن السخط لبعض بنود هذا القانون المؤقت.

ج . ندعو العلماء والمثقفين والأحزاب والتنظيمات إلى طرح بدائل دستورية لمساعدة اللجنة التي ستنتخب من قبل الشعب لوضع دستور دائم للعراق.

د. ندعو المنظمات الحقوقية الدولية للوقوف إلى جانب الشعب العراقي في محنته ومساعدة الأكثرية للحصول على نسبتها في التنفيذ السياسي والإداري.

له : إنَّ الحكومة البريطانية ترحّب بمطالب الثوار وإنها تريد إعطاء الشيعة حقوقهم المشروعة ، ولما قامت الثورة على أكتافهم فهي تريد أن تمنح الاستقلال لهم دون سواهم .

قال الشيرازي : كلا ، إن العراق وحدة واحدة ، والاستقلال يجب أن يكون للجميع ، ويجب على الجميع أن يشتركوا ويُساهموا في الحكم .

فأيقن الشيرازي أن ما قاله هذا البريطاني ، ظاهره الحق وباطنه الباطل ، والإنجليز بعملهم هذا ، يريدون تقسيم العراق وإبقاء الاستعمار حاكماً ومسيطراً .

وهكذا أنقذ الإمام الشيرازي ﷺ بلاد العراق من براثن الاستعمار ، عندما رفض مقترحات المستعمرين .

ولو طبّق قادة المسلمين ـ هذا اليوم ـ ما طبّقه الإمام الشيرازي بالأمس ، لكان وجه بلاد المسلمين غير ما نراه اليوم من تمزُّق وتشتّت وتباعد ، ولأصبح للمسلمين وزنٌ في الميزان الدولي ، لا ينقص عن وزن أمريكا وروسيا إن لم يكن أثقل منهما وزناً[1] .

---

(١) من سياسة الاستعمار البريطاني تأجيج الصراعات بين الدول الإسلامية ؛ وكشاهد على ذلك فقد نقل لي أحد الأصدقاء الذي اتّخذ في الثمانينات من القرن العشرين بريطانيا سكنىً له ، قال : كنت أبحث عن عمل ، يتناسب مع تخصصي باعتباري مهندساً تكنولوجياً ، فذهبت في إحدى الأيام لأحد المصانع العسكرية المتخصصة في صناعة الصواريخ ، والتقيت بمدير المصنع ؛ الذي أصبح فيما بعد من

# استقلال العراق ثمرة الاتّحاد

لاشك أن الشيعة بعد ثورة العشرين هم الذين دعموا الملك فيصل ليصبح ملكاً عليهم ، وقد اتّفق الشيعة على تشكيل حكومة أمام المستعمر البريطاني الذي أراد أن يجعل العراق مستعمرة لبريطانيا ، ولكنَّ «فيصل» لم يراعِ خدمة الشيعة له ، وقلب لهم ظهر المجن ، وأوغل في إبعادهم عن المراكز الحسّاسة ، وعن المناصب الحكومية المهمّة .

بل ازداد في سلب حقوق الشيعة عندما أوعز إلى شرطته بتسفير علمائهم وخطبائهم إلى إيران ، الأمر الذي جعل الحكم من أوّله

---

أصدقائي.

قال لي ذات يوم: إن مصنعنا هذا ، يصنع الصواريخ ، ومنتوجاتنا نبيعها للبلدان الإسلامية وغيرها وعلى الخصوص المتنازعة منها. وأضاف: في هذه الغرفة التي أنت جالس فيها ، يأتينا وفد من بلدين إسلاميين متحاربين ، ونحن نبيع السلاح لكلا البلدين ، حتى إنه في بعض الأحيان يتزامن مجيئهما في وقت واحد. فنحن نقسّم الصالة إلى نصفين بستائر ونحاور الطرفين ، ثم نقول لهما: إذا كنتم في حرب ، فهذه الأسلحة نبيعها لكم ، ولتقتصر نزاعاتكم على أراضيكم ، أما هنا فلا صراعات ولا نزاعات!.

متزلزلاً ، فالأكثرية الفاعلة أصبحت في خبر كان ، أما الأقلّية الجامدة التي لم يكن لها في يوم ناقة ولا جمل في عملية الاستقلال ، أخذت تسيطر على الأوضاع[1] ، ولو كان الملك فيصل قد رعى الحقوق الوطنية للشيعة ، لم يسقط الحكم الملكي في أقل من نصف قرن ، بينما استمرت الحكومات الملكية في بلدان أخرى قريبة من العراق لسنوات طويلة .

وهكذا أية حكومة تخالف سنة الله في الحياة ، ولا ترعى حقّ الأكثرية الشيعية في العراق ، سيكون مصيرها الفشل والفشل الذريع ، **﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلاً﴾**[2] .

ومراعاة قانون الأكثرية لا يعني إلغاء الوحدة بل إنه السبيل إلى تمتين دعائم الوحدة .

أجل ، إنَّ فيصلاً شكّل أول حكومة سُنّية وسلّم زمام الأمور إلى السّنّة ، وذلك ما أثار غضب الشيعة فقاطعه العلماء ، وقد بعث برسالة إلى أحد العلماء ، جاء فيها : «أنتم قمتم بالثورة ، وجئتم بي إلى بلدكم ، فلماذا قاطعتموني» ، ولمّا جاء الرسول إلى ذلك العالم ، قال العالم له : قل لفيصل : إنّا نقاطعك ، لتجاهلك حقوق الأكثرية الشيعية الذين جاؤوا بك إلى البلاد وسلّموك مقاليد الحكم ،

---

(١) أمثال السعدون وجعفر العسكري وعبد الرحمن الجيلاني ونوري السعيد.

(٢) سورة فاطر: الآية ٤٣.

لكنك سلّمت الأمور إلى الأقلية ، مع أنك تعلم وتعترف أن الذين جاؤوا بك والذين بنوا العراق على جماجمهم هم المسلمون الشيعة ، وإنّي لا أقول ذلك من باب الإحساس الطائفي بل من جهة الأكثرية والأقلية ، ومن جهة إعطاء لمن لا حق له الحق كله ، فهل موقفنا يخالف الإنصاف أيّها الملك؟!.

قال الرسول : لمّا أبلغت الملك مقالة العالم ، قال : الآن أريك الجواب عملاً لا قولاً ، ثم إنه قال للرسول : هل تعرف أن رئيس الوزراء والمدير الفلاني كلاهما سنّيان؟ قال الرسول : نعم ، قال : وهل تعلم هناك خصومة بين الرئيس والمدير؟ قال الرسول : نعم ، قال : فانظر الآن.

وأمر الملك سكرتيره أن يحضر المدير ، ولمّا حضر المدير قال له فيصل : إن رئيس الوزراء لا يقوم بأداء واجباته خير قيام ، والناس غير راضين عنه وإني أريد أن أعزله وأجعلك مكانه فماذا ترى؟ قال المدير : إني لا أرفض لك أمراً ، لكن الذين قالوا للملك هذه المقالة حول رئيس الوزراء مخطئون ، فإنّ الرئيس يدير البلاد على ما يُرام وإني لا أحب أن احتلّ موقعه ، أمّا ما سوى ذلك فأي أمر يأمرني الملك فإني أمتثل له بكمال الترحيب.

ثم إنّ فيصلاً أذِن للمدير بالانصراف ، قال الملك لسكرتيره ثانياً : أحضر لي المدير الفلاني ، وحين خرج السكرتير من عنده قال فيصل

للرسول : هل تعلم أن الوزير الفلاني والمدير الفلاني اللذين أمرت بإحضارهما كلاهما شيعيان؟ قال الرسول : نعم ، قال فيصل : وهل تعلم أنهما صديقان لا يفارقان أحدهما الآخر؟ قال الرسول : نعم ، قال فيصل : فانظر ماذا ستكون النتائج ؟ .

وبعد فترة من الزمن جاء المدير وسلّم وجلس ، ثم قال الملك له : أبلغت أن الوزير الفلاني لا يؤدي مهامه حسب الأصول والناس يشكون منه ، ولذا فكرت في إقالته وأن أجعلك مكانه فأنا أجد فيك الكفاءة المطلوبة وأجد عندك سداد الرأي .

قال المدير : نعم سيدي الملك ، إن كل الناس متعجبون من جعل هذا الرجل وزيراً وهو لا يقدر على إدارة مدرسة ابتدائية ، فكيف بالوزارة ، وسأكون عند حسن ظنك ، ثم أذن له فيصل بالانصراف ثم توجه للرسول قائلاً له : قل للعالم الذي أرسلك : إن الشيعة لا يصلحون للحكم بخلاف السنّة ، وهذا هو الذي دفعني إلى الاستعانة بأهل السنّة ؛ لأن الحكم يحتاج إلى التماسك والاتفاق والتعاون ، وهذا ما لا يوجد عند الشيعة ، بينما هو متوفرٌ لدى أهل السنّة .

**أقول** : لا أعلم مدى صدق هذا الخبر أو كذبه ، وهل هو من نسج الخيال أو من الحقائق ، لكن لنفترض أن القصة حقيقية من ألفها إلى يائها ، فلنا فيها عدّة ملاحظات :

١ـ إذا كان الشيعة لا يصلحون للحكم ، لأنهم لا يتّحدون ، فكيف

اتّحدوا لطرد الإنجليز من البلاد وهم أقل من ثلاثة ملايين ، والإنجليز خلفهم ألف مليون أو يزيدون .

٢ـ من المعروف لدى كل العقلاء هذه القضية المنطقية : «الجزئي لا يكون كاسباً ولا مكتسباً» ، فهل خيانة مدير لصديقه بظهر غيبه يجعل كل الشيعة هكذا خونة ، وهل وفاء وزير سني واحد يجعل من السنة كلهم أوفياء؟! .

٣ـ إذا لم يصلح الشيعة للحكم ، فكيف حكموا في أزمنة مختلفة وفي بلاد كثيرة ، منها : العراق أيام البويهيين[1] ، وسوريا أيام

---

(١) الدولة البويهية ، نسبةً إلى مؤسسها بويه بن فنّا خسرو بن حام ، حكموا مائة وسبع وعشرين سنة ، من سنة ٣٢١هـ (٩٢٣م) واستمروا إلى سنة ٤٤٨ هـ (١٠٥٦م) عندما أسقط حكمهم السلاجقة الأميون بقيادة طغرلبك ، وعدد سلاطينهم خمسة عشر ، أولهم أبو الحسن علي بن بويه «عماد الدولة» ، وأشهر ملوكهم فنّا خسرو ، عضد الدولة ، الذي استولى على بغداد وعمّرها ، وآخرهم خسرو شاه. وشمل حكمهم العراق وإيران وقسماً من بلاد الشام ، وقد اهتموا ببناء المدارس والمساجد والمستشفيات والجسور وإصلاح الطرق والأسواق ، وأنشؤوا المكتبات والمرافق العامة كمكتبة الوزير أبي نصر سابور بن أردشير التي كانت تحتوي على عشرة آلاف مجلد من جلائل الآثار ومهام الأسفار والتي جمعت من فارس والعراق والهند والصين والروم ، وكان فيها مائة مصحف بخط ابن مقلة ، وقد بنيت في الكرخ في بغداد سنة ٣٨١هـ ، وقاموا بإكرام أهل العلم والمعرفة ، وقد حظي الشيخ المفيد والسيد المرتضى والسيد الرضي والشيخ الطوسي بمنزلة مرموقة عندهم.

الحمدانـــــيين[1] ، ومصــــــر أيـــــام الفاطمـــــيين[2] ،

---

(١) حكمت الدولة الحمدانية الموصل وحلب والمناطق المحيطة بها وشمال سورية من سنة ٢٧٦هـ (٨٩٠م) وإلى ٣٩٥هـ (١٠٠٤م) ، مؤسّسها أبو الهيجا ، حمدان بن حمدون ، الذي كان والياً على الموصل من قبل العباسيين ، واتّخذ «ماردين» قاعدة له سنة ٢٧٩هـ (٨٩٢م) ، وتولّى بعد حمدان الحكم ابنه الحسن ؛ ويعبّر عنه بـ«ناصر الدولة» ، الذي حكم من سنة ٣١٧هـ (٩٢٩م) واستمرّ إلى ٣٥٨هـ (٩٦٩م) ، ثم جاء بعده علي بن عبد الله بن حمدان «سيف الدولة» ؛ وقد وسّع حكمه ليشمل «حمص» ، والذي اشتهر بثقافته الرفيعة ورعايته للعلماء والفلاسفة والأدباء والشعراء ، وكان يحضر بلاطه أبو الفرج الأصفهاني والمتنبي والفارابي وابن خالويه ، كما خاض جهاداً ضدّ البيزنطينيين وحمى الإسلام بذلك ، وبلغت حلب في عهده أوج تقدمها وازدهارها ، وتوفي علي بن حمدان سنة ٣٥٦هـ (٩٦٧م) ، وانهارت دولتهم على أيدي البزنطينيين (الروم).

(٢) الدولة الفاطمية ، مهّد لقيامها أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد ، المعروف بأبي عبد الله الشيعي ، المولود في صنعاء ، حكمت من ٢٩٧ هـ (٩٠٩م) ، واستمرّ حكمها إلى ٥٦٧هـ (١١٧١م) ، وكان عدد حكّامها أربعة عشر خليفة ؛ ابتداءً بعبد الله «المهتدي بالله» وانتهاءً بعبد الله «العاضد لدين الله» . . ويرى المحقق حسن الأمين في كتابه صلاح الدين الأيوبي بين العباسيين والفاطميين والصليبيين أن خلافة الفاطمية انهارت في زمن المستنصر بالله عندما استولى بدر الجمالي أمير الجيش سنة ٤٦٦هـ على البلاد وأصبح الخليفة محكوماً عليه بالإقامة الجبرية ، ثم عين بدر الجمالي بعده الأفضل ثم الحافظ .. وابتدأ سلطانهم بأن حكموا تونس ثم أخضعوا الشمال الإفريقي كلّه ثم مصر ؛ في عهد الخليفة المعز لدين الله ، الذي مدّ حدود حكمه إلى شواطئ الأطلسي وأنشأ مدينة القاهرة وبسط نفوذه على سورية وفلسطين ولبنان ، ومجموع خلافتهم مائتا سنة واثنتان وسبعون وبضعة أيام ، منها مائتان وثمان سنين في القاهرة ، ومن إنجازاتهم: إيجاد وحدة التكامل السياسي بين المغرب والمشرق ؛

فأصبح المغرب وملحقاته: صقلية وقوصرة وفلورية ، ومصر وملحقاتها: وهي الشام والحجاز واليمن؛ وحدة سياسية قاعدتها القاهرة ، بعد أن كانت كيانات مجزأة ، ومن إنجازاتهم أيضاً: وقوفهم في وجه الدولة البيزنطية والصليبيين ، كما أسّسوا جامع الأزهر وجامع الحاكم ودار الحكمة. ولهم الفضل في تعريب القسم الإفريقي وفي حماية الشواطئ الإفريقية الشمالية من الغزو الصليبي ، وبنوا لأجل ذلك قاعدة عسكرية قوية ، تضم خمسة آلاف ربان و٢٠٠ سفينة ، وأضحت المهدية والسوسة ومرافئ صقلية مركزاً لهذه السفن ، وكان لهما إسطولان في البحر المتوسط والبحر الأحمر ولهم موانئ على البحر المتوسط هي الإسكندرونة ودمياط في مصر ، وعسقلان وعكا وصور وصيدا في الشام ، وعيذاب على البحر المتوسط. راجع «المجالس والمسايرات» للقاضي النعمان ، «تأريخ الخلفاء الفاطميين في المغرب» ، «أعيان الشيعة» لمحسن الأمين ، «اتعاظ الخلفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء» للمقريزي.

(١) الدولة الصفوية: وهي سلالة إسلامية شيعية ، تأسست على أنقاض الحكم المغولي التيموري ، وتنسب إلى «صفي الدين الأردبيلي» ، المولود سنة ٦٥٠هـ (١٢٥٢م) والمتوفى سنة ٧٣٥هـ (١٣٣٤م)؛ والذي قضى على «الآق قيونلو» واتخذ «تبريز» عاصمة له ، ولقّب بشاه ، وحكمت هذه السلالة إيران مدة مائتين وخمس وثلاثين سنة منذ سنة ٩٠٥هـ (١٥٠٠م) وإلى ١١٤٠هـ (١٧٢٨م) ، وبعد الأردبيلي ، جاء «شاه إسماعيل بن حيدر الصفوي» ، المولود سنة ٨٩٣ هـ (١٤٨٨م) ، والذي حكم من سنة ٩٠٥هـ (١٥٠٠م) واستمر إلى ٩٣٠هـ (١٥٢٤م) ، وقد خاض حروباً متعددة مع العثمانيين؛ والذين هزموه في معركة «جالدران» قرب مدينة «تبريز» سنة ٩٢٠هـ (١٥١٤م) ، ثم حكم من بعده ابنه «طهماسب الأول» ، الذي اتّخذ «قزوين» عاصمة له سنة ٩٦٢هـ (١٥٥٥م) ، والذي حكم ٥٤ سنة ، ثم جاء بعده «إسماعيل الثاني» وحكم سنتين ، ثم من بعده «محمد خدابنده بن طهماسب الأول» وحكم عشر

الأدارسة[1] ، وما أشبه ذلك.

---

سنوات ، ثم «شاه عباس الأول ابن محمد» ، الذي نقل العاصمة إلى «أصفهان» سنة ١٠٠١هـ (١٥٩٣م) ، وحكم أربعاً وأربعين سنة ، ثم جاء بعده «شاه سليمان» ، حفيد شاه عباس الأول. وكان آخر ملوكهم «شاه حسين» ، الذي حدثت في عهده فتنة «الأفغان» ؛ عندما احتلّ ملكها «شرف الأفغاني» أصفهان ، واعتقل «شاه حسين» وقتله سنة ١١٤٠هـ (١٧٢٨م) وتركه ثلاثة أيام بدون غسل ولا كفن ، وأمر ملك الأفغان بهدم المدارس والمساجد والمكتبات في إيران حتى قيل : إن حمّامات وأفران العاصمة أصفهان كانت تسخن لأكثر من شهر بواسطة كتب مكتبات الصفويين.

(١) دولة الأدارسة : سلالة حكمت المغرب من سنة ١٧٢هـ (٧٨٩م) وإلى ٣٧٥ هـ (٩٨٥م) ، مؤسّسها إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، الذي نجا من مجزرة «فخ» التي حدثت في عهد الهادي العباسي سنة ١٦٩هـ ، بعد أن حاصرت قواته مجموعة من العلويين بالقرب من مكة في منطقة اسمها «فخ» ، وقتل أكثر العلويين ولم ينج منهم إلاّ عدد قليل ، كان إدريس منهم ، الذي هرب إلى مصر ثم إلى مدينة «وليلي» في المغرب ، واستقبله زعيم قبيلة «أورَبه» سنة ١٧٢هـ (٧٨٨م) وبايعه على الزعامة وتبعته بقية القبائل ؛ فاتّخذ مدينة «وليلي» عاصمة له ، ثم وسّع نشاطه ودولته في المغرب حتى شملت شمال إفريقيا ؛ ممّا أغاظ هارون العباسي ، الذي رأى أنّ لا قبل له بهزيمته عسكرياً ؛ ففكّر باغتياله بالسُّم سنة ١٧٧هـ (٧٩٣م) بواسطة سليمان بن جرير المعروف بـ «الشماخ» ، وقد حكم خمس سنوات ثم تولّى الحكم مولى الأدارسة «راشد» حتى وفاته سنة ١٨٦هـ (٨٠٢م) ثم حكم أبو خالد العبدي إلى أن بلغ إدريس الثاني الذي كان حملاً عند مقتل والده ، ولمّا بلغ إدريس الثالثة عشرة من عمره ، بويع بالخلافة وكان ذلك سنة ١٩٢هـ ( ٨٠٨م) ، واستمر في الحكم إلى موته سنة ٢١٥هـ (٨٣٠م) ، وعاش ستاً وثلاثين سنة ، ثم تبعه محمد بن إدريس ، وفي عهده قُسّمت البلاد بين إخوانه ،

٤ـ إذا كان السنة متّحدين فما هو تبرير الانقلابات العسكرية المتتالية التي قادها بعضهم ضد بعض ، وقد سفكت فيها الدماء الكثيرة[1]؟ .

إنّ الجواب الصحيح على جميع تلك التساؤلات هو :

١ـ إنّ المسلمين الشيعة رفضوا مساعدة فيصل ؛ لأنه اتّضح لهم

---

واستقلّ كل واحد منهم بجزء من البلاد ممّا حدا بالأمويين في الأندلس والفاطميين في مصر من السيطرة على بلادهم ، وقد صالح آخر حكامها يحيى بن إدريس على البيعة للحاكم الفاطمي عبد الله المهدي. وبفضل الأدارسة انتشر الإسلام في كثير من مناطق العالم ، وأسست الكثير من المدن وعلى رأسها مدينة «فاس» ، وبفضلهم أنشئت المدارس والمكتبات وتوسع العمران؛ حيث رفعوا شعار «الأرض لله ولمن عمرها» وازدهرت الصناعات والحرف؛ ممّا أوجب زيادة التجارة ، وأصبحت عملتهم سارية في جميع الأمصار ، وهذه الأمور أدت إلى تحضّر البلاد وازدهارها.

للمزيد راجع الموسوعة الإسلامية: ج٤ ص١٠٥ لحسن الأمين ، روض القرقاس لابن أبي زرع. وقد قامت حكومات شيعية أخرى في التاريخ كالدولة الجلائرية التي أسّسها حسن الجلائري ، التي حكمت العراق من سنة ٧٤٠ هـ وإلى ٨١٣ هـ ، وأشهر سلاطينها إدريس الجلائري ، ودولة بني حمود في المغرب وهم أحفاد الأدارسة الذين ساهموا وبشكل فعال في إسقاط الدولة الأموية في الأندلس.

(١) مثلاً: قاد عبد الكريم قاسم سنة ١٩٥٨م انقلاباً عسكرياً على فيصل الثاني ، وقاد عبد السلام عارف انقلاباً على عبد الكريم قاسم سنة ١٩٦٣م وقاد أحمد حسن البكر سنة ١٩٦٨م انقلاباً على عبد الرحمن عارف ، وقاد صدام التكريتي سنة ١٩٧٩م انقلاباً على البكر.

فيما بعد أنّه سِتارٌ للاستعمار بعد أن ظنوا فيه خيراً ، ولنعم ما صنعت الشيعة حيث وقفت ذلك الموقف النبيل ، فالملك لا يصدر أوامره إلاّ بمشاورة المندوب السامي البريطاني ، ومثل هذا الملك لا يستحق التعاون معه .

٢ـ إن «فيصل» لم يرغب في معاونة الشيعة ؛ لأنّه كان متطرفاً في التّسنُّن ، ولأنه كان ينفذ أوامر الإنجليز ، والشيعة يرفضون حكماً يرتبط بالأجنبي ، فهم الذين طردوا الإنجليز فكيف يقبلون به يدخل تحت عباءة أخرى؟! .

والحكمة في هذه القصة هي :

كيف أنّ تصرف إنسان واحد وهو المدير الشيعي ـ على فرض صحة القصة ـ يكون حجة على بني نوعه ، ومعرفة مدى تأثير ذلك في أمور الحياة ، كما أني بهذا الدفاع لا أريد تبرئة مواقف كل الشيعة ، بل لا شك أنّه هناك لائمة قصور وتقصير في عدم جني الشيعة ثمار ثورتهم التي قادوها حتى يوم استقلال العراق .

وإني أظن أن اختلاف زعماء الفرات والشيوخ في مجلس الإمام الثائر الشيخ الشيرازي ﷺ ، حول نصب أحدهم ملكاً ، ـ كما أشرنا إلى ذلك سابقاً ـ لم يكن هو السبب الأول والأخير في عدم وصول الشيعة إلى سدّة الحكم بل هو سببٌ من الأسباب .

ويدلُّ على ذلك أيضاً عدم وصول الشيعة إلى الحكم في انقلاب ١٤

تموز[1] و١٤ رمضان[2] ، و١٧ تموز[3] ، كما يدل على ذلك عدم دخول الشيعة في العهد الملكي[4] في المؤسسات المهمة كالإذاعة والتلفزيون والمدارس والصحف والأوقاف والقضاء وغيرها ، مع أن الحكم كان ديمقراطياً ـ ولو صورياً ـ .

أمّا السبب الحقيقي حسب ظني فهو التعصب الشديد في الخلافة العثمانية ضد الشيعة ، تعصبهم لأنّهم أتراك ، والشيعة عرب ، فقد

---

(١) الذي قاده عبد الكريم قاسم سنة ١٩٥٨م.

(٢) الذي قاده عبد الرحمن عارف سنة ١٩٦٣م.

(٣) الذي قاده أحمد حسن البكر سنة ١٩٦٨م.

(٤) دام العهد الملكي قرابة ثمان وثلاثين سنة من ٢٥ تشرين الأول ١٩٢٠م واستمر إلى ١٧ تموز ١٩٥٨م وبلغ عدد الوزارات فيه تسعاً وخمسين وزارة ، احتوت على ٥٧٥ مقعداً وزارياً ، تناوب على شغلها ١٧٥شخصاً ، وبلغ عدد رؤساء الوزارات ٢٣ شخصاً أولهم عبد الرحمن الجيلاني وآخرهم أحمد مختار بابان. وتناوب على هذه الوزارات أربعةٌ وعشرون شخصاً ، عشرون منهم من الطائفة السنية وأربعة من الشيعة ، وحصل السّنة على رئاسة الوزراء أربعاً وخمسين مرّة بما فيها الحكومة المؤقتة برئاسة الجيلاني ، مقابل خمس مرات للشيعة ، وحكم السُّنّة أكثر من ست وثلاثين سنة في حين حكم الشيعة أقل من سنتين. وشغل العسكريون من الوزارات ثماني وثلاثين وزارة مقابل إحدى وعشرين وزارة شغلها المدنيون ، وتناوب على الوزارات أحد عشر شخصاً من العسكريين في حين تناوب ثلاثة عشر شخصاً من المدنيين ، علماً أن جميع الوزارات العسكرية كان يقودها السنة في حين أنّ الوزارات الشيعية الخمس كانت مدنية. للمزيد راجع كتاب «تلك الأيام» للمؤلف ﵀ وتاريخ الوزارات العراقية : ج١٠ للسيد عبد الرزاق الحسني.

أهملوا العراق أشدّ الإهمال ، وخصوصاً المناطق الشيعية منها[1] ، ممّا أثار حفيظة الشيعة وثاروا ضد الحكم العثماني في عدة جولات ، ففي كربلاء والحلة والنجف ثار الشيعة ضد الحكم العثماني ، ولكن الشيعة ونظراً لغياب الوعي السياسي لإدارة البلد بعد أن أهملهم العثمانيون لقرون متطاولة فلم يتقدموا لممارسة هذا الدور بعد استقلال العراق .

وممّا زاد في الطين بلّة ، سياسة الملك فيصل بدعم من الاستعمار البريطاني ، والقاضي بإبعاد الشيعة عن مراكز الحكم ، كما يظهر ذلك من مذكرات «مس بيل»[2] ، الجاسوسة البريطانية ، والكلام في هذا المقام كثير ، وهو خارج من موضوع هذا الكتاب وإنما ذكرناه للعبرة والاتّعاظ .

---

(١) كمناطق جنوب العراق ووسطه وعلى الخصوص العتبات المقدسة.

(٢) جرترود لو شبان بيل ، ولدت سنة ١٨٦٨م وماتت في الثاني عشر من تموز سنة ١٩٢٦م ، درست في جامعة أكسفورد ، ثم أرسلت من قبل وزارة المستعمرات البريطانية إلى سورية ونجد والعراق ، ودخلت العراق سنة ١٩٠٩م و ١٩١٠م و١٩١١م و١٩١٤م لمهام تجسّسية ، وفي سنة ١٩١٦م التحقت بالهجوم البريطاني على العراق وعملت كمستشارة للمندوب السّامي البريطاني وظلت في منصبها حتى وفاتها ودفنت في بغداد في مقبرة المسيحيين. من مؤلفاتها : «العراق في رسائل المس بيل» ؛ ترجمة جعفر الخياط ، و«فصول من تأريخ العراق القريب» ؛ ترجمة جعفر الخياط ، و«سورية البادية المعمورة» وكتاب رابع يحتوي على عشائر العراق وأصولهم ومشجرات أنسابهم.

# نوري السعيد وتمزيق الشيعة

حكم نوري السَّعيد[1] العراق مدّة طويلة ، وكان من حلفاء الغرب

---

(١) نوري سعيد صالح السعيد ، من تلاميذ لورنس ، ضابط في الأركان البريطانية ، حيث كان معه منذ صباه واشترك معه في الحرب ضد العثمانيين ، بعد أن كان ضابطاً في الجيش العثماني ، ويعد من ركائز بريطانيا في الشرق الأوسط كما وصفه الرئيس المصري جمال عبد الناصر بذلك ، ومؤيداً ومخلصاً للعلاقات مع بريطانيا ؛ كما وصفه السير موريس بيترس السفير البريطاني في العراق بين عام ١٩٣٨ـ ١٩٣٩م في كتابه «جانبا الستار» ، ولد في بغداد سنة ١٣٠٦هـ (١٨٨٨م) وقتل سنة ١٣٧٧هـ (١٩٥٨م) ، أصبح رئيساً للوزراء بين سنة ١٣٤٩هـ ـ ١٣٧٧هـ (١٩٣٠م ـ ١٩٥٨م) لأربع عشرة دورة ووزيراً للدفاع لخمس عشرة دورة ووزيراً للخارجية في إحدى عشرة دورة ووزيراً للداخلية في دورتين ، وضع إمكانات العراق وقدراته تحت تصرف البريطانيين عبر التحالف معهم ، وقد جعل العراق ضمن التكتلات الدولية والتبعية الاقتصادية وسوقاً لمنتجات الدول الاستعمارية ، يقول عنه فيصل الأول : «إن نوري السعيد كان يعتمد على الوحي الذي يأتيه من الخارج أكثر من اعتماده على رأيه أو رأي إخوانه». ويقول أحمد مختار بابان آخر رئيس وزراء في العهد الملكي في مذكراته ص٥٥ : «كان ـ نوري ـ متمسكاً بصداقة الإنجليز اعتقاداً منه بأن بلادهم هي الدولة الوحيدة التي يجب أن يركن لها العراق». ويقول ولدمار غولمان السفير الإمريكي في العراق من سنة ١٩٥٤ ـ ١٩٥٩م في كتابه «العراق في عهد

ويعتبر أيضاً من أعداء الشرق . لذا كان الهجوم الشيوعي موجّهاً بالدرجة القصوى نحوه ، وانتهى أمر نوري السعيد بأنْ قتله الشيوعيون ، وسحبوه في شوارع بغداد ، وداسوا جثته بالسيارة . وقيل : إنهم أحرقوا ما تبقى من جثته .

وكان نوري السعيد شديد العداء للشيعة ، ولذا لم يكن يسمح لهم بالتمتع بأي مركز إداري مهم ، وتجاهل إعطاءهم حتى أبسط الحقوق بل إنه بذل ما بوسعه ليمنع الشيعة من الوصول إلى الحكم ، بل رتب الأمر بحيث لا يصل الحكم إلى الشيعة مهما تطورت الظروف ، فضلاً عن

---

الجنرال نوري» عن علاقة نوري بإسرائيل : «إن تصريحات نوري السعيد العلنية عن إسرائيل كانت تختلف اختلافاً شديداً عما كان يقوله في مجالسه الخاصة . كان نوري يقول في مجالسه الخاصة : «إن وجود دولة إسرائيل حقيقة يجب أن تقبل»».

وكان نوري السعيد يكره المعارضة ولا يتحمل تأسيس الأحزاب ، يقول بابان في مذكراته ص٥٨ في هذا الصدد : «يكره المعارضة... ولا يتحمل تأسيس الأحزاب المعارضة ... وما كان يميل إلى حرية الصحافة».

وفي مكان آخر من نفس الصفحة يقول : «عليّ أن أقر أيضاً كان نوري السعيد ارتكب خطأ سياسياً آخر حين أقدم على غلق الأحزاب السياسية فإن الأحزاب المذكورة بقيت تمارس أعمالها في الخفاء ، فيما كان وجودها العلني أضمن لصيانة الأمن والنظام».

راجع «للحيطان آذان وللشوارع ألسنة» للنشاشيبي ص١٨ ، «العراق صفحات من التاريخ السياسي» للدكتور كاظم الموسوي ص ١٥ ، «مذكرات أحمد بابان» لأحمد بابان ص٥٥ ، ٥٨ . و«أعمدة الحكمة السبعة» للورنس ، «العراق في مذكرات الدبلوماسيين الأجانب» لنجدة فتحي صفوة.

حرمانهم من الأمور البسيطة كالأوقاف والإعلام.

ولم يأذن نوري السعيد بالترويج للثقافة الشيعية، ولم يسمح بتدريس التاريخ الشيعي في المدارس علماً بأن أكثر من ثمانين بالمائة من الشعب العراقي هم من الشيعة.

وكان يقول دائماً: مثلُ الشيعة مثل «البيض في السلّة»، فإذا حرّكت السلّة، كسَّر البيض بعضه بعضاً.

وكان يريد بهذا المثل وضع منهاج لضرب الشيعة بعضهم للبعض الآخر.

ولمّا كان نوري السعيد يخشى نفوذ الشيعة؛ عمل على زرع الفتن والخلافات فيما بينهم ليشغل بعضهم بعضاً[1].

والمثل الذي ذكره نوري السعيد لا ينطبق على الشيعة وحسب بل حتى السنّة أنفسهم حيث بالإمكان إلقاء الفتنة في أي وسط اجتماعي، وذلك لوجود حالة التخلف واللاوعي في البلاد آنذاك.

---

(١) لم تكن سياسة نوري السعيد تقتضي إلقاء الفتن بين الشيعة فقط بل إلقاء الفتن بين السنة والشيعة يقول طه الهاشمي في مذكراته ليوم ٧ آذار ١٩٤٠م: «وأذكر أني قلت لنوري يوماً إني أرتاب من علاقة الرتل الخامس في حادثة الاغتيال. اغتيال رستم حيدر. ومن الجائز أن عملاء الألمان حرضوا القاتل على الاغتيال ليحدثوا شغباً بين الشيعة والسنة وكان قد شاع أن القاتل كان من ألمانيا، فلما سمع نوري بهذا الخبر ارتاح له وكادت تحدث فتنة طائفية. حيث نشر نوري أن قتل رستم حيدر هو لحزازات طائفية».

فأي بلدٍ متخلّف وشعبه غير واقعي ، يكون صيداً وفيراً لشباك المستعمرين الَّذين ينفّذون خططهم في الظلام .

ومثال على ذلك الهند ، فإن الإنجليز كانوا يثيرون الفتن الطائفية والاختلافات العرقية بين المسلمين والهندوس ، وكانت عملية إثارة الفتنة عملية سهلة ولا تتطلب جهداً من الإنجليز ، فبمجرد ذبح بقرة أو تدنيس مسجد ، كافٍ لإشعال نار الفتنة .

ولم يكتف الاستعمار بزرع بذور الفتنة بين أبناء الديانة الواحدة أو بين أبناء الشرق بل امتدت مؤامراته حتى بلادهم فإيرلندا لازالت تعاني من الفتن الطائفية بين الكاثوليك والبروتستانت .

وذكرنا هذه الحكاية لنكون على أتمَّ حذرٍ ويقظة لما يُدبّر لنا في الظلام حتى لا نصبح ألعوبة بأيدي المستعمرين وأذنابهم ، أو بأيدي أصحاب الأهواء الباطلة أو الجهلاء والمتطرفين ، فيحارب بعضنا بعضاً ، حرباً كلامية في أول خطوة ثم حرب الانقسامات وتفريق الصف بأساليب رخيصة لا تكلّف المستعمرين أيَّ ثمنٍ يُذكر .

فإنَّ التحفُّظَ على وحدة الصف ووحدة الكلمة من أهم ما يقرر مصير الشعوب والأفراد ، فكلّما كان التآلف بين أفراد الشعب متيناً ، كان ذلك دليلاً على وعي الشعب ، وبالعكس كلّما زادت الفُرقة والضغينة كان ذلك دليلاً على قلة الوعي .

وبالطبع فإن التآلف نتيجته الشوكة والمنعة والقوة .

أمَّا الاختلاف فنتيجته السقوط والهوان والتأخر ، أي يُصبح الشعب نهزة الطامع ولعبة لكل منتفع .

# عداء الشيعة خدمةً للاستعمار

من الأعمال التي قامت بها الحكومة الملكية في العراق ضد الشيعة ، أنها عمدت إلى هدم آثار[1] الشيعة في مدينة كربلاء المقدسة تحت ذريعة توسيع الروضة الحسينية المباركة .

وهذه كانت كلمة حق أُريد بها باطل ، إذ كان بإمكانها لو كانت تريد التوسعة فعلاً لأقامت هذه التوسعة مع الحفاظ على الآثار من عمليات الهدم المنظمة .

فقد هدمت «مسجد رأس الحسين عليه السلام » و«مدرسة الصدر» و«المسجد الناصري» و«المدرسة الزينبية» و«مقبرة الميرزا موسى»[2] و«مدرسة حسن خان» و «مسجد حسن خان» و «مقبرة جملة من العلماء العظام كالسيد صاحب الضوابط وغيره» ، و«مقبرة سلاطين آل بويه» الذين أسدوا للإسلام أجلّ الخدمات ، والذين عمّروا البلاد طيلة أكثر من قرن من

---

(١) وقد تطرق الإمام المؤلف رحمه الله إلى تلك الآثار في مذكراته «تلك الأيام».

(٢) وقد دفن في هذه المقبرة علماء أجلاء أقامت السلطات الحكومية عليها إحدى الأبواب الرئيسية للروضة.

الزمن . و«الصحن الصغير» أيضاً تم هدمه .

كما وقام ياسين الهاشمي[1] الذي يُعدُّ من خَدَمَةِ التاج البريطاني ومن ألدّ أعداء المسلمين الشيعة ، قام بهدم «منارة العبد» في حرم الإمام الحسين عليه السلام .

وكان وراء ذلك سياسة طمس آثار الشيعة حتى لا تقوم للشيعة أية قائمة ، وإني لأرى أن من واجب المسلمين إعادة بناء كل تلك الآثار الإسلامية المهدمة ، وحديثنا حول الآثار الشيعية في كربلاء المقدسة ، جاء كمقدمة للحديث عن موضوع مهم هو الموقف من ذلك الهدم .

---

(١) ياسين حلمي سلمان الهاشمي ، ولد في بغداد سنة ١٨٨٤م ومات في ٢١ كانون الثاني سنة ١٩٣٧م ، ودفن في سوريا بجوار صلاح الدين الأيوبي ، أحد أعضاء جمعية العهد ، تولّى قيادة أحد فيالق العثمانيين ، كان على ارتباط بفيصل الأول ، وقد عيّنه فيصل رئيساً للأركان أيام حكومته في سوريا سنة ١٩١٨م ، دخل العراق سنة ١٩٢٢م ، وشغل عدة مناصب وزارية فيه كالأشغال والمواصلات والأوقاف والمالية ، وشغل منصب رئيس الوزراء سنة ١٩٢٤م وسنة ١٩٣٥م. يعد من أعمدة الاستعمار البريطاني في العراق ، تقول عنه الجاسوسة البريطانية ، المس بيل: «أعتقد أن ياسين رجل القدر». أطلق عليه العراقيون لقب «أتاتورك العراق» ، لقساوته وعنفه وطغيانه ، فقد أخذ على عاتقه تصفية الحوزات العلمية وحل جميع الأحزاب ومنع إجراء مراسم الشعائر الحسينية حتى إنه هدم مأذنة حرم الإمام الحسين عليه السلام سنة ١٣٥٧هـ واستخدم العنف في تطبيق التجنيد ، هرب إلى بيروت سنة ١٩٣٦م وبقي هناك إلى موته.

# عندما يختلف العلماء!!

قام المرحوم الوالد[1] ﭬ مع جملة من العلماء الأعلام بالإضراب عن التدريس ، وإيقاف جميع الأنشطة الاجتماعية والدينية كصلاة الجماعة

(١) السيد ميرزا مهدي بن حبيب الله الشيرازي ، ولد في مدينة كربلاء المقدسة سنة ١٣٠٤هـ وتوفي في شهر شعبان من سنة ١٣٨٠هـ عن عمر يناهز الست والسبعين سنة ، تنقل في طلب العلم بين كربلاء وسامراء والكاظمية والنجف ، تتلمذ عند الشيخ الخراساني والسيد اليزدي والشيخ محمد رضا الهمداني والسيد علي؛ نجل المجدّد الشيرازي والميرزا النائيني والشيخ محمد تقي الشيرازي ، آلت إليه المرجعية بعد وفاة السيد حسين القمي سنة ١٣٦٦هـ ، شارك في ثورة العشرين ، وفي سنة ١٣٦٠هـ (١٩٤١م) أفتى بطرد الإنجليز من العراق ، وفي نهاية الخمسينات وقف بوجه المدّ الشيوعي وأصدر فتوى بتكفيرهم ، وتصدى سنة ١٣٦٠هـ لانحرافات الشاه الذي سعى لنشر التبرّج والخلاعة في إيران ، ودعاه إلى الالتزام بالأحكام الشرعية في الأوقاف وفي منع الاختلاط في المدارس ووجوب تدريس الأحكام الشرعية في المدارس وتحسين الوضع الاقتصادي العام ، كما وقف بوجه المدّ القومي في زمن عبد السلام عارف. من مؤلفاته المطبوعة: ذخيرة العباد ، ذخيرة الصلحاء ، الوجيزة ، تعليقة على العروة الوثقى ، تعليقة على وسيلة النجاة. ترجمته في كتاب «أسرة المجدّد الشيرازي» لنور الدين الشاهرودي وكتاب «أضواء على حياة الإمام الشيرازي» ، وكتاب «تراث كربلاء» للسيد سلمان آل طعمة.

ومقابلة الناس ، الأمر الذي أدى إلى نتائج إيجابية حيث مارست ضغطاً كبيراً على الحكومة التي أجبرت وكفّت عن ممارسة سياستها ضد الآثار الشيعية . لكن وللأسف الشديد ضاع جميع ما تمَّ إنجازه من خلال الإضراب عندما بدأ عالمان بخرق تعاهد العلماء على الإضراب ، فقد أغرت السلطات هذين العالمين ، وحرَّضت العلماء الباقين على إيقاف الإضراب ، فانقسم العلماء إلى جبهتين ، جبهة مع الإضراب وجبهة ضد الإضراب ، ووقعت مصادمات كلامية بين الطرفين ، الأمر الذي حقّق للسلطة ما كانت تبغيه . وهكذا نجحت الحكومة في تطبيق قاعدة «فرِّق تسد» ، عندها قرّرت الحكومة مواصلة هدم ما تبقى من الآثار الشيعية ، وهكذا كلّما اجتمعت الكلمة وتوحَّدت السواعد ، شكّل ذلك أكبر تهديد للحكومة ، وكلَّما اختلفت الأصوات ، وقع الفشل ، وتفرَّقت الأمة تبعاً لذلك .

ولكي لا تقع مثل تلك الحوادث ، أرى من الواجب في ظرفنا الراهن في ظلِّ تمزُّق المرجعية وتفرُّقها ، أن يكون لعلماء كلِّ بلدٍ مجلسٌ استشاريٌّ ، يكون سنداً لهؤلاء العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي تقديم الإسلام إلى الأمام .

وهذا ؛ لا يتحقق إلاّ بقيام الأطراف بتقديم بعض التنازلات من أجل الهدف الكبير ، وبالطبع فإنّ الفوائد التي تجنيها الأطراف المرجعية أكبر من خسائرها عند تنازلها عن أهدافها وطموحاتها الشخصية .

وقد قامت على هذا المبدأ «جماعة العلماء»[1] في سنة ١٣٧٨ للهجرة في مدينة كربلاء المقدسة للقيام بالخدمات الاجتماعية ، وكما نشأ «مجلس المبلغين» ، لتوحيد جهود العلماء ، وصبّها في الهدف المشترك ، كما واستهدف مجلس المبلغين توحيد الطاقات الخطابية ، ووضع استراتيجية للتبليغ الحسيني ، وقد كان لهاتين المؤسستين دورٌ مهم في تاريخ كربلاء .

---

(١) أسّسها الإمام الشيرازي ﷺ إبان الامتداد الشيوعي على أرض الرافدين وهي تضم شخصيات وعلماء من مدينة كربلاء المقدسة والنجف الأشرف ، وعقدت أول جلساتها في جمادى الأولى من نفس السنة ، وقد حظيت هذه الجماعة بمباركة الإمام السيد مهدي الشيرازي والإمام السيد محسن الحكيم وغيرهم ، للتفصيل عن تشكيل هذه الجماعة راجع مذكرات الإمام المؤلف ﷺ : «تلك الأيام» ص١٢٦ تحت عنوان : هكذا شكلت جماعة العلماء.

# الأيوبي وسلاح التفرقة

لقد منيت الأمّة الإسلامية بخسائر فادحة إثر الأخطاء الكبيرة التي ارتكبها صلاح الدين الأيوبي[1] ، والتي انعكست آثارها ونتائجها

---

(١) صلاح الدين يوسف بن نجم الدين بن شادي الأيوبي ، ينحدر من سلالة فرنسية من جهة الأم ؛ كما صرح بذلك الدكتور الفرنسي لويس بوزيه في محاضرة ألقاها في مؤتمر صلاح الدين الأيوبي في نيسان من سنة ١٩٩٤م ، هاجر جدّه شادي مع ولديه نجم الدين وأسد الدين إلى بغداد وعيّن على قلعة تكريت ، ويعد مؤسس الدولة الأيوبية والتي أسماها باسم عائلته واستمر حكمها من سنة ٥٦٤هـ (١١٦٩م) وإلى ٦٤٨هـ (١٢٥٠م) ، وأطيح بها من قبل المماليك ، وقد حكموا مصر وبلاد الشام وبعض بلاد العراق والجزء الجنوبي من شبه جزيرة العرب ـ اليمن ـ ، وعدد حكامها ثمانية أشخاص ، أولهم : صلاح الدين وآخرهم نوران شاه. ولد صلاح الدين في تكريت سنة ٥٣٢هـ (١١٣٧م) ، وعاش في الشام عشر سنوات ، في عهد نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي ثم ذهب مع عمه أسد الدين شيركوه إلى مصر مع ثمانية آلاف فارس حيث أرسلهم نور الدين زنكي ، استجابةً لدعوة الخليفة الفاطمي ـ العاضد ـ الذي طلب مساعدته كراراً للردّ على الصليبيين ، الذين زحفوا على عسقلان حتى وصلوا إلى «بليس» وهددوا القاهرة ثم تقهقروا عنها دون قتال ، وأن نور الدين قبل مساعدة العاضد بشرط أن يمتلك ثلث مصر ، وعندما وصل شيركوه إلى القاهرة ، عهد إليه العاضد منصب الوزارة والذي بقي فيها مدة

..................................................................................

شهرين وخمسة أيام ، حيث وافاه الأجل ، ثم عهد من بعده لصلاح الدين ، ولكن صلاح الدين سعى للتخلص من العاضد ، فانقلب على الحكم وقضى على الدولة الفاطمية وخطب للعباسيين واعترف بسلطة الخليفة العباسي صورياً سنة ٥٦٦ هـ (١١٧١م) ، وقد حكم مصر أربعاً وعشرين سنة من ٥٦٤هـ (١١٦٩م) ، ومات سنة ٥٨٩ هـ (١١٩٣م) عن عمر يناهز السبع والخمسين سنة ، واشتهر صلاح الدين بالإدمان على الخمر وارتكاب الفواحش؛ وهذا ما صرح به أحد أعوانه وهو ابن شدّاد في كتابه النوادر السلطانية ، وكذا ذكره سير أعلام النبلاء ج١ ص٢٧٩ وزبدة الحلب في تاريخ حلب المجلد الثاني ، اتّسم حكمه بالديكتاتورية والاستبداد وأجبر الناس على اعتناق المذهب الشافعي ، وحارب مذهب الشعب المصري وهو مذهب التشيع ، وحبس علماءهم وكان يتتبع آثارهم لقتلهم ، فقد قتل الفيلسوف السهروردي ، وعزل قضاة الشيعة وصلب بعضهم ، أمثال: هبة الله بن كامل وعبد الصمد الكاتب وداعي الدعاة بن عبد القوي ، وكان يقتل كل من يمدح أهل البيت عليهم السلام أو يذكر فضائلهم فيقطع لسانه ويديه ثم يرجمه ، كما قتل الشاعر عمارة اليمني ، وكان يأخذ الضرائب والمكوس من الشيعة لتشيعهم وأقلها خمسمائة ألف درهم ، وقد أحرق المكتبات سنة ٥٧٤هـ بعد أن أضرم النار فيها. وألقى بعضها الآخر في نهر النيل وترك قسماً منها في صحراء سيناء فسفت عليها الرياح حتى صارت تلالاً ، عرفت بتلال الكتب ، كما أن حمّامات القاهرة بقيت ستة أشهر تحرق الكتب لتسخين المياه في مراجلها وبعض هذه الكتب بيع وبعضها أخذه العبيد والإماء متّخذينها أحذية لهم!. ومن المكتبات التي أحرقها «خزانة الكتب» التي أنشأها «العزيز بالله» سنة ٣٦٥ هـ؛ وكانت تحتوي على مليونين وستمائة ألف كتاب في جميع العلوم ، يقول جرجي زيدان في تأريخ التمدن الإسلامي: ج٢ ص٢٢٩ : «كانت تحتوي على ثمانية عشر ألف كتاب في العلوم القديمة وستة آلاف وخمسمائة جزء من كتب النجوم والهندسة والفلسفة ، وكان فيها ٢٤٠ ختمة قرآن بخطوط منسقة مزينة بالذهب ومجلدة بشكل نفيس وكان

السياسية إلى الوقت الراهن ، ومراجعة سريعة للتاريخ ، نشاهد بوضوح تلك الخسائر الجسيمة والتي يمكن تلخيصها بما يلي :

١ـ إنّ صلاح الدين الأيوبي كان من قادة الدولة الفاطمية في مصر حيث أوكلت إليه مهمة محاربة الصليبيين[1] الغزاة لكنه عندما وجد الفرصة

---

فيها ١٢٠٠ نسخة من تأريخ الطبري» ، وأحرق «دار الحكمة» التي أنشأها «الآمر بالله» سنة ٣٩٥ هـ وكانت تضم أكثر من مائة ألف كتاب. ويقول الدكتور ألكسندر ستيفيتش في كتابه تاريخ الكتاب القسم الأول: ص١٤٣ ما نصه: «وقد سجلت نهاية العصر الفاطمي بداية انهيار المكتبات الكبرى في القاهرة فقد أدى النهب والحرائق واللامبالاة إلى القضاء على قسم كبير من ثروة المكتبات التي كان الخلفاء الفاطميون وهم من محبي الكتب قد أنفقوا عليها الكثير من اهتمامهم وثروتهم» ، ومن الجرائم التي تفرد بها أنه فرق بين رجال الشيعة ونسائهم بعد أن سجنهم مصفدين بالسلاسل والقيود حتى لا يتناسلوا ، وجعل يوم العاشر من المحرم ـ يوم استشهاد سبط الرسول الأكرم ﷺ ـ يوم عيد ، نكاية بالإمام الحسين عليه السلام ، ومنع ذكر «حيَّ على خير العمل» في الأذان وصادر أموال الناس وأعطاها لجنده وغير ذلك ممّا يندى له جبين كل صاحب شرف وغيرة ودين وإنسانية ، لمزيد من التفصيل راجع كتاب صلاح الدين الأيوبي بين العباسيين والصليبيين والفاطميين للباحث حسن الأمين.

(١) مجموعة حروب شنها الغربيون على بلاد الإسلام ، عرفت بالحروب الصليبية واستمرت طيلة قرنين من الزمن منذ سنة ٤٩٠هـ (١٠٩٦م) وإلى سنة ٦٩١هـ (١٢٩١م) ، وكان ذلك في زمن البابا أُربان الثاني وبمساعدة بطرس الناسك بعد أن دعا الأول إلى مؤتمر «كلير مون» الذي عقد في فرنسا في ذي القعدة سنة ٤٨٨هـ (تشرين الثاني ١٠٩٥م) ؛ لتأليب المسيحيين ضد المسلمين والتحريض لهذه الحروب ، واستجاب ملك فرنسا لأربان الثاني. وعدد هذه الحروب ثمانية ،

المناسبة قلب لها ظهر المجن ، وانقلب على الفاطميين ، وأسقط دولتهم ، وقام بتقسيم البلاد في وقت كانت فيه بأحوج ما تكون إلى الوحدة ، حيث تواجه مصر أخطار القوى الصليبية الغازية ، بل إنه سعى إلى تمزيق العالم الإسلامي.

٢ـ كما وأنّ صلاح الدين لم يكتف بتقسيم البلاد إلى مصر وسوريا بل قام أيضاً بنقل الحرب الخارجية التي كانت ضد الصليبيين إلى حرب داخلية بين السنّة والشيعة ، فأخذ بمطاردة الشيعة وقتلهم وتشريدهم وحرق مكتباتهم وأسر واغتصاب نسائهم[1] ، وكانت المحصلة النهائية هي

---

واشتركت فيها أغلب الدول الأوربية كفرنسا وألمانيا وإنجلترا وأسكتلندا وإيطاليا ، وإن الدوافع لهذه الحروب عند الأوربيين تتجسد في النزعة الدينية والتخلص من المشاكل التي يثيرها رجال الشمال ومن نظام الإقطاع وسيادة الملاّك ، حيث رأى الفلاحون والعبيد مشاركتهم في الحرب تعني التخلص من أسيادهم وفرصة للنجاة من الفقر والمجاعة والعوز ، والذهاب إلى بلاد الشرق التي عرفت بامتلاك الخيرات ، وخلال هذه الحروب ذهب الكثير من المسلمين بين قتيل وأسير ومعاق ، وانتهكت الأعراض وأحرقت المكتبات وهدمت البلاد ، وعبر هذه الحروب بث الغربيون فكرة فصل الدين عن السياسة حتى يتساوى الذّمي والمسلم ، وعبرها كذلك نقل الغربيون الهندسة الحربية والنمط الهندسي المعماري الإسلامي والحرير والأنسجة الدمشقية والأرجوان والمرايا والكثير من الكتب الإسلامية إلى بلادهم. راجع: الحروب الصليبية للدكتور حسن حبش.

(١) فقد قتل صلاح الدين مليون مسلم شيعي وسجن عشرة آلاف شخص منهم ذكوراً وإناثاً وبكافة الأعمار بعد أن صادر ما يملكون ؛ حيث سجن الذكور كهولاً وشباباً

إضعاف البلاد داخلياً حتى عجزت عن مواجهة القوى الصليبية .

٣ـ ثم إنه لم يكتف بهذا القدر من تفريق الأمة وتشتيت طاقاتها بل إنه عمد عند موته إلى توزيع ما تحت يده من البلاد بين أبنائه ، وكأنّ البلاد الإسلامية هي ميراث لأجداده وآبائه ، ضارباً بعرض الحائط كل القوانين الإسلامية التي تؤكد على ضرورة الانتخابات الحرة والشورى وما أشبه ذلك[1] .

وبهذه الخطوة الجديدة ضعفت البلاد الإسلامية أكثر فأكثر ؛ لأنَّ أبناء

---

وأطفالاً في سجن مدى الحياة ، مصفّدين بالسلاسل والقيود ، وسجن النساء عجائز وصبايا في سجن آخر وبنفس الصفة والطريقة ، ومنعوهم من التناسل ؛ لتنقطع ذرية الشيعة ، واستمر هذا الحال بالمساجين سنوات متتالية حتى انقرضت الدولة الأيوبية.

(١) مثلاً أعطى لولده عثمان ـ الملقب بالعزيز. مصر ، وأعطى لأكبر أولاده ، الأفضل دمشق وما حولها ، ولولده ، الظاهر حلب وما إليها ، ولابن أخيه المنصور ، حماه ، ولابن عمه محمد بن شيركوه ، حمص والرحبة ، ولأخيه العادل ـ أبو بكر ـ ، الجزيرة وما حوتها ، ولأخيه ـ طغتكين ـ اليمن ومعاقلها ، وأعطى لأمجد بهرام شاه بعلبك وأعمالها ، وأعطى للظافر بن الناصر بصرى وأعمالها ، وأن ورثته لم يقتنعوا بما تحت أيديهم بل تنازعوا وتقاتلوا ، وبدل أن يحاربوا الزحف الصليبي ، حارب بعضهم بعضاً ، بل استعانوا بالصليبيين على بعضهم ، مثلاً : الكامل والأشرف ولدا عادل أخي صلاح الدين تبادلا الرسل مع الملك الصليبي فردريك الثاني إمبراطور الروم ؛ ليساعدهما على أقربائهما لقاء صفقة تسليم القدس وما حولها ومعها الناصرة وبيت لحم وطريقاً يصل بين القدس وعكا وذلك سنة ٦٢٥هـ (١٨ شباط ١٢٢٩م).

صلاح الدين أخذوا يتنازعون ، وأخذ بعضهم يكيد للبعض الآخر كما هو مألوف عند أبناء الملوك في العادة ، وبدلاً من أن يجمعوا قواهم ويستعدوا لمحاربة الصليبيين ولإيقاف زحفهم الغادر استنزفوا قواهم في صراعات داخلية لم يجنوا من ورائها سوى الخيبة والعار الأبدي .

وإني لأظن ـ استنتاجاً من المقدمات والأشباه والنظائر ـ أنّ صلاح الدين كان من عملاء الصليبيين الذين تآمروا على المسلمين في تمزيق صفّهم[1] ، وأمثال صلاح الدين الأيوبي كثيرٌ في بلادنا الإسلامية الذين يعملون لصالح الصهيونية والغرب ؛ في الوقت نفسه يظهرون العداء للصهاينة .

وقد كشفت الصحف والإذاعات قسماً كبيراً من هؤلاء العملاء والجواسيس ، بينما لم يكن في الزمن السابق تلك الصحف والاذاعات التي تكشف عن تلك العلاقة الخفية بين صلاح الدين الأيوبي والصليبيين .

وقد ظهر بعض آثار تلك العلاقة من خلال تصرفاته وأعماله التي كان حصيلتها ما يلي :

١ ـ أظهرت حروب صلاح الدين المسلمين على أبشع الصور ،

---

(١) مثلاً : إن صلاح الدين كان يراسل الصليبيين لعقد الصلح معهم وكان الوسيط بينه وبينهم أخاه العادل.

وأبرزتهم قوة متخلّفة متطاحنة وممزّقة ، فلم يترك صلاح الدين جريمة إلاّ وارتكبها من قتل العلماء ، وهتك الأعراض ، وتشريد المفكرين ، وإحراق المكتبات ، ومصادرة أموال وعقارات الناس ، وأخذ الضرائب العالية من العمال والفلاحين والمزارعين ، وكل هذه الأعمال التصقت بالإسلام ، وكان لها رد فعل سيء عند غير المسلمين .

لقد أعاد صلاح الدين الأيوبي ذكرى الجرائم البشعة التي اقترفها كلٌّ من : بُسُر بن أرطأة[1] ،

---

(١) بسر بن أرطأة العامري ، ولد بمكة قبل الهجرة وأصابه الجنون أواخر حياته وهلك سنة ٨٦ هـ ، عرف بقساوة قلبه وسفكه للدماء ، شارك مع معاوية في واقعة صفين وضربه الإمام علي عليه السلام فصرعه ولكن بسراً كشف عن عورته فكفَّ عنه الإمام عليه السلام ، وقال مالك الأشتر للإمام عليه السلام حين سقط بُسر على الأرض : «هذا بسر بن أرطأة ، عدو الله وعدوك . فقال عليه السلام : دعه ، عليه لعنة الله ، أَبَعْدَ أن فعلها ؟» وفي ذلك يقول الحارث بن النضر :

أفي كلِّ يوم فارس غير مُنتهٍ ... وعورته وسط العجاجة بادية

يكفُّ لها عنه علي سنانه ... ويضحَكُ منها في الخلاء معاوية

بدت أمس من عمرو فقنّع رأسه ... وعورة بسرٍ مثلها حذو حاذية

ولا تحموا إلاّ لحَيًا وخصاكُما ... هما كانتا والله للنفس واقية

أرسله معاوية لمحاربة أهل المدينة ومكة سنة ٤٠هـ بثلاثة آلاف مقاتل ؛ حيث قال له : «سر حتى تمرّ بالمدينة فاطرد الناس وأخف من مررت به وانهب أموال كل من أصبت له مالاً ممّن لم يكن قد دخل في طاعتنا» ، وكذلك قال له : «من لا يبايع اقتله» كما ذكر ذلك أبو إسحاق في كتابه الغارات : ص٤١٥ ، وعندما دخل المدينة ، هدم بيوتها وقتل

ومســــــــــلم بـــــــــن عقـــــــــبة المـــــــــــري[1] ،

---

الرجال والأطفال وأحرق بعضهم بالنار ، وسبى النساء ؛ فكن أول مسلمات سبين في الإسلام ، وقد باع معاوية النساء المسلمات المسبيات في الأسواق ، فكان يكشف عن سيقانهن فأيّها أعظم ساقاً تشترى بثمن غالٍ ، وقد أكره الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري على البيعة لمعاوية ، وعندما أرسل معاوية بسر بن أرطأة إلى اليمن ليقتل شيعة علي ويأخذ البيعة لمعاوية وكان عليها عبيد الله بن العباس والي الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، هرب عبيد الله حين أحسّ بهجوم بُسُر عليه وعندما دخل بُسُر اليمن ، فعل ما فعل بأهل المدينة ، وسبى النساء وقتل الأطفال حتى إنه ذبح القثم وعبد الرحمن ، طفلي عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وكانا في حجر أمهما ، جويرية الكناني ، وعندما شاهدت أمهما هذا المنظر انهارت وأخذت تنشد :

يا من أحس بابني اللذين هما ... سمعي وعقلي فعقلي اليوم مختطف

حدثت بسراً وما صدقت ما زعموا ... من قبلهم ومن الإثم الذي اقترفوا

أنحى على ودجي ابني مرهفه ... مشحوذة وكذاك الإثم يقترف

راجع تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر : المجلد العاشر ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج٢ ص١٧ ، أسد الغابة : ج١ ص١٧٩ ، مروج الذهب : ج٣ ص٣٠ ، الاستيعاب : ج١ ص٢٤٢ ، الغارات : ص٤٠٤ ، وقعة صفين : ص٢١٦ . ، السيرة النبوية : ج٣ ص٤٠ .

(١) مسلم بن عقبة المرّي ، وسُمّي بـ«مسرف» ؛ لكثرة سفكه للدماء ، قاد جيشاً من أهل الشام لقتال أهل المدينة قوامه خمسة آلاف في ٢٨ ذي الحجة سنة ٦٤هـ ، وقيل : ٦٣هـ ، حيث قال له يزيد بن معاوية تنفيذاً لوصية أبيه : «واجعل طريقك على المدينة فإن حاربوك فحاربهم وإن ظفرت بهم فأبحهم ثلاثاً». وتقاتل مع أهل المدينة وكان أميرهم عبد الله بن حنظلة ، غسيل الملائكة ، وقُتل عبد الله مع سبعمائة من المهاجرين والأنصار والموالين ؛ كما ذكر ذلك في البداية والنهاية : ج٨ ص٢٢٢ ، بالإضافة إلى عشرة آلاف شخص من الرجال والنساء والأطفال ، ودخل «مسرف» المدينة وأباحها ثلاثة أيام لجنوده وسرقوا أموالهم وممتلكاتهم وهتكوا أعراضهم.

والحجـــاج بـــن يوســـف الـــثقفي[1] ، وزيـــاد

---

وقد ورد في التاريخ أنهم زنوا في المسجد النبوي حتى وَلَدت ألف امرأة بكر من الزنا بعد الواقعة وعرفوا بأولاد «الحرّة» ، وأخذوا الناس على أن يبايعوا أنهم عبيد ليزيد ؛ فكان الرجل من قريش يؤتى به فيقال : بايع على أنك عبد قن للخليفة ، فيقول : لا ، فيضرب عنقه ، وبعد أن فعل الأفاعيل بالمدينة ، توجه إلى مكة لقتال عبد الله بن الزبير الذي رفض البيعة ليزيد بن معاوية ، ومات في الطريق في منطقة تعرف بـ«الغدير» ، واستخلف الحصين بن النمير لقيادة الجيش والذي رمى الكعبة بالمنجنيق وانهدمت واحترقت.

(١) الحجاج بن يوسف الثقفي ، ولد في الطائف سنة ٤١هـ (٦٦١م) ، وانتقل إلى الشام ودخل في خدمة الدولة الأموية ؛ فاشترك في الجيش الذي قاده عبد الملك بن مروان لقتال مصعب بن الزبير ، وفي سنة ٧٠ هـ (٦٨٩م) ولاّه عبد الملك قيادة الجيش الذي أرسله لقتال عبد الله بن الزبير في الحجاز فسار نحو مكة وضرب الكعبة بالمنجنيق من جبل أبي قبيس وتغلب على ابن الزبير وصلبه ، وظلّ بالحجاز حتى سنة ٧٤هـ (٦٩٤م) ، ثم ولاّه عبد الملك بن مروان الكوفة ، وقتلته بعوضة سنة ٩٥ هـ (٧١٤م) ، وعاش ٥٣ سنة ، يعدُّ من أسوأ عمّال بني أمية ، أسهم في توطيد حكمهم ، وقد وصف الحجاج نفسه كما عن ابن سعد في «الطبقات» ج٦ ص٦٦ : «ما أعلم اليوم رجلاً على ظهر الأرض هو أجرأ على دمٍ مني» ، وقد وصفه خير الدين الزركلي في كتابه «الأعلام» : «وكان سفاكاً سفاحاً باتفاق معظم المؤرخين» ، وقال عنه اليافعي في «مرآة الجنان» : « إنّ أكبر لذّته سفك الدماء» ، ووصفه عمر بن عبد العزيز قائلاً : «الوليد بالشام والحجّاج بالعراق وقرّة بمصر وعثمان بن حيان بالحجاز ، امتلأت والله ، الأرض جوراً» ، اتّسم حكمه بالقتل والبطش ، ومثال على ذلك : قال الحجاج لخالد بن يزيد بن معاوية : «ولقد ضربت بسيفي هذا أكثر من مائة ألف ، كلهم يشهد أنك وأباك وجدك من أهل النار» انظر مسالك الإبصار : ص١٢٣ ، كما ذكر المسعودي في «التنبيه والإشراف» ص٢١٨ : «إن عدد من

قتلهم الحجاج صبراً بلغ مائة وثلاثين ألفاً عدا من قتل في زحوفه وحروبه» ، وفي «تاريخ الخلفاء» للسيوطي و«الإمامة والسياسة» لابن قتيبة ، أن عبد الملك لما كتب إلى الحجاج يأمره بالمسير إلى العراقيين ويحتال لقتلهم ، فلما دخل المسجد في البصرة وقد حان وقت الصلاة صعد المنبر فحمد الله ثم قال: «أيها الناس ، إن الأمير عبد الملك قلدني بسيفين حين توليته إيايّ عليكم سيف رحمة وسيف عذاب ونقمة ، فأما سيف الرحمة فسقط في الطريق ، وأما سيف النقمة فهو هذا» ، فجعل السيوف تبري الرقاب فقتلوا من المسلمين بضعة وسبعين ألفاً حتى سالت الدماء إلى باب المسجد وإلى الطرق. وقد ذكر الميرزا حبيب الله الخوئي في «منهاج البراعة»: ج٣ ص ٣٥٩ ما لفظه : «وأحصي من قتل بأمره - الحجاج - سوى من قتل في حروبه فكان مائة ألف وعشرين ألفاً ووجد في سجنه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة ، ولم يجب على أحد منهم قتل ولا قطع ، وكان يحبس الرجال والنساء في موضع واحد لا سقف له ، فإذا آوى المسجونون إلى الجدران؛ يستظلون بها من حرّ الشمس ، رمتهم الحرس بالحجارة ، وكان طعامهم خبز الشعير مخلوطاً بالملح والرماد. وقريب من هذا المعنى في كتاب: «شجرة طوبى: ج١ ص١٢٨» ، وقال الشيخ عباس القمي في «وقائع الأيام»: «إنّ ١٥ ألف امرأة من سجنائه كن حافيات عاريات». وقد أذلّ المسلمين بتصرفاته؛ يقول صاحب كتاب «أُسد الغابة» عندما ولي الحجاج المدينة ثلاثة أشهر ، عبث فيها واستهزأ بأصحاب الرسول صلى الله عليه وآله ، فقد : «ختم الحجاج في عنق سهل الساعدي وأنس بن مالك وفي يد جابر ، يريد إذلالهم». وقتل: كميل بن زياد وسليم بن قيس وقنبر مولى الإمام علي عليه السلام وسعيد بن جبير الذي كان عمره ٩٩ سنة. والذي وصفه أحمد بن حنبل قائلاً: «ما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه» ، وقتل عبد الرحمن بن أبي ليلى وابن أم طويل رضي الله عنه – وهو من حواريي الإمام السجاد عليه السلام - بعد أن قطع يديه ورجليه. وكان الحجاج يأمر بالشخص فيقتل ثم يمد على جسمه السماط ويأكل ويقول: إني ألتذّ أن أرى أطراف السماط تتراقص

أمامي على أجساد القتلى وأن آكل على مثل هذا السماط. وقد ذكر في التاريخ أنه نبش اثنين وعشرين ألفاً من القبور في ضواحي الكوفة ، ويروى أن موظف الضرائب من قبل الحجاج دخل على إنسان وطالبه بزكاة أغنامه فقال له الرجل: ليس عندي زكاة لأن ماشيتي ماتت بسبب البرد ، فرجع الموظف إلى الحجاج وبدل أن يخبره بالحقيقة ، ذكر أن الرجل يرفض الإيمان بالزكاة. واستغل الحجاج الموقف فأمر بإحضار الرجل. وقال له: كيف لا تؤمن بالزكاة ؟ قال الرجل: والله ، إني مسلم ولا يسع المسلم إلاّ أن يؤمن بالزكاة. فقال له الحجاج: إذاً كيف قلت إنك لا تؤمن بالزكاة ؟ قال الرجل: لم أقل ذلك ، إنما قلت: ليس عندي ما يتعلق به الزكاة. ولم يقتنع الحجاج ، فقال للرجل: لا بد أن يكون لك قلب أكبر من قلوب الآخرين ولهذا تجرأت على رد كلامي. ثم صاح: أيها الجلاد ، أخرج لي قلبه. وبعد لحظات كان النطع ينتظر الرجل حيث شدّوا يديه وربطوا رجليه ثم مدّوه وشقّوا صدره وأخرجوا قلبه وقدّموه إلى الحجاج ، وكان القلب لا يزال يضطرب. ولما أخذه الحجاج ضحك ضحكة صفراء ثم قال: لا ، لم يكن قلبه أكبر ، ردّوا إليه قلبه وادفنوه. للمزيد من المعلومات عن جرائمه راجع كتاب «الشيعة والحاكمون» وكتاب «الشيعة في الميزان» لمحمد جواد مغنية ، البداية والنهاية لابن كثير: المجلد التاسع ، مروج الذهب للمسعودي: المجلد الثالث ، تهذيب التهذيب: المجلد الثاني ، مستدركات أعيان الشيعة المجلد الأول ، الصياغة الجديدة: ص٥٤٦.

(١) زياد ابن سمية والمشهور بـ(زياد بن أبيه) ، ولد في السنة الأولى للهجرة (٦٢٢م) ، ينتسب تارة إلى العبد الرومي عبيد الثقفي ـ لقول الرسول ﷺ: (الولد للفراش وللعاهر الحجر). وكان عبيد زوجاً لسمية وواقعها أبو سفيان سفاحاً ـ وأخرى إلى أبي سفيان ، استلحقه معاوية سنة ٤٤هـ (٦٦٤م) عندما رآه معاوية من طلاب الدنيا لقصة مفادها: أن أبا سفيان أتى الطائف فنزل على رجل يبيع الخمر يقال له: أبو مريم ، فقال له أبو سفيان: قد اشتهيت النساء. فقال أبو مريم: هل لك في سمية ؟

القسري[1] ، والمهدي ابن المنصور

---

فقال أبو سفيان : هاتها على طول ثدييها ووفر بطنها ، فواقعها فولدت زياداً. وقال معاوية : نزل من ظهر أبي ، وشهد أبو مريم عند معاوية عندما أراد إلحاق زياد قائلاً : إني رأيت أستي سمية يقطران من مني أبي سفيان ، ولاّه معاوية الكوفة ثم البصرة وخراسان والهند وعُمان ، وقال له : «اقتل من كان على دين عليٍّ ورأيه» ، وكان يأخذ بالظنة ويعاقب بالشبهة ، وقد حمل الصحابي حجر بن عدي وأصحابه إلى معاوية في سلاسل على جمال ، اكتراها لهم صعاباً ، وكان يبطش بشيعة أهل البيت عليهم السلام ، يقول الميرزا حبيب الله الخوئي في كتابه منهاج البراعة : ج٧ ص ١٤١. ١٤٢ ما لفظه : قتل زياد من شيعة العراق تحت كل كوكب وتحت كل حجر ومدر وأغاضهم وقطع الأيدي والأرجل منهم وصلبهم على جذوع النخل وسمل أعينهم وطردهم وشرّدهم حتى انتزحوا من العراق فلم يبق بها أحد منهم إلاّ مقتولاً أو مصلوباً أو طريداً أو هارباً ، ومات سنة ٥١هـ (٦٧١م) ؛ كما ذكره اليعقوبي ، وقيل : سنة ٥٣هـ (٦٧٣م). للتفصيل راجع : لسان الميزان : ج٢ ص٤٩٣ ، سير أعلام النبلاء : ج٣ ص٤٩٤ ، شذرات الذهب : ج١ ص٥٩ ، مرآة الجنات : ج١ ص ١٢٦ ، ميزان الاعتدال : ج٢ ص٨٦ ، الطبقات الكبرى : ج٧ ص٩٩ ، منهاج البراعة : ج٧ ص١٤١ ، العقد الفريد : ج٥ ص٦ ، الكامل في التاريخ : ج٢ ص٤٧٤.

(١) خالد بن عبد الله القسري ، الذي عرف بالقتل والبطش والدهاء والقسوة ، ولاّه الوليد بن عبد الملك مكة والمدينة ، وكان على صلة بالحجاج في مطاردة أصحاب الأئمّة عليهم السلام وشيعتهم ، وكان يسب ويلعن أصحاب رسول الله على المنبر ، وفي فترة ولايته أخذ يطارد محبّي أهل البيت عليهم السلام فأصدر أمراً لأهل الحجاز وتوابعها يحملهم فيه مسؤولية إيواء كل من يأتي فارّاً من حكومة الحجاج وتعريضهم لأقسى العقوبات ، وفي فترة ولايته ، صادر أراضي الناس وجعلها ملكاً له ، أخذ يتعطف على النصارى ويعيّنهم في سلك الدولة ، محاباة لأخواله ؛ إذ كانت أمه نصرانية. قتل سنة ١٢٠هـ (٧٣٨م) من قبل هشام بن عبد الملك.

العباسي[1] والمتوكل العباسي[2] ، ومن على شاكلتهم .

---

(١) محمد بن المنصور ثالث حكام بني العباس ، ولد سنة ١٢٧هـ (٧٤٤م) ومات سنة ١٦٩هـ (٧٨٥م) وعاش ٤٣سنة ، حكم عشر سنوات وشهراً واحداً من سنة ١٥٨هـ (٧٧٥م) وإلى ١٦٩هـ (٧٨٥م) ، اتّسم حكمه بالاستبداد والديكتاتورية وقتل أهل البيت عليهم السلام وقد سعى لقتل عيسى بن زيد بن الإمام زين العابدين عليه السلام ولكنه توارى عنه وتنكر في لباسه وعمله ونسبه ؛ فلبس لباس السقّائين وامتهن مهنة السقّاية فلم يعرف أهل الكوفة حقيقته وأخفى أمره حتى على زوجته وأولاده.

(٢) جعفر بن المعتصم بن هارون ، عاشر خلفاء بني العباس ، ولد سنة ٢٠٧هـ (٨٢٢م) ، وحكم سنة ٢٣٢هـ (٨٤٦م) ، وقتل سنة ٢٤٧ هـ (٨٦١م) من قبل ولده المنتصر في مجلس لهوه وطربه بين العود والناي. اتّسم حكمه بالقتل وسفك الدماء وعلى الخصوص لأهل البيت عليهم السلام وشيعتهم ، يقول ابن الأثير في كتابه «الكامل في التاريخ» في حوادث سنة ٢٣٦هـ : «وكان المتوكل شديد البغض لعلي بن أبي طالب وأهل بيته» ، وكان من يبلغه عنه أنه يتولى علياً يقتله ويصادر أمواله ، وقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين ما معناه: إن المتوكل أمر واليه على مكة والمدينة أن يعاقب كل من يساعد آل أبي طالب بالإحسان ، وقد بلغ بهم الفقر حداً أن العلويات كُنَّ يرتدين ملابس رثة وممزقة ، ولم يكن عندهن سوى ثوبٍ واحدٍ ، كن يتناوبن عليه وقت الصلاة ، واستمر هذا الوضع إلى مقتل المتوكل ، وكان يبذل الأموال للشعراء الذين يذمّون الشيعة فقد أعطى لأبي السمط ثلاثة آلاف دينار وعقد له على البحرين واليمامة وخلع عليه أربع حلل ؛ لأنه هجا الشيعة ، وكان المتوكل أول خليفة يسخر في مجالس لهوه من سبطي رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ كما ذكر ذلك المسعودي. وسعى لهدم قبر الإمام الحسين عليه السلام وما حوله من المنازل والمباني أربع مرات ؛ لمنع الناس من الزيارة ، أُولاها سنة ٢٣٣هـ ، وثانيها سنة ٢٣٦هـ ، وثالثها ٢٤٧ هـ ، وقد قتل العالم اللغوي يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكّيت سنة ٢٤٤هـ (٨٥٨م) ؛ لأجل تشيعه. للمزيد راجع مروج الذهب: ج٤ ص ٤٧ ،

٢ـ أدت أعمال صلاح الدين إلى إضعاف القوة الإسلامية إلى أبعد الحدود ، بينما زادت تلك الأعمال من قوة الصليبيين ، وعندما مات صلاح الدين كانت أجزاءٌ من فلسطين في أيدي الكفار ، أعداء الدين .

لم تكن حرب صلاح الدين ضد الدولة الفاطمية خاصة بل كانت ضد الإسلام بصورة عامة ، فقد أعلن مخالفته الصريحة للإسلام بأعماله المخلّة بالإسلام ، وأعلن عن خيانته لسيّده عندما تجاوز على الحلف والعهد الذي بينه وبين سيده ، ولم يكتف بقتل المسلمين بدون ذنب وحسب بل زاد في تماديه بأن سلّم البلاد إلى أولاده الذين تناحروا فيما بينهم .

٣ـ أدت أعمال صلاح الدين الأيوبي إلى إيجاد الفرقة والفتنة بين الشيعة والسنة ، التي لم تلتئم جراحها حتى يومنا هذا ، فقد أولد النزاع المذهبي بين الشيعة والسنة ضعفاً عاماً في الكيان الإسلامي[١] .

---

تاريخ الخلفاء للسيوطي : ص١٣٧ ، ثمار القلوب للثعالبي : ص١٣٤ ، مقاتل الطالبيين : ص٢٨٥.

(١) وممّا يؤخذ على صلاح الدين الأيوبي :

١ـ أنه جنى على التاريخ والأدب والثقافة العربية والإسلامية ، بهدمه لدور العلم والمعرفة وإحراقه للكتب وقتله للعلماء والفلاسفة والشعراء.

٢ـ بعد استرداده للقدس في معركة حطين ، أصدر مرسوماً سنة ٥٨٦هـ (١١٩٠م) ، يدعو فيه اليهود لاستيطان القدس الذي كان محظوراً عليهم من قِبَل المسيحيين.

٣ـ أن تصرفاته بعد استرداد القدس ، أبطلت نتائج الانتصار ؛ لأنه أعاد للصليبيين المدن الفلسطينية جميعاً باستثناء القدس ، وبهذا العمل جعل دماء المقاتلين

..........................................................................................

الشرفاء وثروات المسلمين تذهب سدىً.

٤ـ عقده للهدنة مع قلب الأسد ، الزعيم الصليبي ، والتي لا مبرر لها سوى تكريسه لمصالحه الشخصية على حساب مصالح الأمة الإسلامية ، حيث منح بموجبها الصليبيين مدينة حيفا ويافا وعكا وصور وطرابلس وأنطاكيا وقيساريا.

وبموجب هذه الهدنة ، اعترف ضمنياً بسلطة الصليبيين على البلاد الإسلامية التي كانت في أيديهم ، كما أدت إلى تثبيط عزائم المسلمين في محاربة الصليبيين وتحرير أراضيهم.

٥ـ حال دون قيام دولة إسلامية موحدة ، تتجلى فيها قوة المسلمين على غيرهم.

يقول الباحث حسن الأمين في كتابه : صلاح الدين الأيوبي بين العباسيين والفاطميين والصليبيين : ص١٨٧ في هذا الصدد : «كان ما يسيطر عليه ، صلاح الدين ، يشمل بلاد الشام امتداداً إلى جبال طوروس ، ويشمل مصر واليمن. وبانضمام هذه الأقطار إلى حكومة بغداد ، تقوم الدولة العربية الكبرى برعاية الخلافة الإسلامية المرتبط بها العالم الإسلامي كله ارتباطاً معنوياً حتى في حالة ضعفها. أما حين تكون بهذه القوة فإن ارتباط هذا العالم بها يكون الارتباط المتماسك المتضامن بالطبع».

٦ـ وقف الأيوبي بوجه الجيوش الإسلامية في زمن نور الدين زنكي الذي طلب منه أن يزحف من مصر لمحاربة الصليبيين على أن يزحف هو من الشام ، ولكن الأيوبي رفض ذلك ، مما حدا بالزنكي أن يؤدّبه ، ولكن الأيوبي احتمى بالصليبيين. يقول ابن الأثير : «وكان المانع لصلاح الدين من غزو الإفرنج الخوف من نور الدين ، فإنه كان يعتقد أن نور الدين متى زال عن طريقه الإفرنج أخذ البلاد منه ، فكان يحتمي بهم عليه ولا يؤثر استئصالهم ، وكان نور الدين لا يرى إلا الجد في غزوهم بجهده وطاقته ، فلما رأى إخلال صلاح الدين بالغزو وعلم غرضه ، تجهّز عليه ، فأتاه أمر الله الذي لايرد».

ويقول الأمين في ص١٩٩ من نفس الكتاب : «إن الاحتلال الصليبي لفلسطين كان

..............................................................

يعطي صلاح الدين انفصالاً كاملاً عن المملكة المتحدة ، وتبقى تبعيته لها إسمية فقط ، فإذا زال الكيان الصليبي من فلسطين ، تم الاتصال بين بلاد الشام وبين مصر وتصبح مملكة واحدة ، يكون لصلاح الدين المكان الثاني فيها بعد نور الدين ، بل يصبح مجرد حاكم لمصر ، تابعاً فعلياً لا إسمياً لنور الدين ، وهذا ما لا يرضي مطامع صلاح الدين الشخصية ، لذلك آثر التمرد على نور الدين وإخراج مصر من الحرب المأمولة لاستئصال الصليبيين. وغضب نور الدين لذلك ، وصمم على التفرغ لصلاح الدين أولاً وتسليم حكم مصر لمن يعيد مصر إلى حال الحرب مع الصليبيين ، ولما أعدّ عدّته للزحف على مصر وإزاحة صلاح الدين ، فاجأه الموت».

وكذلك وقف الأيوبي بوجه الجيوش الإسلامية في زمن الخليفة العباسي ـ الناصر ـ الذي أراد هو الآخر أن ينازل الصليبيين بمائة وعشرين ألف مقاتل في فلسطين وطلب من الأيوبي أن يشاركه في الحرب ، ولكن الأيوبي رفض ؛ لاعتقاده أنه سيصبح والياً وتابعاً للناصر ، ثم احتمى بعد ذلك بالصليبيين. ويذكر الأمين في كتابه : ص١٨٧ : «وخوفاً من أن يصر الخليفة ـ الناصر ـ على إرسال جيشه ، بادر صلاح الدين إلى التحالف مع الصليبيين وتوحيد جيوشه مع جيوشهم لصدّ جيش الخلافة إذا تقدم إلى بلاد الشام. ورأى الصليبيون حاجة صلاح الدين إليهم فأخذوا يشترطون في شروطهم لعقد هذا التحالف. وكان أهم ما في شروطهم إعادة فلسطين إليهم واسترجاعهم لكل ما أخذه منهم صلاح الدين فيها من المدن. فخضع صلاح الدين لشروطهم وسلم لهم بكل ما طلبوا ، مستثنياً القدس ؛ لأن احتفاظه بها سيديم النشوة التي غرّت المسلمين باسترجاعها فيغطي ذلك على استسلامه للصليبيين. فلا يدرك المسلمون في فرحتهم حقيقة ما يجري حولهم».

ويضيف أيضاً في ص١٨٨ : «إن رفض صلاح الدين قبول نجدة الناصر وما بلغ الناصر من عزم صلاح الدين على قتال جيوشه في تقدمها إلى فلسطين ، حال بين الناصر وبين تنفيذ ما عزم عليه ، فلم يكن ليقدم على الاشتباك في حرب أهلية بين المسلمين».

وربما يبرر البعض ما ارتكبه صلاح الدين من مخالفات ومن تقتيل للشيعة نتيجة لانحراف بعض الحكام الفاطميين كالحاكم بأمر الله[1].

---

٧. فضّل مصلحته الشخصية على المصلحة الإسلامية العامة عند عدم موافقته لخوض الحروب ضد الصليبيين بل وتسليمهم للبلاد الإسلامية؛ معللاً ذلك أن الحروب معهم تحدُّ من نفوذه وتقلّل من هيمنته ومطامحه وتتنافى مع تفرّده بالسلطة.

٨. أنكر الجميل على نور الدين زنكي. الذي كان سبباً في سيطرته على مصر. والذي طلب منه الزحف على الصليبيين ثم ختم إنكاره للجميل أن قتل ابن الزنكي، حاكم حلب البالغ من العمر اثنتي عشرة سنة ثم زنا بزوجة زنكي ليلتين، نكاية بزوجها.

٩. هيأ الظروف لأولاده وورثته لتنفيذ ما عجز هو عن تنفيذه عندما سلموا القدس للصليبيين في عهد فردريك الثاني سنة ٦٥٥هـ، وكذلك بقايا أنطاكيا وطرابلس وعكا والناصرة وغيرها. يقول الباحث حسن الأمين في كتابه صلاح الدين الأيوبي بين العباسيين والفاطميين والصليبيين: ص١٣٢. ١٣٣ ما نصّه: «ففي سنة ٦٣٨هـ، سلّم الصالح إسماعيل صاحب دمشق للصليبيين صيدا وهونين وتبنين والشقيف؛ ليساعدوه على ابن أخيه الصالح أيوب صاحب مصر. وفي سنة ٦٢٥هـ (شباط سنة ١٢٢٩م)، سلّم الكامل والأشرف ولدا العادل أخي صلاح الدين، سلّما القدس وما حولها للملك الصليبي فردريك الثاني، وسلّماه معها الناصرة وبيت لحم وطريقاً يصل القدس وعكا. ويصف ابن الأثير وقع هذه الرزية على العالم الإسلامي بقوله: واستعظم المسلمون ذلك وأكبروه ووجدوا له من الوهن والتألم ما لايمكن وصفه».

(١) المنصور بن عبد العزيز، سادس خلفاء الدولة الفاطمية البالغ عددهم أربعة عشر خليفة، الذين حكموا من سنة ٢٩٧هـ (٩٠٩م) وإلى سنة ٥٦٧هـ (١١٧١م)،

**أقول :** أولاً : وقبل كل شيء ، إن ما يُقال عن انحرافات الحاكم بأمر الله هو كذب محض بل هو جزءٌ من دعايات العباسيين المخالفين للفاطميين ، وقد صدرت كتب عديدة تنفي هذه الافتراءات عن الحاكم بأمر الله .

ثانياً : ولنفترض جدلاً أنّ ما ذكره بعض المؤرخين بحق الحاكم بأمر الله كان صحيحاً ، فهل ذلك يبرر ما قام به صلاح الدين الأيوبي من إضعاف

---

ولد في القاهرة سنة ٣٧٥هـ (٩٨٥م) ومات سنة ٤١١هـ (١٠٢٠م) ، تسلم الحكم سنة ٣٨٦هـ (٩٩٦م) وهو في الحادية عشر من عمره فقام عليه بالوصاية «برجوان الخادم» بوصية من أبيه واستمر في الحكم خمساً وعشرين سنة واتبع خلال حكمه سياسة متوازنة ، وكان يتجول في الأسواق لإجراء الحسبة ، وقد ازدهرت في عهده البلاد بالعمران وبناء المساجد والمكتبات والجامعات ، وقد أنشأ «دار الحكمة» سنة ٣٩٥هـ (١٠٠٥م) وجعلها جزءاً من قصره وحمل إليها الكتب من خزانة القصر من سائر العلوم والآداب ممّا لم ير منه مجتمعاً قط لأحد من الملوك ، وكان فيها أكثر من مائتي ألف مجلد من نفائس الكتب ، وكان يقدِّم للقراء الورق والمحابر بالمجان ، وقد حظي عنده العلماء والأدباء والشعراء بالاحترام والعطاء ، أمثال : ابن الهيثم وأبي بكر الأنطاكي ، ونتيجة لمواقفه الصلبة وحروبه مع المسيحيين والأمويين في الأندلس والعباسيين في بغداد ؛ تعرض للافتراء من قبل أعوان هؤلاء وعلى الخصوص الكاتب الأموي «أبو ركوة» ويحيى بن سعيد العباسي. للمزيد راجع : الموسوعة التاريخية للخلفاء الفاطميين ج٦ ؛ دكتور عامر تامر ، الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه ؛ دكتور عبد المنعم ماجد ، الرسالة الواعظة في نفي دعوى إلوهية الحاكم بأمر الله ؛ أحمد حميد الدين الكرماني ، تلخيص الحضارة الإسلامية للإمام السيد محمد الشيرازي ﷺ .

القوة الإسلامية أمام القوى الصليبية ، ثم بماذا يبررون أعمال صلاح الدين الأخرى التي أشرنا إلى بعضها بصورة موجزة؟

والحقيقة أنّ الخلافة الفاطمية اتهمها المتعصّبون من السُّنّة وعملاء الخلافة العباسية بتلك التهم التي لا أساس لها من الصحة وإلاّ فالاتهام كلّه كذب وعارٍ عن الصحة ، ويشهدُ التاريخ على كذب أولئك المتقولين ممن كانوا يعملون لصالح الدولة العباسية ، ومن هؤلاء «ابن حجلة»[1] فهو يتكلم حول الخلفاء الفاطميين وكأنهم خارجون عن الإسلام فينسب إليهم الرفض تارةً والزندقة أخرى وثالثة ورابعة مما يظهر من كلامه أنه حاقد أو مرتزق أو الاثنان معاً .

وقد ردّ المقريزي[2] على جميع هؤلاء ، وردّ الاعتبار إلى الدولة

---

(١) ومن هؤلاء أيضاً : يحيى بن سعيد وابن كثير وأبو شامة.

(٢) تقي الدين أبو محمد ، أحمد بن علي بن عبد القادر المشهور بالمقريزي؛ نسبة إلى حارة في بعلبك اللبنانية تعرف بحارة المقارزة ، ولد في القاهرة سنة ٧٦٦ هـ (١٣٦٤م) ، مؤرخ وكاتب وأستاذ في علم التاريخ ، تصدّى لأمور الحسبة والإمامة في بعلبك لفترات متعددة ، اتصل بالخليفة الفاطمي الثاني عشر «الظافر بالله» فهاجر إلى دمشق سنة ٨١٠ هـ (١٤٠٧م) ، توفي سنة ٨٤٥ هـ (١٤٤١م) عن عمر يناهز التسعة والسبعين ، من مؤلفاته : السلوك في معرفة دول الملوك ـ وهو مصدر مهم في دراسة تاريخ الأيوبيين والمماليك ـ ، جواهر الأسفاط في أخبار مدينة الفسطاط ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، التاريخ الكبير ، اتّعاظ الحنفاء في أخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، إغاثة الأمة بكشف الغمة ، المقفى الكبير ، البيان والإعراب عمّا بأرض مصر من الأعراب ، شذور العقود في ذكر

الفاطمية في كتاباته التي كتبها عن مصر .

لقد خدم الفاطميون الإسلام كثيراً وهم الذين أسدوا إلى المعرفة صنوف الخدمات ، ففتحوا المكتبات ، وأنشؤوا قاعات التدريس ، ولم يكتفوا ببناء جامع الأزهر[1] وحسب بل إن أحد الخلفاء الفاطميين حوّل قصره إلى قاعة للتدريس وإلى مكتبة كان يرتادها العلماء من كل مكان ، أضف إلى ذلك اهتمامهم بالعمران والزراعة والصناعة[2] .

---

النقود ، الطرفة الغريبة في أخبار حضرموت العجيبة ، النزاع والتخاصم فيما بين أمية وهاشم ، درر العقود المفيدة ، إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء.

(١) بدأ إنشاؤه في السابع عشر من شهر شعبان سنة ٣٥٨هـ واستغرق بناؤه سنتين وثلاثة أشهر وبضعة أيام ، وافتتح للصلاة يوم الجمعة الواقع في السابع من رمضان سنة ٣٦١ هـ (شباط ٩٧٢م) وأضحى هذا الجامع مقراً للدعوة الإسلامية ، ودعيت المذاهب الإسلامية للتدريس فيه ، فكان للمالكية خمس عشرة حلقة درس وللشافعية مثلها وللمذهب الحنفي ثلاث حلقات ، وكان فيه صالات لعقد مجالس خاصة بالنساء. راجع الموسوعة الإسلامية: ج٤ ص١٥٤ لحسن الأمين.

(٢) للمزيد عن هذا الموضوع راجع أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ، والتمدن الإسلامي لجورج جرداق ، ومن التمدن الإسلامي للمؤلف ﷺ ، والموسوعة التاريخية للخلفاء الفاطميين للدكتور عامر تامر ، والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي.

# صفاء القلوب

كان الشيخ البهائي[1] ، والسيد الميرداماد[2] وزيرين للحكم

---

(١) الشيخ محمد بن الحسين بن عبد الصمد بن محمد الجبعي العاملي ، المشهور بالشيخ البهائي أو بهاء الدين العاملي ، ولد في بعلبك اللبنانية في شهر ذي الحجة من سنة ٩٥٣هـ (١٥٤٧م) وتوفي في أصفهان في شهر شوال من سنة ١٠٣٠هـ (١٦٢١م) ودفن في مشهد الإمام الرضا عليه السلام ، عالم وشاعر ومفكر وفقيه وسياسي وفيلسوف ورياضي وفلكي ، وقد كتب في الرياضيات والفلك وغيرها ، وأضحت كتبه مرجعاً للعلماء والمحققين. وبلغت الخمسين ، منها : خلاصة الحساب ، كشكول البهائي ، مشرق الشمسين ، الحبل المتين ، الوجيزة ، الزبدة ، الفوائد الصمدية ، تهذيب البيان ، رسالة الهلالية ، تشريح الأفلاك ، توضيح المقاصد. ترجمه الكنى والألقاب: ج٢ ص١٠٠ ، الموسوعة الإسلامية : ج٥ ص٨٢ حسن الأمين ، روضات الجنات : ج٧ ص٥٦ ، خلاصة الأثر : ج٣ ص٤٤٠ ، سلافة العصر للسيد علي خان : ص٢٨٩ ، أمل الأمل : ج١ ص١٥٥ ، أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين : ج٩ ص٢٣٤.

(٢) السيد محمد باقر بن محمد بن محمود بن عبد الكريم الحسيني الأسترابادي ، والمشهور بـ(الداماد) ـ الصهر ـ ؛ ولقّب بذلك ، لأن أباه كان صهراً لعلي بن عبد العالي الكركي ، المعروف بالمحقق الثاني ، ولقّب هو بذلك تبعاً لأبيه ، ولد سنة ٩٧٠هـ (١٥٦٣م) وتوفي سنة ١٠٤١هـ (١٦٣٢م) ، فيلسوف ورياضي وفقيه وسياسي

الصفوي[1] الذي أقيم في إيران ، وكانا في غاية العلم ، والتقوى ، والفضيلة ، والتدبير ، وكانا يديران أمور البلاد بالعدل والرفاه والايمان ، وفي عصرهم ازدهرت إيران ازدهاراً علمياً ، وبلغت أوّج حضارتها في العمران والاقتصاد ، وساد الأمن والاستقرار ربوع البلاد من أقصاها إلى أقصاها ، وذات مرة كان الملك بصحبة هذين العالمين الجليلين في رحلة إلى خارج البلاد ، وكان الجميع يركبون الخيول كما هي العادة في ذلك الوقت .

ولقد لاحظ الملك أنّ الشيخ البهائي كان أسرع في الحركة من السيد الميرداماد الذي كان يسير على فرسه بهدوء وتؤدة ، فأراد الملك أن يختبر

---

وشاعر ومؤلف ومدرس ، جامع للعلوم والفنون ، وقد نال حظوة كبيرة عند ملوك الصفويين ، وكان معاصراً للشيخ البهائي ، آلت إليه الرئاسة الدينية بعد وفاة الشيخ البهائي سنة ١٠٣٠هـ ، من تلامذته : صدر المتألهين ، السيد حسين الكركي ، محمد تقي الأسترابادي. من مؤلفاته : رسالة في المنطق ، سدرة المنتهى في تفسير القرآن الكريم ، تقويم الإيمان في الكلام ، السبع الشداد ، القبسات ، رسالة في ضوابط الرضاع ، رسالة في اختلاف الزوجين قبل الدخول. للمزيد راجع أمل الأمل : ج٢ ص٢٤٩ ، رياض العلماء : ج٥ ص٤٠ ، لؤلؤة البحرين : ص١٣٢ ، الفوائد الرضوية : ص٤١٨ ، روضات الجنات : ج٢ص٦٢ ، الكنى والألقاب : ج٢ ص٢٢٦ ، أعيان الشيعة : ج٩ ص١٨٩ ، ريحانة الأدب : ج٦ ص٥٦ ، طبقات أعلام الشيعة : ج٥ ص٦٧ ، مصفى المقال : ص٩ ، موسوعة طبقات الفقهاء للسبحاني : ج١١ص٣١٥.

(١) وكان ذلك في عهد شاه عباس الصفوي المولود سنة ٩٧٩م وتسلم الحكم سنة ٩٩٦م وتوفي سنة ١٠٣٧م.

العالمين ، ووجد في ذلك فرصة للاختبار ، فتقدّم إلى أن وصل إلى الشيخ البهائي الذي كان في مقدمة الركب ، وقال له : إنك عالم ليس فيك مسحة من الكبر والرياء ، ولذا تطارد فرسك بسرعة ، أما السيد فيمشي مشية المتكبرين ، ألم يكن الأفضل له أن يسير سيراً طبيعياً كما تسير أنت بكل حرية وانطلاق تاركاً المجاملات وما شابه ذلك؟ .

ففوّت الشيخ الفرصة على الملك قائلاً له : كلا ، إن الأمر معكوس ، ففرس السيد متعب لثقل ما يحمله فوق ظهره . فالعلم الذي يحمله السيد الميرداماد جعل الفرس لا يطيق الْعَدوَ بسرعة ، وأنا لأ تعجب كيف لا تغرز أقدام الفرس في الأرض لثقل ما تحمله؟! .

ترك الملك الشيخ البهائي وذهب إلى السيد الميرداماد وقال له : إنك لتمشي بوقار أهل العلم والفضيلة ، لكني أتعجب من الشيخ البهائي كيف يسير هكذا مثل الشباب ، ألا ترى كيف يطارد ويكر ويفر؟ .

قال السيد : إنّ الأمر معكوسٌ تماماً : إنّ فرس الشيخ يكاد يطير فرحاً ، فهو مزهوٌ بمن يحمله على ظهره ولا يتمكن هذا الفرس من السيطرة على نفسه لما ناله من الغبطة والفرح والسرور .

عندما سمع الملك قول السيد والشيخ ، نزل من فرسه إلى الأرض وسجد لله شكراً ؛ حيث أنعم الله عليه بوزيرين ، بلغ الحب بينهما حداً أن الواحد منهما لا يسمح لنفسه أن ينال من الآخر إلاّ بالنعت الجميل[1] .

---

(١) وقد ذكرت هذه القصة بألفاظ قريبة في أعيان الشيعة : ج٩ ص٢٤٢ للسيد

وهكذا ، إذا صفت قلوب العلماء في كل زمان ومكان ، ازدهرت البلاد وتقدّم المجتمع ، وبالعكس ، إذا شحنت القلوب بالضغائن ، تأخرت البلاد وتراجعت إلى الوراء ، وقد قيل : «إذا فسد العالِم فسد العالَم» . إلاّ أن التوافق وعدم إظهار العداء وتطهير القلوب يحتاج إلى سعة في الصدر وإلى صبر طويل . وقد قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام : **(آلة الرئاسة سعة الصدر)**[1] .

---

محسن الأمين ، وذكر إجمالها في روضات الجنات لمحمد باقر الخونساري : ج٧ ص٦٩ في ترجمة الشيخ البهائي.

(١) غرر الحكم ودرر الكلم : ص٢٤٢ ح٧٨٢٥ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج١٨ ص٤٠٧ ب ١٧٨ ، بحار الأنوار : ج٧٢ ص٣٥٧ ب٨١ ح٧٠ ط بيروت.

# وفي ذلك عبرة

يقال : إنّ ابن طولون[1] ، الذي حكم مصر ، مرّ ذات يوم على صياد معه ولده ، فرأى رثاثة حال الصياد وفقره وفاقته ؛ لذا مدّ يده في جيبه وأخرج ديناراً وأعطاه للصياد ، وإذا بهذا الصياد يموت فجأة فتعجب ابن طولون لموته ، وسأل بعض مَنْ معه عن سبب موته؟ قالوا له : إنه مات فرحاً ؛ لأنه لم يكن ينتظر حصوله على هذا المبلغ الكبير أبداً .

ثم إنَّ ابن طولون أراد أن يعطي الدينار لولد الصياد لكنه أبى أن يأخذ

---

(١) أحمد بن طولون الفسطاط التركي ، وكان والده مملوكاً تركي الأصل ، أُسر في إحدى الغزوات في تركستان ، أهداه نوح بن أسد الساماني إلى الخليفة العباسي سنة ٢٠٠هـ مع ما أهداه من الرقيق والهدايا ، مؤسّس الدولة الطولونية ، وكلمة طولون باللغة التركية بمعنى البدر ، ولد سنة ٢٢٠هـ (٨٣٥م) ، كان نائباً لزوج أمّه حاكم مصر «بايكباك» سنة ٢٥٤هـ (٨٦٨م) ، تولّى الحكم بعد وفاة بايكباك سنة ٢٥٤هـ (٨٦٨م) ، وانفصل عن الدولة العباسية واستطاع توحيد مصر والأسكندرونة وحمص وحماه وحلب وأنطاكيا تحت حكمه ، وقد حكم ست عشرة سنة وتوفي سنة ٢٧٠هـ (٨٨٤م) ، وقد خلفه بعده ابنه خمارويه ، وخلال حكمه شيد جامعاً في القاهرة يحمل اسمه ، وبنى مدينة القطائع على مقربة من القاهرة.

ذلك المبلغ وهو لا يعرف الدينار ولم يره في حياته ، ولما سأله عن سبب رفضه؟ قال : إنّ هذا هو الذي قتل والدي «يقصد الدينار» وإني أخشى على نفسي منه .

**أقول** : وهكذا ، على الإنسان أن يأخذ العبرة ممن سبقه وألاّ يغتر بالدنيا ؛ لأنها سبب كل المآسي ومنشأ كل اختلاف .

# عشاء التبن والشعير

شخصان ممن تزيّا بزي رجال الدين ، يسافران من بلد إلى بلد فنزلا في ضيافة شيخ عشيرة فاستقبلهما المضيِّف استقبالاً حاراً ، ثم إنه أراد أن يختبرهما فسأل أحدهما عندما خرج إلى حاجة له فقال له المضيِّف : أريد أن أسألك عن صاحبك ما منزلته في العلم؟ قال الرجل : إن صديقي لا يفهم شيئاً ، إنه حمار ، ثم مضى إلى سبيل حاجته فجاء إلى الآخر ، وقال له مثل ما قال للأول ، فقال الثاني : إن صديقي لا يفهم شيئاً ، إنه كالثور ، وعند الظهيرة قدّم المضيّف إليهما صحنين من الطعام وقد غطاهما حتى لا يعرف نوع الطعام المقدَّم لهما ، فلمّا رفعا الغطاء عن الصحنين ، وإذا بهما يريان شيئاً غريباً ، رأى الأول في صحنه التبن ، ورأى الثاني في صحنه الشعير ، فتعجبا واغتاظا غيظاً شديداً واعترضا على صاحب المضيف لسوء أدبه ، فقال صاحب المضيف : إني لم أكن أعلم ماذا تأكلان واستفسرت منكما فقال أحدكما عن صاحبه : إنه حمار ، وقال الآخر عن صاحبه : إنه ثور ، والحمار والثور لا يأكلان إلاّ الشعير والتبن ، ولذا فإني قدمت إليكما طعامكم حسب ما قال

أحدكما عن صاحبه .

وكان ذلك تنبيهاً مهماً من صاحب المضيف على خطأهما ، فخجلا ونكّسا رأسيهما ولم يتمكنا من الإجابة .

لذا ؛ لابد وأن نعرف أنّ تهجّم بعضنا على البعض الآخر سيؤدي إلى نفس النتيجة .

والحصيلة هي ازدراء المجتمع بالعلماء وذهاب شوكة المسلمين واجتراء الأعداء عليهم ، قال ﷻ : ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[1] ، والفشل هنا هو الفشل الكبير في تحقيق الهدف ، وذهاب الشوكة والعزة .

من هنا ، كان من الضروري على الإنسان أن يتوجّه إلى هذه الملاحظة ، ويترك الكلام عن الآخرين ؛ لأنَّ عدم الكلام عن الآخرين ليس مردوده على الشخص المقابل وحسب بل على الشخص المتكلم أيضاً .

فالذي يستر على صاحبه ، يستر على نفسه أيضاً .

---

(١) سورة الأنفال : الآية ٤٦ .

# ردُّ الاساءة بالإحسان

حدث في بغداد في عهد الحكومة العثمانية ، أنّ قاضي القضاة في هذه المدينة ألقي القبض عليه متلبساً بجريمة شرب الخمر ووجود امرأة مومس معه في البيت ، فأُودع في السجن ، واطّلع الوالي على أمره فاغتاظ منه غيظاً شديداً ، وكتب إلى الأستانة في تركيا في حكم هذا القاضي الذي هتك حرمة الدين ولم يراع منصبه الرفيع في الدولة؟ .

وكان هناك أحد القضاة يمارس وظيفته تحت إمرة قاضي القضاة[1] ، وكانت بينه وبين قاضي القضاة مخاصمة ، وبعد الحادث ذهب هذا القاضي إلى دار قاضي القضاة وأمر زوجته بأنْ تطبخ طعاماً وتهيئ قناني من العصير ، ثم أمرها أن تحمل الطعام والشراب على رأسها وتأتي معه ، وهكذا جاءا حتى وصلا إلى باب السجن ، قال القاضي للسجّان : إني نذرت أن أقدم الطعام إلى آخر سجين أودع في السجن ، وأرشا السجّان بالمال ، ففتح له السجّان باب الزنزانة التي فيها قاضي القضاة ، فدخل هو

(١) هو منصب قضائي يعادل اليوم وزير العدل.

وزوجة قاضي القضاة السجن ، وقدم له الطعام والشراب ثم إنه عند خروجه من السجن أمر المرأة المومس أن ترتدي ثياب زوجة القاضي وأخذ صحون الطعام وقناني الخمر بدلاً من القناني التي جاء بها ؛ حيث إن قاضي القضاة كان مسجوناً مع المومس وقناني الخمر ، وخرج القاضي بالمومس وقناني الخمر تاركاً عند قاضي القضاة زوجته وقناني العصير ، ثم إن قاضي القضاة كتب إلى الوالي يسترحمه في تحقيق أمره وأنه مظلوم أودع السجن بلا ذنب وأن الوشاة هم الذين سعوا به ، جاء الوالي وحقق في الأمر وإذا به يرى صدق ما كتبه قاضي القضاة ، فقد رأى أن المرأة هي زوجته وأن القناني كانت لعصير الفواكه وليس للخمر فتعجب الوالي أشد العجب وأخرج قاضي القضاة من السجن بكل احترام وتقدير وعاقب الوشاة أشد معاقبة .

وفي اليوم الثاني من خروج قاضي القضاة من السجن جاء إلى دار القاضي المخلّص الذي خلّصه من السجن ليعتذر له على ما فعل به في السابق وليشكره على صنيعه الحميد .

قال القاضي في تبرير عمله : إني وجدت من اللازم عليّ أنْ أنقذ سمعة القضاء بإنقاذك من ورطتك ولكيلا يساء الظن في المستقبل بأمثالك ، ولولا ذلك لبقيت أخاصمك ولم أقدم على هذا الفعل .

**أقول :** لاشك أن عمل قاضي القضاة كان جرماً كبيراً ، لكن عمل القاضي وتداركه الأمر وحفاظه على سمعة القضاء كان أهم من ذلك ،

فالمسألة فيها أهم ومهم ، وهكذا رأى القاضي .

إذاً ، ليس كلامنا الآن في أن عمله كان صحيحاً أم لا .

# هكذا نلقي الفتنة!

قال رجل : كنت أسير في الشارع مع شخصية سياسية بريطانية رفيعة المستوى ، فسألته : إنّكم معاشر الإنجليز ، كيف تحكمون ألف مليون إنسان في الهند والصين وسائر المستعمرات مع أنكم قلة قليلة لا تعدون الخمسين مليون نسمة وليست لكم موارد مالية ضخمة؟ .

قال الإنجليزي مجيباً على سؤالي : إنّا نستخدم سياسة «فرّق تسد» ، فنلقي المنازعات بين الشعب الواحد ، وهذا ما يجعلنا قادرين على السيادة عليهم لأنهم بعد الفرقة والاختلاف ، يقلُّ عددهم ويصبحون أقلّ منّا عدداً ، فإنّا لا نحكم على ألف مليون مسلم بل نحكم على مليون ومليونين فقط بسبب تفرُّقهم واختلافهم .

فإذاً ، خمسون مليون أكثر وأقوى من مليون ومليونين وثلاثة ملايين .

قال الرجل : وكيف تستطيعون إلقاء النزاع والتفرقة بين الشعب الواحد والأمة الواحدة التي تعيش على أرض واحدة وتنتمي إلى حضارة واحدة وإلى دين واحد؟ .

قال الرجل السياسي البريطاني : إنه من أبسط ما يكون ، وسأريك

الآن كيف ألقي النزاع ، ثم جاء به حتى وصلا إلى فقيرين مكفوفي البصر ، كان أحدهما جالساً في طرفٍ من زقاق ، وكان الآخر جالساً في الطرف الآخر . فسأل البريطاني أحدهم : كم مدة أنت جالس هنا ، قال الأعمى : مدة خمسٍ وعشرين سنة ، قال الإنجليزي : وكم مدة جلوس الأعمى الثاني أمامك؟ قال : إنه قريب لي وصديقٌ معي وجلوسه يُقارب المدة نفسها .

قال راوي الحكاية : ثم إن الرجل البريطاني ، وقف وسط الزقاق ، وقال : أيّها الفقير ، هذه الليرة التي أعطيتك إياها ، نصفها لك ونصفها لصديقك ، الذي هو أمامك . قال هذه المقالة ، وهو لم يعط أحداً شيئاً .

فظنّ كلُّ واحدٍ من الفقيرين أنَّ المتكلم أعطى صديقه الليرة ، فقال للآخر : أين نصف الليرة التي أعطاك الرجل المحسن إياها ، قال الآخر : إنه لم يعطني ، وإنما أعطاك إياها ، فأخذ كل واحد منهما يتهم الآخر بأنه هو الذي أخذ الليرة ، وأنه يريد الاستئثار بها لنفسه ، ثم شرعا في الشتم والسبّ ، وقاما من مكانهما ، وأخذ أحدهما يدفع الآخر ، حتى دبّ الشجار بينهما بالأيدي ، ثم بالعصي حتى سالت الدماء بينهما .

عندها قال الإنجليزي : أرأيت كيف ألقينا الفتنة بين هذين الأعميين ، هكذا نلقي الفتنة بين أبناء الشعب الواحد[1] .

---

(١) يقول لورنس في كتابه أعمدة الحكمة السبعة : ص٥٢ عن استخدام هذه السياسة :

# الأندلس وكيف خسرناها؟

الأندلس[1] هذه البلاد الجميلة التي كانت بأيدي المسلمين هي عبرة

---

«كانت حلقتنا مزيجاً غريباً ، فهي تضم نفراً من الأشراف والوجهاء وشيوخ القبائل من جهينة وعتيبة ، وكنت أثير عمداً موضوعات الخلافات الحادّة بينهم كي أتعرف إلى مشاربهم وعقائدهم دون إبطاء» . .

ويضيف في ص٢٩٦ من نفس الكتاب . : «عندما ذاع صيتي في الآفاق ، انتخبت تسعين شخصاً لحراستي الشخصية وهؤلاء ينتسبون إلى ثلاثين قبيلة مختلفة ، بينها دماء ثأر ، وكان تباغضهم يمنعهم من التكتل ضدي كما كان الخلاف المستحكم بينهم يبشر لي ولمبعوثي إيجاد جواسيس لنا في كل مكان بين العقبة ودمشق وبئر السبع وبغداد ، وستون منهم ماتوا في خدمتي».

(١) تقع في الجزء الجنوبي من إسبانيا الحالية ، حكمها الأمويون ؛ عندما استطاع عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك المشهور بالداخل أن يشكل حكومة فيها بعد أن فرّ من بني العباس إلى قرطبة سنة ١٣٨هـ (٧٥٦م) واتخذ قرطبة عاصمة له ، واستمرت هذه الحكومة إلى ٤٢٣هـ (١٠٣١م) عندما خلع آخر حكامها هشام الثالث ، وقد مات عبد الرحمن في الأندلس سنة ١٧٢هـ (٧٨٨م). وبعد سقوط الأندلس ، قام المسيحيون بحرمان أهلها من استخدام اللغة العربية والأسماء العربية وارتداء اللباس العربي ، ومن يخالف ذلك ، كان يحرق بالنار بعد أن يعذب أشد العذاب. عن تاريخ الأندلس راجع الموسوعة الإسلامية: ج٤ ص٢٥٢ حسن الأمين.

لنا ، إنها كانت بلاداً زاهرة عامرة جميلة ، افتتحها المسلمون في واقعة شهيرة في التاريخ ، ثم لم يلبث حكام الأندلس أن دبّ بينهم الاختلاف وأصبحوا متفرقين متشتتين ، يحكم الأندلس مجموعة من الملوك سُمُّوا بملوك الطوائف ، في كل بلدٍ كان هناك ملكٌ يحكمه ، وعمل الإفرنج[1] على توسيع شِقّةِ الخلاف بين هؤلاء الملوك ، كما أنهم استأصلوا ما تبقى في نفوسهم من الإيمان ، حتى ورد في التاريخ أنهم أوقفوا بساتين العنب من أجل صناعة الخمر ؛ ليوزع مجاناً بدلاً من الماء .

وانتشرت الميوعة وتفشى الفساد في مدارس الأولاد ، فأخذ النشأ ينشأ على الطريقة الإفرنجية .

وكان الإفرنج يرشون كبار المسلمين بإرسال فتياتهم الجميلات إليهم ، فيقعون تحت مخدِّر الجنس ، فيفعلون ما تأمرهم هذه الفتيات ، وهكذا أخذوا يبعدونهم عن الإسلام رويداً رويداً .

وعندما نشأ الشباب في ظل تلك الأوضاع ، أخذوا ينظرون إلى الإسلام بنظرة الريبة والشك ، وأخذوا يقولون : «المهم هو القلب ، فإذا كان قلبك طاهراً ونظيفاً فلا تخشَ شيئاً» .

---

(١) تطلق كلمة الإفرنج على الغربيين باعتبار أن الطابع الفرنسي يغلب على بلاد الشام ، وباعتبار أن أغلب الحكام على البلاد كانوا من أصول فرنسية أو ميول فرنسية ، وهذا ما جعل المسلمين عندما يتحدَّثون عن الغربيين يسمونهم الإفرنج.

وعلى الجانب الآخر ، امتدت الخلافات إلى قطاعات كبيرة من رجال الحكم ، من الملوك والأمراء ، وكل واحد منهم يستنجد بالإفرنج ضدَّ ملوك المسلمين الآخرين ، وقد تفشى المنكر بينهم ، فضعفت كلمة الدين .

ومن ناحية أخرى ، وهنت العقيدة الإسلامية في قلوب الشباب ، فلما بدأ التململ فيهم ، وأخذت الصراعات تطفح ؛ لتُغرق البلاد بالخلافات ، حينها اتحدت كلمة الإفرنج ، وقرّروا الانقضاض على الإسلام والمسلمين .

وبدأت أصوات الغيارى تعلو لتدعو المسلمين إلى نبذ الخلافات ، لكن لا جدوى من ذلك ، فقد وصل السيل الزُّبى .

وبدأ هجوم الإفرنج على بلاد المسلمين ، فأخذوا يُغيرون على المدن مدينة بعد أخرى ، فيقتلون الناس بلا أدنى رحمة أو إنسانية .

وأخذوا ينشرون محاكم التفتيش في طول البلاد وعرضها ، وأجبروا المسلمين على ترك الإسلام والدخول في المسيحية . ومن كان يرفض ذلك ، يتعرض إلى أشد وأقسى أنواع التعذيب ، حتى إنهم أحرقوا في ميدانٍ واحدٍ وفي يومٍ واحدٍ أربعين ألفاً من المسلمين .

وأخرجوا بني الأحمر آخر ملوكهم من البلاد بصورة ذليلة ومهانة[1] ،

---

(١) كان ذلك عندما دخل الملك الإسباني فرناندو مدينة غرناطة عاصمة بني الأحمر سنة ٨٩٧ هـ (١٤٩٢م) وأسر ملكهم أبا عبد الله ، وبذلك انهار الحكم الإسلامي في

وهكذا لقي المسلمون الدمار والعذاب جرّاء تفرّقهم واستخفافهم بدينهم.

يقول «غوستاف لوبون»[1] : «لم ترجع تلك البلاد إلى ما كانت عليه من العمران والازدهار على الرغم من مرور قرون وقرون».

من هنا، كان لزاماً على الحكومات الإسلامية أن تُدرِّس مادة «تاريخ الأندلس» في كل المدارس، لكي يعرف الناشئون من المسلمين كيف فقد المسلمون تلك البلاد الإسلامية نتيجة التفرقة والاختلاف.

---

جميع الأندلس.

(١) غوستاف لوبون، ولد في النورماندي سنة ١٨٤١م ومات في باريس سنة ١٩٣١م، طبيب وعالم اجتماعي ومفكر فرنسي، دعا إلى تفسير السلوك الاجتماعي بالمقارنة بين نفسيات فردية، وكتب في مجالات علمية كثيرة، وبلغت مؤلفاته الخمسين، منها: سيكولوجية الجماهير، علم النفس في الأزمنة الجديدة، حضارة الهند، الحضارة الأولى، الآراء والعقائد، حياة الحقائق، الثورة الفرنسية وسيكولوجية الثورات، القوانين النفسية لتطور الشعوب، حضارة العرب؛ وقد اختصره الإمام المؤلف ﷺ باسم موجز تاريخ الإسلام.

# حادثة في قطار

نقل أحد المسلمين أنه كان راكباً القطار للسفر من بلد إلى آخر ، وكان في غرفة القطار معه رجل بريطاني ، وآخر إسباني ، وثالث هولندي ، وكانت زوجة الإسباني جالسة بين الرجل الهولندي والإسباني .

يقول الرجل المسلم : «صادقت البريطاني لآمن شرّه ، فكان البريطاني يستهزئ طول الطريق بالرجلين الإسباني والهولندي ، ويضحك منهما .

وبينما هو كذلك ، وإذا بالتيار الكهربائي قد انقطع وساد الظلام القطار ؛ لأن الوقت كان ليلاً .

فقال لي الرجل الإنجليزي : هل تحب أن أوقع بين هذين الرجلين؟ ، قال ذلك ثم قام من مقامه حتى قابل الزوجة وقبَّل يده تقبيلاً بصوت مرتفع ، وإذا بالرجل الإسباني ، ينتفض من مكانه ظناً منه أنه قد قبل زوجته ، وأخذ يشتم الهولندي ، وكلّما أراد الهولندي أن يفهمه الأمر ، لم يعطه المجال لشدة تأثيره واضطرابه ، واشتد النزاع بينهما حتى بلغ منهما مبلغاً كبيراً ، وفي أثناء ذلك عادت الكهرباء فاشتعلت الأنوار ، فتدخل الناس في الأمر ، ولولا تدخلهم لتصاعد الصراع بينهما إلى حدٍ

لا يحمد عقباه. وظلّ في نفس كل واحدٍ منهما شيئٌ على طول الطريق».

من هنا، فإنَّ كثيراً من عوامل العداء والبغضاء لا أساس لها، وهي تأتي نتيجة الجهل وسوء الظن، ولذا وجدنا القرآن الكريم ينهى عن ذلك فيقول ﷻ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[1]. ويقول أيضاً: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[2].

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٣٦.

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٢.

# سوء الظن

مرّ رجل على إحدى «الخانات» ـ وهو محل تجمع المسافرين أثناء سفرهم ـ ، فسمع صوت شاب يتوسّل بصوت حزين في إحدى غرف تلك الخانات ، كان يتوسل بشخص آخر ويقول له : لا تفعل بي ذلك ، بينما كان الشخص الآخر يزجره قائلاً : اصبر . . الآن سوف يتم العمل ، ولك كذا وكذا من المال .

فظن السامع أن ذلك الصوت ، يدل على وجود فاعل ومفعول به . فقام غاضباً ، كي يقتحم تلك الغرفة ؛ لينقذ الشاب من أيدي الفاعل قبل أن يرتكب جريمته .

لكنه وقبل أن يُقدم على اقتحام الغرفة ، أخذ ينظر من ثقب باب الغرفة ليعرف أو يرى ما يجري في داخلها ، فإذا به يرى رجلاً جالساً على الأرض ، ينظف بعض الدَّمامل التي أُصيب بها الولد في الطريق ، وما هي إلاّ لحظات حتى تبيّن له أن الولد ولده ، فتذكر قصة أمير المؤمنين عليه السلام مع ذلك القصّاب الذي خرج من الخربة وبيده سكين ملطخٌ بالدَّم ، وقد وجد

الناس إلى جانبه قتيلاً ..[1] والقصة مشهورة.

إذاً، من المفترض ألاّ يسيئ الإنسان الظن بالآخرين، وألاّ يتنازع، ولا يعادي الآخرين، وألاّ يتهمه بالظنة وما شابه، وإذا سمع كلاماً ينال من أحد، عليه أن يتحقق من ذلك، فلعله ظنٌ من الظنون.

---

(١) فقد ورد عن أبي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ أُتِيَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام بِرَجُلٍ وُجِدَ فِي خَرِبَةٍ وَبِيَدِهِ سِكِّينٌ مُلَطَّخٌ بِالدَّمِ وَإِذَا رَجُلٌ مَذْبُوحٌ يَتَشَحَّطُ فِي دَمِهِ، فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: مَا تَقُولُ؟ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَا قَتَلْتُهُ. قَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاقْتُلُوهُ بِهِ. فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ لِيَقْتُلُوهُ بِهِ أَقْبَلَ رَجُلٌ مُسْرِعاً فَقَالَ: لا تَعْجَلُوا وَرُدُّوهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَرَدُّوهُ. فَقَالَ: وَاللَّهِ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا هَذَا صَاحِبُهُ أَنَا قَتَلْتُهُ. فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: لِلأَوَّلِ مَا حَمَلَكَ عَلَى إِقْرَارِكَ عَلَى نَفْسِكَ وَلَمْ تَفْعَلْ؟! فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَا كُنْتُ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُولَ وَقَدْ شَهِدَ عَلَيَّ أَمْثَالُ هَؤُلاءِ الرِّجَالِ وَأَخَذُونِي وَبِيَدِي سِكِّينٌ مُلَطَّخٌ بِالدَّمِ وَالرَّجُلُ يَتَشَحَّطُ فِي دَمِهِ وَأَنَا قَائِمٌ عَلَيْهِ وَخِفْتُ الضَّرْبَ فَأَقْرَرْتُ وَأَنَا رَجُلٌ كُنْتُ ذَبَحْتُ بِجَنْبِ هَذِهِ الْخَرِبَةِ شَاةً وَأَخَذَنِي الْبَوْلُ فَدَخَلْتُ الْخَرِبَةَ فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ يَتَشَحَّطُ فِي دَمِهِ فَقُمْتُ مُتَعَجِّباً فَدَخَلَ عَلَيَّ هَؤُلاءِ فَأَخَذُونِي. فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: خُذُوا هَذَيْنِ فَاذْهَبُوا بِهِمَا إِلَى الْحَسَنِ وَقُصُّوا عَلَيْهِ قِصَّتَهُمَا وَقُولُوا لَهُ: مَا الْحُكْمُ فِيهِمَا؟ فَذَهَبُوا إِلَى الْحَسَنِ عليه السلام وَقَصُّوا عَلَيْهِ قِصَّتَهُمَا فَقَالَ الْحَسَنُ عليه السلام: قُولُوا لأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: إِنَّ هَذَا إِنْ كَانَ ذَبَحَ ذَاكَ فَقَدْ أَحْيَا هَذَا؛ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَمَنْ أَحْياها فَكَأَنَّما أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾، يُخَلَّى عَنْهُمَا وَتُخْرَجُ دِيَةُ الْمَذْبُوحِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ.
راجع الكافي (فروع): ج٧ ص٢٨٩ ب٢، وسائل الشيعة: ج٢٩ ص١٤٢ ب٤ ح٣٥٢٤٣.

# كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة

قال المرحوم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء[1] : «بُني الإسلام على

(١) الشيخ محمد حسين بن علي آل كاشف الغطاء ، عالم وفقيه وأديب وسياسي ، ولد سنة ١٢٩٤هـ (١٨٧٧م) وتوفي في كرند سنة ١٣٧٣هـ (١٩٥٤م) ، تتلمذ عند السيد اليزدي صاحب العروة الوثقى والشيخ الخراساني صاحب الكفاية ، ولازم درسهما من سنة ١٣١٢هـ وإلى وفاتهما ، كما درس عند الشيخ الهمداني صاحب مصباح الفقيه ، ومن نشاطاته أنه عندما كتب جرجي زيدان كتابه تاريخ آداب اللغة العربية ، ذكر في الجزء الثاني منه ص٣٨٤ : «أن الشيعة طائفة صغيرة لم تترك أثراً يذكر وليس لها وجود في الوقت الحاضر» ؛ فتصدى الشيخ كاشف الغطاء والشيخ أغا بزرك الطهراني والسيد حسن الصدر لهذه الفكرة الخاطئة وهذا الكذب والافتراء والخروج عن الموضوعية في البحث ، فبحث السيد الصدر في الآثار العلمية التي خلفها علماء الإمامية والتي كان لها دور بارز في تأسيس ورفد العلوم الإسلامية ، ووضع نتائج بحثه في كتاب «تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام» ، وكتب الشيخ الطهراني «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» حيث فهرس فيه أسماء ومؤلفات علماء المذهب الشيعي ، وتصدى الشيخ كاشف الغطاء لنقد جرجي زيدان مباشرة ، من مؤلفاته : أصل الشيعة وأصولها ، الفردوس الأعلى ، العبقات العنبرية في طبقات الجعفرية ، الأرض والتربة الحسينية ، المراجعات الريحانية ، نزهة السحر ونهزة السفر ، الدين والإسلام ، التوضيح في الإنجيل والمسيح ، جنة المأوى.

كلمتين : كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة» ، وهذه العبارة هي من أوسع العبارات ، وأكثرها دلالة وقوة ، ذلك لأنّ التوحيد هو الجوهر واللُّب. وتوحيد الكلمة هو الحارس والإطار ، فمن دون توحيد الكلمة يجد أعداء الإسلام منفذاً للقضاء على الإسلام.

ومن المؤسف أنَّ المسلمين قد تشتّتوا تشتّتاً كبيراً حتى لم يعد من السهل جمع حتى عشرة أشخاص منهم تحت راية واحدة. فقد اعتاد الكثير من المسلمين على الحالة الفردية وعلى الاستبداد وعدم التنازل للآخرين حتى لو كان الحقّ معهم ، واعتادوا على عدم احترام آراء الآخرين ، وعدم الاعتناء بأفكارهم ، بينما الأساس في الإسلام يقوم على مبدأ الشورى والمشورة في كل شيء إلاّ فيما ورد فيه نص صريح.

والشورى تقوم على الروح الجماعية ، وبدون هذه الروح لا يمكن أن تتحقق الشورى. وبالشورى تتلاقح الأفكار وتتبلور وتشذّب تشذيباً جيداً. وبالشورى يأخذ كل رأي حجمه الطبيعي في زحمة الآراء ، لا حجمه في حالة الانفراد بالرأي ، فإذا قلنا إن منظمة مكوَّنة من عشرة أعضاء لابد وأن يكون نصيب كل رأي عشرة في المائة ، أو ليس من حق كل إنسان أن ينفّذ رأيه مائة في المائة ، فالقابل للتنفيذ هو القابل للتصديق أيضاً.

# نتيجة الاستبداد في الرأي

يقال : إنّ ريفياً مرض ، فأشار عليه أقرباؤه وأصدقاؤه بأن يدعوا له طبيباً ؛ ليعالجه . فقال المريض : ائتوني بطبيبي الخاص «حكيم باشي» ، فأخذوا يبحثون عن حكيم باشي ، فلم يجدوا له أثراً يُذكر ، فجاؤوا إلى المريض ، وقالوا له : إن حكيم باشي قد ترك القرية ، فقال المريض : إما أن تأتوني بحكيم باشي أو لا أريد طبيباً . وأصرّ على رأيه ، وبقي مريضاً حتى مات .

لقد مات هذا الريفي ؛ لسذاجة رأيه ، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام : (**من استبدّ برأيه هلك**)[1] .

وأمثال هذا الرجل المريض كثيرون عندنا ، وهم القائلون : إما أن نعمل معكم حسب آرائنا ، أو أن نترك العمل ولو كان في ذلك تأخر

---

(١) نهج البلاغة ـ قصار الحكم: ص٥٠٠ تسلسل الحديث: ١٦١ ، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٤٣ ح١٠١١١ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج١٨ ص٣٨٢ ب١٦٣ ، خصائص الأمة: ص١٠٨ ، وسائل الشيعة: ج١٢ ص٤٠ ب٢١ ح١٥٥٨٧ ، بحار الأنوار: ج٧٢ ص١٠٤ ب٤٩ ح٣٨ ط بيروت.

الإسلام وتأخّرنا. وكم رأينا من منظمات وهيئات تتشكل ثم تتفرق؛ لأن أعضاءها اختلفوا فيما بينهم وتعدّدت آراؤهم وانقسموا أخيراً على أنفسهم، فيتباطؤون في تنفيذ الآراء، ثم ينسحب الواحد تلو الآخر حتى تنهدم تلك الهيئة وتنهار تلك المنظمة، ونتيجة للانقسام يسعى أحد أفراد الهيئة أو المنظمة بإثارة النعرات والاختلافات ضد الهيئة أو الجمعية إذا انسحب من عضويتها ويبرر عمله بأنه لم يُؤخذ برأيه.

وهكذا حيث تركنا العمل بـ «توحيد الكلمة»، خسرنا «كلمة التوحيد»، ومصداق ذلك نجده في البلاد الإسلامية التي اقتطعها الاستعمار وسيطر عليها واعتبرها جزءاً من مستعمراته وامتداداً لخريطته الجغرافية.

# المسيحية والشباب

قال لي أحد الأصدقاء الذين ذهبوا إلى ألمانيا الغربية : إن هناك منظمة للشباب المسيحي ، تضم عشرة ملايين مشترك .

وقال لي صديق آخر من الذين زاروا إنجلترا : إن الكنيسة احتضنت أغلب شباب بريطانيا .

**أقول** : وهذا هو السر وراء عدم انسياق شبابهم وراء الشيوعية وما أشبه .

# الشباب والهيئات الدينية

قرأت في إحدى الكتب أنَّ الصهيونية تحتضن بمنظماتها أغلب يهود العالم ، هكذا يجب علينا نحن أنْ نوحِّد الكلمة ، فإن توحيد الكلمة يعني تربية نفسية ، وعملاً دؤوباً ، وحزماً متزايداً ، فاللازم أنْ نشرع بتنظيم أنفسنا تاركين خلف أظهرنا كل السلبيات الموروثة ، وقد كنا قد جربنا تجربة رائدة إلاّ أنها سقطت في الاضطرابات التي قامت في العراق ، ولم يبق من التجربة سوى القليل من فوائدها ، ومن تلك التجربة تشكيل الهيئات في المساجد والحسينيات ، وكنا نجمع تحت لواء هذه الهيئات مجموعة من الشباب المؤمن ، ففي كل مسجد من مساجد كربلاء والحسينيات والمكتبات كانت تقام هيئة من الهيئات ، فكانت هيئة باسم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وهيئة باسم الإمام علي عليه السلام وهيئة باسم الزهراء عليها السلام وسائر الأئمة عليهم السلام . وقد بلغ عدد هذه الهيئات زهاء مائتي هيئة ، وكانت تحتضن عدداً كبيراً من الشباب ، فلو كان في كل هيئة مائة فرد ، لبلغ عددهم ألفي فرد . وكنا نعبِّر عن هذه الهيئات بالهيئات المنظمة ، وكانت تجتمع في كل أسبوع مرة أو مرتين ، وبرنامج الهيئة كان

يتلخّص في قراءة القرآن الكريم ، ثم يلي القرآن محاضرة دينية ثم أسئلة وأجوبة في الأحكام الشرعية ، ولو لا الاضطرابات التي انتشرت في العراق ، لاستمرت هذه التجمعات والهيئات في أداء وظيفتها الاجتماعية والثقافية .

ومما يُذكر أنّ هذه الهيئات بدأت تمتد إلى أماكن أخرى من العراق كالنجف الأشرف وبغداد والكاظمية والحلة ، وكانت هناك هيئات نسائية ، تضم أعداداً كبيرة من الطالبات الجامعيات ، والطالبات المثقفات ، وبدأت الأنشطة المختلفة من خلال هذه الهيئات ، مثلاً بدأت طباعة الكتب ، ومن خلالها بدأنا بنشر الكتب والمجلات المتنوعة ، وقمنا بتشكيل اللجان المختلفة كلجنة لتزويج العُزّاب والعازبات ، ولجنة لمساعدة الفقراء والمحتاجين ، وعيادة المرضى ، ولجنة لتنظيف المدينة ، وما أشبه ذلك .

واكتشفنا بعد تجربة رائدة في عمل الهيئات ، أنّ هذه الهيئات هي الأسلوب الأمثل لجمع الشباب وتوحيد الطاقات وتفجيرها إلى ما فيه الخير والصلاح .

ويا حبّذا لو تتبنى جميع المناطق في العراق هذا الأسلوب ويبدؤون بتشكيل الهيئات كمقدمة لجمع الشباب .

## النتائج الإيجابية للهيئات

لقد استطاعت هذه الهيئات أن تحقق أمرين هامين :

الأول : الوقوف بوجه الفساد الاجتماعي .

الثاني : التصدي للأحزاب غير الإسلامية ؛ الشرقية منها والغربية ، ولما كان من الواجب علينا الوقوف بوجه الفساد المستشري والوقوف قبال الأحزاب الكافرة ، كان علينا أن نبدأ الخطوة الأولى في هذا المجال بتشكيل الهيئات فإنها المنطلق لتأسيس أي عملٍ تقدمي .

ويمكن تحقيق ذلك بثلاثة أمور :

أولاً : القيادة القوية والمتطورة المتفهمة لحاجات الأمة ، والواعية بملابسات العصر الحديث وتعقيداته ، ففي العهد الإسلامي الأول ؛ لمّا توفرت القيادة الحكيمة والمتمثلة برسول الله ﷺ ، انضوت الشعوب تحت راية الإسلام ، وعندما افتقدت الأمة لهذه القيادة الحكيمة ، تفرّقت الأمة ، وانفرط عقد وحدتها .

ثانياً : وجود المؤسسات الدينية والاجتماعية البديلة عن المؤسسات المضادة ، ويجب أن يكون منطلق هذه المؤسسات من المساجد والحسينيات والمكتبات والمدارس والنوادي والمسارح في الدول التي يسمح فيها للعمل الإسلامي ، أما في الدول التي لا يسمح فيها بالعمل ، فلابُد أن تتحلى هذه المؤسسات بالكتمان ؛ استناداً للحديث الوارد : (**استعينوا على قضاء**

حوائجكم بالصبر والكتمان)[1] .

ويجب أن تعتمد هذه المؤسسات على نفسها في الموظفين والمال ، فالمؤسسة التي تحظى بالاكتفاء الذاتي هي المؤسسة الناجحة والقادرة على حل مشكلات الشباب المختلفة .

ثالثاً : إقامة لجان تتولى مسؤولية وضع حلول لمشاكل الشباب ، مشاكلهم العاطفية ، وذلك بدعم مشروع الزواج ، والمشاكل السياسية كمشكلة الانتماء إلى الأحزاب ، أو المشاكل الاقتصادية كالفقر والفاقة أو المشاكل المرضية التي يبتلي بها الشباب ، فالناس لا يؤمنون إلاّ بمن يحلّ لهم مشاكلهم ، وقد ورد في القرآن الكريم إشارة إلى هذه الحقيقة الهامة في سورة قريش ، حيث يقول ﷻ : ﴿**الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ**﴾[2] ، فقد عبدوا الله بعد أن أمّن لهم الخير والأمن .

## أمور لا بدَّ منها

ولا يخفى بعد ذلك أن أمر الهيئات المنظمة ، يحتاج إلى أخذ الموضوع من جميع جوانبه ، فهناك الحاجة المالية ، وهناك الحاجة الدعائية ،

---

(١) فقد ورد عن الرسول ﷺ : (استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود) ، مجموعة ورام : ج١ ص ١٢٦ ـ ١٢٧ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج١ ص٣١٦ ب٢٣ .

(٢) سورة قريش : الآية ٤ .

والحاجة الدفاعية ، فضلاً عن الحاجة الثقافية ، فلولا المال لا يُمكن الاستمرار في الهيئات ، ولولا الإعلام ، لن يتم نمو الهيئات وانتشارها ، ولولا الدفاع لتغلبت الجهات المناوئة للهيئات عليها .

ولولا الثقافة الدينية والدنيوية التي تبثُّ في الشباب روح الطموح والتطلع إلى المستقبل من ناحية ، وتقوي فيهم الفضيلة والإيمان من ناحية ثانية كالمنابر والكُتب والندوات والمجلات ، لركدت الهيئات ثم أخذت في الانهيار والذوبان ، وقد أكّد الإسلام على النظام أبلغ تأكيد كما يظهر ذلك من القرآن الحكيم والسنة المطهرة ، فضلاً عن أنّ النظام هو مصدر القوة في مواجهة الأعداء ، وقد قال ﷻ : ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ**﴾[1] ، وأن أي تأخير عن تشكيل تلك اللجان والمنظمات والهيئات الخيرية سيمنح الفرصة للتيارات المعادية أن تضع بديلاً للإسلاميين . ثم إنه من الضروري جداً دفع هذه الهيئات المنظمة إلى العمل في مختلف ميادين الحياة السياسية والاقتصادية والزراعية والعسكرية والثقافية والدينية وغيرها ، لأن الإسلام دين لجميع جوانب الحياة ، وجاء لمعالجة كل الأمور ، ولا يمكن الأخذ به مجزءاً ، هذا إذا كانت أحوال البلد تسمح القيام بمثل هذه الأعمال وإلاّ فلابد من الاستعانة بالصبر والكتمان .

أما في الدول الاستبدادية فلابُد من وجود عمل منظّم وسرّي ، ويجب

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٦٠.

أن يبتعد هذا التنظيم عن العمل العلني الذي يسلط الأضواء على الأشخاص القائمين عليه .

## شمولية الأدوار

وباستطاعة الهيئات في البلاد الحرة أن توسّع دائرة أنشطتها لتشمل العمل السياسي ، فهي ترشّح أفراداً في الانتخابات وتعارض الدولة إذا ما قامت بإجراء مخالف للإسلام والإنسانية ، وتمارس ضغوطاً على الدوائر الحكومية لمنعها من مزاولة الأعمال المنافية والمعاكسة لإرادة الأمة . وتعمل هذه الهيئات أيضاً من خلال نشراتها ومجلاتها ومن خلال حملتها في المجالس بتغيير القوانين الوضعية في البلاد واستبدالها بالقوانين الإسلامية ، حيث قال ﷻ : **﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَه مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُه يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾**[1] .

من هنا ، كان من الضروري على هذه الهيئات أن تمارس كل الأدوار كما هو الإسلام يمارس كل الأدوار في الحياة فلا تترك مجالاً فارغاً .

فإذا كان المجال مباحاً شرعاً بذاته كان الدخول فيه مباحاً أولياً . وإذا كان المجال محرماً شرعاً كالمكوس والبنوك الربوية وما أشبه ذلك ، دخلوا فيه بقصد الإصلاح ، وتجنبوا الحرام قدر المستطاع . قال ﷻ : **﴿فَاتَّقُوا اللهَ**

---

(١) سورة طه : الآية ١٢٤ .

مَا استَطَعتُمْ﴾[1] .

فإن أهمية إنقاذ البلاد من براثن المستعمرين وعملائهم ، تفوق أهمية المحرمات الذاتية في بعض الأحيان لما قرره الشرع من قانون «الأهم والمهم» .

كما وأنه يلزم على الهيئات المنظمة أيضاً محاربة المنكرات والمفاسد كالخمور والسفور والقمار والربا والاحتكار ، وكذلك يلزم على الهيئات المنظمة أن تتبنى الشؤون الاجتماعية بمختلف قطاعاتها كشؤون العمال والفلاحين وقضايا العمران والمسائل الأمنية ومسائل الرفاه العام وأموراً تتعلق بتسليح البلد وتقويته في مواجهة الأعداء .

والحاصل ، فإن برنامج الهيئات برنامج حافل بالأنشطة المختلفة ، ومسؤولية الهيئات هو العمل على تطبيق الشريعة الإسلامية قدر المستطاع لا العمل بجزء وترك الجزء الآخر .

---

(١) سورة التغابن : الآية ١٦ .

# وحدة العلماء

توحيد صفوف أهل العلم له دورٌ كبيّر في تقديم البلاد الإسلامية ، كما وأن اختلافهم له دور كبير في تأخير البلاد .

ولا يتوحد أهل العلم طالما ظل المال مبعثراً .

وما دامت الدراسة الدينية فوضى .

ومادام النظام السياسي لا يتفق وطموح أهل العلم .

ولا يمكن علاج هذه الأمور الثلاثة إلاّ بوضع معايير تقويم للرئاسة وقواعد لإيجاد الرئاسة ، ولا يتم ذلك إلاّ بتكوين مجلس استشاري يتكون من أهل الحل والعقد من علماء الدين العدول لاختيار الأصلح من المراجع القائمين ، ومن الطبيعي أن يلاحظ المجلس مؤهلات المرجع وقدراته الإدارية إلى جانب المزايا والمؤهلات الدينية الأخرى التي تجعله قادراً على القيام بدور الريادة في المجتمع . وبمقدور المجلس تعيين معاونين للمرجع يُساعدونه على القيام بالمهمات الثانوية مثل تنظيم الدراسة ، وتنظيم شؤون القضاء ، وتنظيم أمور المال ، وغيرها من الأمور الأخرى .

وإذا كان للأمة مراجع متعددين كما هو الغالب كان المجلس الأعلى

المتشكّل من المراجع هو السّلطة العُليا ، إذ لا يحق لمرجع أن يضغط على مقلد مرجع آخر ويفرض رأيه عليه .

وهناك أمور لابُد من استدراكها :

أولاً : هل أهل العلم يرضون بتنفيذ هذه النظرية؟

في الإجابة على هذا السؤال لابد من القول : إنّ أهل العلم يصنَّفون أمام هذه النظرية إلى صنفين اثنين :

صنفٌ يؤيِّد النظرية ويعمل من أجل تنفيذها .

وصنفٌ يحاربها ويعمل على هدمها .

وهذا التصنيف أمرٌ طبيعي ، تجده في جميع المجالات الحياتية ، فحول أي موضوع ينقسم الناس بين مؤيد ومعارض .

وطالما علّمنا الإسلام أدب الحوار والمناقشة ، يجب أن نعمل وفق الأدب الإسلامي ، ففي تاريخ أهل البيت حكايات كثيرة لمناقشة الأئمة عليهم السلام مع الزنادقة والمنحرفين وغيرهم . فكان لابُدّ من التحلّي بالأخلاق الحسنة ، فبالأخلاق الحسنة وحدها تنتهي المشاكل ، وبالأدب الإسلامي الرفيع يستطيع أي إنسان أن يناقش آراء الآخرين حتى لو كانت مضادة له .

ثانياً : ما هي نظرة الحكومات إلى هذه النظرية؟

في الجواب نقول :

١ـ من الضروري انتزاع اعتراف الحكومات ـ إذا كانت ديكتاتورية ـ

بالنظرية ليكون لها شأنٌ خاص تقرّه الحكومات وتعترف به حتى يتم السماح لأصحاب هذه النظرية بالحركة في الأفق الاجتماعي والمالي وفي تعيين القضاة وأئمة المساجد والمبلغين داخل الجيش .

٢ـ وإذا كانت النظرية في ظل حكومة حرة ، فالحكومة لا شأن لها بها مع الافتراض أنها حرة .

ومختصر الكلام أن الحركة يجب ألاّ ترتبط بالحكومة وإنما يجب عليها أن تحصل على اعتراف الحكومة .

أما السؤال الوارد : هل الحكومة ينبغي أن تتدخل في شؤون الحركة بما ينفعها أم لا ؟ . وهل إمكانيات تدخُّل الحكومة في شؤون المرجع الفرد أكثر أو إمكانيات تدخل الحكومة في شؤون المرجع الاستشاري أكثر؟ .

لابُدَّ أن يكون الجواب في الشق الثاني من السؤال : فلا خوف إذاً على الحركة من هذه الجهة .

ثالثاً : هل هناك لكل الشيعة مرجع أو مراجع حينئذ؟ .

والجواب : إنّ من الصعب جداً أن يكون للشيعة مرجعٌ واحدٌ ، بعد تقسيم البلاد إلى خرائط جغرافية سياسية . وإن لم يكن ذلك بمستحيل في نفسه ، ويدلُّ على صعوبته البالغة الأشباه والنظائر كالرئاسة المسيحية والرئاسة السنية ؛ حيث إن التقسيمات السياسية للبلاد لا تسمح لسيطرة رئيس ديني واحد على كل البلدان . أمّا إذا تمكن المجلس الاستشاري بالإقناع على توحيد المرجعية في كل الأقطار بمرجع واحد يقود المسلمين ؛

فبها ونعمت ، ولا شيء أحسن من هذا الأمر .

وإذا لم يكن المجلس الاستشاري قادراً على ذلك ، فسيظهر هناك مرجعان في قطرين ، أو مراجع في أقطار متعددة ولا بأس بذلك مادام أنَّ التوحُّد غير ممكن ، ومن ثمَّ يكون بين المرجعين أو المراجع نوع من الاتحاد الحركي والعملي حتى يوجب التنسيق بصورة مماثلة لجامعة الدول العربية أو مؤتمر القمة الإسلامي أو اتحاد الدول الإفريقية ، ولا مناقشة في الأمثال والوسائل .

وعلى أيِّ حال : «لابُدّ من صنعا وإن طال السفر» ـ كما قال الشاعر ـ ، وإني لأظن أنه لو ابتدأت مثل هذه الحركة بكل همّة وجدٍ وإخلاص سوف لا يمضي ربع قرنٍ إلاّ وتظهر النتائج المطلوبة كما هو متوقع . . ومن تلك النتائج المرجوّة :

١ـ ألاّ يكون طالب العلم الديني مهاناً في المجتمع .

٢ـ ألاّ يكون راتبه الشهري أقل من راتب الموظف الإداري .

٣ـ ألاّ تكون مدة دراسته مجهولة .

٤ـ ألاّ تكون بداية دراسته كآخرها مجهولة ، إذ لابد من منهاج دراسي واضح ومحدد .

٥ـ ألا يكون هدف الطالب مجهول المصير ، فلابُدّ من تحديد مستقبلي لكل طالب علم ، ولابد من برنامج يتم من خلاله استثمار طاقة الأفراد .

٦ـ ألاّ يكون هناك صراع ونزاع بين حواشي المراجع بل تكون الحواشي

نظيفة وبعيدة عن الصراعات والنزاعات .

٧ـ أنْ تكـون الإدارة في المجتمع العلمي إدارة قوية وواعية ، وبعيدة عن الفوضى .

٨ـ أنْ يكـون هـناك توزيـعٌ عـادلٌ لـرجال العـلم بـين المُدن الإسـلامية ، كذلك أئمة الجماعة والموجّهين الدينيين .

٩ـ يجب الاهـتمام بالتبليغ الديني بنفس الحجم الذي نهتم به في الأمور الأخرى .

١٠ـ وألاّ يحـدث فـراغ عـند مـوت المـرجع ، ونهـوض مـرجع آخـر ، والناس في حيرة من تقليدهم وسائر شؤونهم الدينية .

١١ـ وألاّ يكـون بمـوت المرجع موت للمؤسسات المرجعية التي بناها هو وحاشيته بـل عـلى كـل مـرجع أن يقيم المؤسسات ، فمتى ما مات ، تبقى المؤسسـات لتواصـل خدمـتها للديـن وأنهـا لا تـتوقف بـتوقفه عـن الحـياة . وعـندما تكـون هـناك مؤسسـات ، فالمـرجع الـذي يـأتي بعـد مـوت المرجع الأول سوف لا يبدأ من الصفر .

١٢ـ وأن تصـرف الحقـوق الشـرعية في المـوارد الصـحيحة وألاّ تجمّـد في أمور لا فائدة ترتجى منها ، أو أن تصرف في موارد غير مواردها الشرعية .

١٣ـ وعلى عالم الدين أن يعطي صبغة الفاعلية لمجمل أعماله .

١٤ـ وأن يـتوقف هـدر الأمـوال الكـثيرة والطاقات الكبيرة على الدعاية للمرجع وحاشيته ووكلائه .

١٥ـ الحفاظ على النظرة القدسية نحو المراجع وألاّ تتحوّل المرجعيات إلى ملوك الطوائف في نظر الناس.

١٦ـ تفعيل الإدارة المسؤولة عن تدريس الطلبة بما يضمن التقدم المستمر لطالب العلم.

١٧ـ وأن يمنح طالب العلم شهادة كما حال كل الجامعات في العالم، فعصرنا اليوم هو عصر الشهادات.

١٨ـ ولا يكون المرجع مكتوف الأيدي قبال تعيين أو عزل وكيل، وألاّ يترك الأمور إلى الحاشية لتفعل ما تريد.

١٩ـ ويُضاف إلى المواد التدريسية في الحوزة الفقه والأصول، العلوم الإنسانية المرتبطة بالمجتمع كالسياسة والاقتصاد وعلم الاجتماع والإدارة والإعلام مما يحتاجها طالب العلم لئلا يصيب الناس الازدراء من أهل العلم والدين.

٢٠ـ ولا يكون للمرجعية وكيلان في مدينة واحدة، خصوصاً إذا كان الوكيلان يوجهان الأمة توجيهين مختلفين فحينئذ ستختل الموازين ويحدث الاختلاف حتى في تعيين أوائل الأشهر[1].

ولاشك أن عصارة ما تبقى اليوم من الإسلام هو الذي يتمثل

---

(١) وقد أسهب الإمام المؤلف ﷺ في الحديث عن هذه الأمور وأشباهها في كتابه «المرجعية الإسلامية».

بالمرجعية ، فالتطور الذي طرأ في العالم اكتسح جميع الأساليب السابقة التي كانت تتبناها المرجعيات التقليدية . فلو لم تغيّر المرجعية من أساليبها في العمل مع الحفاظ على الجوهر ، سوف لا تتمكن من أداء رسالتها كما هو مطلوب .

# المرجعية الواعية

لا ريب أن استقلال العراق السياسي قد ارتبط بثورة الإمام الشيخ الشيرازي ﷺ ، كما أن استقلال إيران الاقتصادي ارتبط بفتوى الإمام المجدد السيد الشيرازي ﷺ .

وإذا ما قسنا قدرات المرجعية قبل نصف قرن مع قدراتها في هذا اليوم كان التفاوت كبيراً جداً ، فاللازم علاج ذلك قبل أن تزداد درجات هذا التفاوت .

إنَّ الكنيسة حينما اضمحلت هيبتها أمام الحضارة الغربية جمعت نفسها ، وأعادت نشاطها ، بل وتوسعت باستخدامها للوسائل الحديثة ، مع العلم أنّ الكنيسة وبصورتها التقليدية هي نمط من التخلف ؛ حيث إنها أجرمت بحق العلماء وأصحاب الفكر والرأي .

أمَا علينا أن نأخذ عبرة من ذلك ؟!

أمَا يجب على المرجعيات الشيعية أن تستعين بهذه الوسائل المتطورة مع أنها مرجعيات صحيحة وسليمة وتقدمية من أصلها ، وقد ساهمت في تحرير البلاد ونشر العلوم ، وأسدت للناس أجلّ الخدمات منذُ زمنٍ بعيد

حتى يومنا هذا؟!

إنّ أشد ما يثير دهشتي التناقض الحاد في نفوس بعض الناس! فثمة جماعة من الناس تؤكد على نبذ الجمود وتدعو إلى توحيد الكلمة وتشجب التشتت والضياع وتفرّق الكلمة بلسانها وتخالف كل هذه الأمور بعملها!

إنَّك لتجد في نوادي هؤلاء الأشخاص واجتماعاتهم كلاماً معسولاً، يدور حول التطوّر والتقدم والمشاريع الحديثة، ولكنك ستفاجأ بعدائهم الشديد بمجرّد قيام تلك المشاريع.

# من تجارب الأصدقاء

واجهت جماعة من الأصدقاء الذين نذروا أنفسهم لتقديم الحياة الدينية والاجتماعية إلى الأمام واهتموا بتوحيد بعض الفئات ، فلاقت أشد الصعوبات ؛ إذ أقدمت هذه الجماعة على القيام بفتح «مكتبة» في مدينة كربلاء المقدسة ثم أخذوا ينشرون «مجلة» ثم أنشؤوا «جمعية» ، ثم أسسوا «مطبعة» ثم «مدرسة أهلية» ، وقد تم إنجاز هذه الأمور الخمسة في زمنٍ متقاربٍ ، ومع أول خطوة نحو تنفيذ تلك المشاريع الخمسة ، لقوا معارضة شديدة من لدن أولئك الذين كانوا يتوقون القيام بهذه الأعمال ، وكان الباعث على اعتراضهم ونقدهم هو الحسد و ما أشبه .

وأخذ هؤلاء يبثّون التّهم والدعايات المضلّلة ضدّ العاملين ، وأصبحوا يؤلّبون الناس ضدّهم ؛ حتى إنهم سعوا بالوقيعة بهم لدى السلطات الظالمة ، فقد اتهموهم بالشيوعية ، وطلبوا من السلطات قطع دابرهم والتخلص منهم ، وقد اقتنعت الحكومة بتلك الاتهامات الموجهة ضد الأصدقاء وأمروا أزلامهم باتخاذ الإجراءات اللازمة ضدّهم .

والبعض من المناوئين اتهم الأصدقاء بأنهم قوميون ومخربون ،

فالواجب إيقاف نشاطاتهم ، وقد قررت السّلطة آنذاك إلقاءهم في السجن بعد وشاية المناوئين إلاّ أن الله سبحانه كفاهم شرّ المشكلتين ، والغريب في الأمر أن الذين كانوا يُعارضون تلك النشاطات ، لم يمضِ زمان إلاّ واقتطفوا بأنفسهم ثمار تلك النشاطات ، وكانت لهم سيادتها وعنوانها .

# المجتمع وتوحيد الكلمة

وحول «توحيد الكلمة» ، ففي المجتمع ثلاث طوائف ، هم : أهل العلم ، والكسبة ، والموظفون . ومع الأسف ، في مجتمعنا إن هذه الطوائف الثلاثة متباعدة ومتنافرة ، وجاءت هذه المنافرة نتيجة التفكك والضعف في الأمة الإسلامية ، فكان أهل العلم يرون الطائفة الثالثة وكأنهم خارجون عن الإسلام ، وتنظر الطائفة الثالثة إلى أهل العلم وكأنهم خرافيون ورجعيون ، لا يفهمون شيئاً ، وهم السبب في تأخر البلاد ، وتجميد المسلمين .

أمّا الطائفة الثانية : فكانت تقف موقف الوسط ، فأحياناً تنتصر إلى هؤلاء وأخرى إلى أولئك ، ولذا ما كُنت ترى في تلك الأيام حتى طالباً واحداً أو موظفاً واحداً في صلوات الجماعة أو مجالس التعزية أو بيوت العلماء ، وكانت المهاترات تنهش بأظافرها جميع الأطراف ، وكان أولئك العاملون يدعون إلى وجوب التقارب بين الطوائف وإيقاف التهم والمهاترات ، كما كانوا يقيمون الهيئات لأجل تحقيق المشاريع ، أو لأجل التثقيف الإسلامي ، وكانوا يلاقون بذلك مشاكل جمة من الأصدقاء قبل

أن يلاقوها من المناوئين ، وكانت أجمل هدية يتلقونها من الأصدقاء هي التُّهم ، ووضع العراقيل في طريقهم .

ولم يكونوا يبدون أيَّ تعاون ، وإذا تكلموا معهم حول عمل مشترك أو تعاون ، كانوا يفتحون الحسابات القديمة ، لماذا فعلتم كذا؟ ولماذا قُلتم كذا؟ واعملوا مع من كنتم تعملون سابقاً؟ ولماذا أخفيتم عنّا ، ولماذا لم تشاركوننا في سابق أعمالكم؟ وأسئلة أخرى ساذجة ، يطرحها من يريد العمل في الحقلين : حقل التطوّر ، وحقل التوحيد ، ولو كان ذلك التطور بتأسيس مدرسة أو إيجاد فرصة لتوحيد النشاطات وإن كان في جمع عشرة أفراد لتأسيس هيئة يجتمعون فيما بينهم لتجويد القرآن الحكيم .

فاللازم أن يعلم الفرد العامل أن الطريق ليس مفروشاً بالأزهار ، وأن أول المتحمسين للعمل سينقلب إلى أول المعارضين له وصدق ﷺ ؛ حيث قال : ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾[1] ، بينما كلّنا يعلم أن النبي ﷺ لم يرد إلاّ خيرهم وصلاحهم بتقديمهم إلى الأمام وبتوحيد كلمتهم بما فيه عزتهم وشوكتهم وسعادتهم ، ولم يكن البشر في ذلك اليوم يختلف عن البشر في هذا اليوم ، وإن لم يكن نبيٌّ ولا وصيٌّ في الظاهر اليوم ، ثم إن الذين يُعارضون الإصلاح هم على أشكال ـ غالباً ـ فإمّا حسّاد مفترون ، أو عاملون لإرضاء كبريائهم ، أو جهّال سطحيون ، وهؤلاء هم

---

(١) سورة البقرة : الآية ٤١ .

المعارضة ، ثم إنهم يسحبون معهم جماعات من طيبي النفوس ، ويتخفّون وراءهم ؛ لنيل أهدافهم ، وبعد هؤلاء الأفراد الذين غالباً ما نجدهم في الأصدقاء ، يأتي دور الذين يناوئون الإنسان ومشاريعه لأهداف خاصة ووقتية مختلفة عن أهداف الإنسان ، مثل أن تكون أنت في جانب الإسلام وهم في جانب الإلحاد ، أو تكون أنت من أتباع مذهبٍ خاص ، وهم من أتباع مذهبٍ آخر .

فالمفترض بالذي يريد التقدُّم أو توحيد الصف أنْ يتّصف بالحزم ، ويتحلى بالأخلاق والدفع بالتي هي أحسن ، وبمداراة الناس إن أراد نجاح مشروعه .

# العلماء حصون الأمة

زار الملك ناصر الدين شاه القاجاري إحدى الدول الغربية المعروفة باستغلالها للشعوب ، يصحبه رئيس وزرائه ، وقد استعدّ رئيس تلك الدولة استعداداً عسكرياً كاملاً لإظهار قوة بلاده أمام ناصر الدين شاه ولإدخال الرعب في قلبه . فأمر الجيش بالقيام باستعراض عسكري واسع أمام موكب الشاه .

وكان الجيش يتكون من قوة عسكرية كبيرة ومدرّبة ومجهّزة بأحدث الأسلحة ، ممّا أعجب الشاه بهم إعجاباً كبيراً بالاستعراض الرائع في وقت كان فيه الجيش الإيراني يعاني من الانهيار والتفكك وضعف السلاح .

ولما انتهى العرض العسكري ، التفت رئيس تلك الدولة ؛ ليسأل الشاه عن عدد قواته العسكرية؟

يقول الصدر الأعظم رئيس الوزراء الذي كان يرافق الشاه في سفره : أخذ قلبي ينبض وارتعدت فرائصي من ذلك السؤال ، واشتدّ قلقي من جواب الشاه؟ ، فهل يجيب بما هو واقع وذلك إهانة كبيرة لإيران ، وتطميع أكبر بتلك الدولة الاستعمارية ، والمثل يقول «المال المتروك يدفع

السارق إلى السرقة» ، أو يقول كذباً ، وهو فضيحة أمام كل الأطراف التي تعلم بقدراتنا العسكرية؟!

إلاّ أنّ الشاه ، برع في الجواب حيث قال : إن جيشنا لا يتعدّى في أيام السلم عشرة آلاف شخص لحماية البلاد من المخربين والمجرمين والسارقين ، وهذا العدد كافٍ في بلادنا لردع أولئك العدد القليل من المجرمين في مجتمعاتنا الإسلامية ؛ لأن الإسلام يطهّر النفوس ويمنع عنها الإجرام ، فيكون وازعاً داخلياً عند عامة الناس إلاّ من شذّ وندر.

أمّا في أيام الحرب ، فيصبح جيشنا متكوناً من عشرة ملايين ويشمل جميع البالغين من الرجال والنساء من الشعب الإيراني.

قال رئيس الدولة الغربية : وكيف يمكن أن يكون الجيش الاحتياطي كل الشعب - وقد قاس الأمر في فكره حسب موازين الجيوش النظامية -؟.

قال الشاه : نعم ، إن ذلك مستحيل في موازينكم.

أمّا بالنسبة إلى بلادنا ، فعندنا العلماء ممثلون للإمام المعصوم ، وأمرهم مطاع لدى جميع الناس ، وإذا ما أفتى العالم فتوى «الجهاد المقدس» ، فلن تجد من لا يُلبي هذا النداء ، فطاعة العالم في فتواه كطاعة الله سبحانه ، وعلى جميع المسلمين ومن بلغ سن الرشد الامتثال لأوامرهم.

قال الصدر الأعظم : فانخطف لون رئيس الدولة الغربية ، وظهرت عليه آثار الدهشة والاضطراب.

نعم ، إنّ ما قاله الشاه صحيحٌ في ذلك الزمن الغابر ، إنّه هكذا يكون

الدفـاع الإسـلامي ، في زمـان لم تـتوفر فـيه الوسـائل الحديـثة الـتي تؤمّـن الدفاع .

أمّـا الـيوم ، فإنّ الجـيش والدفـاع أصـبح مؤسسـة حديـثة تقوم بتدريب الـناس عـلى السـلاح وتنظمهم على شكل المقاومة ليصبحوا على استعداد كامل ، متأهبين لساعة الصفر .

فالجهاد الذي هو من أقسام الدفاع واجبٌ على كل مكلف مثل وجوب الصلاة والصيام ، ولذا عُدَّ من فروع الدين .

# شهادة جاسوس

«كينيازدال كوركي»[1] ، وهو الجاسوس الروسي القيصري الشهير الذي بعثوا به إلى إيران إبان الحكم القاجاري.

يقول دال كوركي في مذكراته[2] : «إنّ روسيا كانت معجبة بإيران ومواقفها الصلبة أمام الإمبراطوريتين الروسية والعثمانية بالرغم من ضآلة

---

(١) جاسوس روسيا القيصرية في البلاد الإسلامية ، درس العلوم العسكرية والسياسية والحقوق في روسيا ، أنيطت به مهمة التجسس على إيران ؛ فدخلها سنة ١٨٣٤م وعمل كمترجم في السفارة الروسية في طهران تحت اسم مستعار هو عيسى اللنكراني ، ثم عين سفيراً لها سنة ١٨٤٤م وتنقل بين إيران والعراق وبلاد الشام لأجل ترسيخ النفوذ الروسي في المنطقة بدل النفوذ البريطاني وكانت مهمته القضاء على وحدة المسلمين عبر إيجاد مذاهب مصطنعة وشخصيات مزيفة ، والترويج لفكرة القوميات ، وقد ربّى لهذا الغرض علي محمد الشيرازي ؛ الذي ادّعى المهدوية. وقد ابتدع المذهب البابي عبر حسين علي بهاء وأخيه ميرزا يحيى في إيران. وقد أخذ الروس على عاتقهم الدعم السياسي والتمويل المادي لدعاة هذا المذهب وطبع كتبهم ومنشوراتهم.

(٢) وقد نشرت مجلة الشرق هذه المذكرات بعد انهيار روسيا القيصرية وتأسيس الاتحاد السوفياتي السابق بين سنة ١٩٢٤ ـ ١٩٢٥م . وقد ترجمت هذه المذكرات إلى اللغتين الفارسية والعربية.

عدد سكانها وانعزالها . ـ ويواصل دال كوركي ـ : وكنا نسأل أنفسنا ، ما هو سرّ قوتها ، حتى تبين لنا أن سرّ قوتها في وحدة كلمتها وطاعة الدولة والشعب لعلمائها الذين يعتبرون أفضل حماة للقانون والاستقلال .

ولذا كنت ـ والكلام لدال كوركي ـ موفداً من قبل دولتي لتفريق كلمة هؤلاء العلماء ، وقد كنت أبذل ستين ألف ليرة ذهبية لجلب ضعاف النفوس والعقول إلى جانبي لتنفيذ أهدافي ، فكنتُ أكفّر بعضاً ، وأفسّق بعضاً ، وأقتل بعضاً ، وكنت أنفّذ جميع ذلك بصرف الأموال الطائلة ومن تحت الستار . وأخيراً توصلت إلى أقوى سلاح وهو استخدام الدين كوسيلة لتفريق صفوفهم وتمزيق ألفتهم ، فوجدت في علي محمد الباب خيرَ مطيَّة لتنفيذ ذلك . فقد ادّعى الرجل أنه باب «الإمام المهدي» ، ثم قال عن نفسه بأنه «الإمام المهدي» ، ثم ادّعى بأنه أكبر من ذلك ، وقد تمكّنا بواسطة هذا الرجل وبعملنا الدؤوب الذي لا يعرف الانقطاع أن نفرّق كلمتهم ، وأن نحدث شرخاً كبيراً في صفوفهم» .

**أقول :** هكذا عمل المستعمرون في تمزيق أواصر المسلمين ، وتضعيف القوة الإسلامية . حدث ذلك في غياب الوعي لدى السلطات التي كانت تحكم البلاد الإسلامية . وعلى إثر ذلك ، جرت حروب وسالت الدماء ، وظهر الحزب البهائي[1] في إيران ، وبعد زوال روسيا القيصرية وسقوطها

---

(١) من المذاهب التي ابتدعتها السياسة سنة ١٢٨٠هـ (١٨٦٣م) بواسطة حسين علي

على أيدي الشيوعيين ، انتهزت بريطانيا الفُرصة فاحتضنت الحركة ، وغذّتها بالمال والخطط ، وحين ضعفت بريطانيا ، قامت الولايات المتحدة الإمريكية بالدور نفسه ، وأخيراً قامت الصهيونية العالمية بمدّ يد العون والمساندة إلى البهائية ، وهكذا امتد الأخطبوط في إيران وغير إيران ، وكان بلاءً ، طالت مدّته ، وستطول أكثر طالما ظلّ المسلمون غير متحدين حكومة وشعباً من أجل تطبيق الشريعة الإسلامية وقطع دابر المفسدين .

وكل من أراد المزيد من الاطلاع على المخططات الاستعمارية للفتك بوحدة المسلمين ، عليه أن يقرأ كتاب «مذكرات كينياز دال كوركي» .

ومن الكتب المفيدة في هذا المضمار : «لعبة الأمم»[1] و«أعمدة الحكمة السبعة»[2] ، و«التبشير والاستعمار»[3] ، و «بروتوكولات حكماء

---

نوري المشهور بـ «بهاء الدين» المولود في مازندران الإيرانية سنة ١٢٣٢هـ (١٨١٧م) والمتوفى في مدينة حيفا الفلسطينية سنة ١٣١٠هـ (١٨٩٢م) ، الذي كان أحد أبرز أتباع الباب ـ علي بن محمد الشيرازي ـ بعد إعدامه وادّعى أنه المُظهر الأول للإرادة الإلهية. من مؤلفاته : «الكتاب الأقدس» وهو باللغة العربية ، وكتاب «الإيقان» وهو باللغة الفارسية ، وكتاب «الهيكل» وهو خليط بين العربية والفارسية.

عن نشأتهم وخرافاتهم وردّها راجع كتاب : «مفتاح باب الأبواب» للميرزا محمد مهدي خان التبريزي وكتاب : «البهائية حزب لا مبدأ» للسيد أحمد الفالي ، وكتاب «نصائح الهدى في الردّ على البهائية» للشيخ محمد جواد البلاغي.

(١) للمؤلف : مايلز كوبلاند.

(٢) للمؤلف : توماس أدورد لورنس.

(٣) للمؤلف : عمر فرّوخ.

صهيون»[1] ، و«تشريح جثة الاستعمار» ، و«مذكرات مس بيل»[2] ، و«مذكرات مستر همفر»[3] الجاسوس البريطاني ، و«مجلة ملي تركستان» ، و«الإسلام في قبال الزحف الأحمر» ، و«ظلام من الغرب» ، و«تركستان في ظل الشيوعية» ، وغيرها من الكتب المهتّمة بالهجمة الاستعمارية ضد البلاد الإسلامية[4] .

---

(١) الخطر اليهودي أو بروتوكولات حكماء صهيون. ترجمة محمد خليفة التونسي ، والكتاب ترجم إلى عدة لغات ، منها : الفرنسية والروسية والإنجليزية والعربية والفارسية والأردية.

(٢) العراق في رسائل المس بيل ، وكتاب «فصول من تأريخ العراق القريب» للجاسوسة البريطانية المس بيل ، ترجمة جعفر الخياط.

(٣) للمؤلف الجاسوس البريطاني همفر ، وقد طبع الكتاب عدّة طبعات ، وترجم إلى عدّة لغات.

(٤) وكذا من الكتب المفيدة في هذا المضمار : كتاب «سبز آباد ورجال الدولة البهية» للمؤلفة مي خليفة ، وكتاب «شيعة العراق» لإسحاق النقّاش ، وكتاب «العراق في مذكرات الدبلوماسيين الأجانب» لنجدة فتحي صفوة ، وكتاب «الحج قبل مائة سنة» للمؤلف يفيم ربرفان . الرحلة السرية للضابط الروسي عبد العزيز ورلتسشين إلى مكة المكرمة.

ومن نافلة القول : نذكر القصة التالية التي ذكرها المؤلف ﷺ في كتابه «الكتاب من لوازم الحياة» ص٤٢ : «كنت في العراق مهتماً في أمر معرفة الناس لما وراء الكواليس الذي انتهى إلى هذه الحالة المتردية للمسلمين ، وبهذا الصدد كنت أنشر الكتب التي توضّح هذه الحقيقة ، مثل كتاب «التبشير والاستعمار» وكتاب «مذكرات الدال كوركي» وكتاب «مذكرات مستر همفر» وكتاب

«بـروتوكولات حكمـاء صـهيون» . وصـرفت بعـض اهـتمامي لطـبع الكـتاب الأخير ، وبعد أن نشرناه فـي المكتبات نفذ بسـرعة ممّا آثار تعجّبي ، كيف ينفذ هـذا الكتاب بهذه السرعة ؟ وأوعزت لإعادة طبعه ثانيةً ، وبعد أقلّ من شـهر نفـذ أيضـاً ، وفـي مرّة ثالثة طبعته ووزعته على المكتبات. ثمّ بعد أسبوع جـاءني شـاب مثقّف فأرشـدته إلى شـراء هـذا الكتاب ، وبعد أن ذهب رجع ، وقـال قـد بحثـت في المكتبات فلم أجـد منـه نسـخة واحـدة . وتحقّقت بنفسي الأمـر ، بعـد أن أثـار استغرابي نفـاذ الكتاب بهذه السـرعة في مـدّة قصيرة ، وأخيراً اكتشـفت أنّـه كلّمـا طبع الكتاب جاء البعض إلـى المكتبات فيشترون جميـع النسـخ ، وبالقـرائن عرفـت أنّ المشترين هم عملاء اليهود ، فإنّ اليهود وإن تـركوا العـراق وغيـره مـن البلدان الإسـلامية بعـد اغتصـاب فلسطين لكن أبقـوا عملاءهـم مـن أجل تنفيذ أمثال هذه الأمور ، ثمّ بعد ذلـك منعت رقابة السلطة في العراق هذا الكتاب».

ومـن الشـواهد الأخـرى الـتي تدلـل عـلى ذلك: «بعد أن هـاجر من العراق ١١٥ ألـف يهوديـاً سـنة ١٩٥١م إثـر تحـريض إحـدى المـنظمات الـيهودية بعـد إلقائهـا قنـبلة يدويـة قـرب كنيسـت يهـودي وبعـض الأمـاكن الأخـرى وقُـتل جـراء ذلـك يهوديـان وجـرح عـدد آخـر ، وقـد اكتشـفت الشـرطة العراقـية تلـك المـنظمة السـرية ، الـتي كانـت تعمـل عـلى حـثّ الـيهود العراقـيين للهجرة إلى إسـرائيل ، وقد ألقـي القبض على أعضـاء هـذه المنظمة وحكم علـى اثـنين منهم بـالإعدام وسـجن بعضـهم بأحكـام تـتراوح مـا بـين ٥ إلى ٨ سنوات.

وقـد جمـع وقـائع المحكمـة والأحكـام الصـادرة وتصـاوير المجـرمين والأسـلحة الـتي وجـدت معهـم مدير شـرطة بغداد عبد الجبـار فهمـي في كتـاب ، سمّـاه «سمـوم الأفعـى الصـهيونية» ، وقـد فقـد هـذا الكتاب في بغـداد وجميـع أنحـاء العراق بعد أن جمعته الصهيونية».

# الصبر يصنع الانتصار

كان لأحد مراجع طهران ابنٌ ، بعثه إلى مدينة سامراء لتلقي الدراسة الدينية ؛ وذلك في عهد الإمام المجدد السيد الشيرازي ﵀ ، وكان هذا الابن سيئ الأدب بحكم كونه شاباً غنياً ، ولعدم تلقيه تربية سليمة في بلاده ، فكان يسيء للسيد الشيرازي بلسانه ويهمزه ويلمزه في أعماله ، وكلّما نُهي عن ذلك لم ينته حتى وصل الخبر إلى الشيرازي ، وطلب من الشيرازي بعضُ حواشيه أن يأمر بإرجاع هذا الشاب إلى بلده ، لكن الشيرازي لم يوافق على الطلب ، وكان الولد مع إحسان الشيرازي إليه وإعطائه الراتب الشهري وهو لا يستحقه و مع ذلك ظل يتمادى في غيِّه .

وهكذا طال الأمر ، فأصرّ بعض الحواشي على إرجاعه إلى إيران ، لكن الشيرازي ظلَّ ساكتاً لا ينبس ببنت شفة .

ومرّت الأمور على هذا المنوال عدَّة سنوات ، وحدث تغيّر طفيف في ثقافة وأخلاق هذا الشاب حتى جاء وفدٌ من طهران إلى سامراء ، وتشرّف الوفد بزيارة الشيرازي ﵀ ، فسأل منهم ، هل عندكم في محلتكم عالم؟

وهل ترغبون في إرسال عالم إلى بلدكم؟

فأجابوه بالترحاب . . فبعث الشيرازي إلى ذلك الشاب وطلب منه العودة إلى إيران ليصبح عالماً في منطقة الوفد القادم . فلبّى الشاب ما طلب منه ، فرافق الوفد وعاد إلى إيران معزّزاً مكرّماً . وتعجب الناس كيف قابل الشيرازي إساءة هذا الشاب بهذا الإحسان .

ولم يمضِ وقت طويل حتى أصبح هذا الشاب عالماً مرموقاً في مدينته ، ثم أصبح مستشاراً لـ«ناصر الدين شاه» .

وعندما كان في معية الشاه وقعت «حادثة التنباك» المشهورة التي أفتى فيها السيد الشيرازي بتحريم التّنباك فأوصدت الأبواب أمام الشاه ، ففكر ذات مرة أن يجمع العلماء في مكانٍ واحد لعلّه يتمكن من إغوائهم في نقض فتوى الشيرازي .

فأوعز إلى مستشاره وكان عالماً ـ وهو الشاب الذي كان في سامراء ـ أوعز إليه أن يقوم بجمع العلماء في داره ويقول لهم بأن الشاه يريد زيارتكم .

وبالفعل جمع العلماء وحضر الشاه ذلك المجلس ، ثم إنه تكلم حول فتوى الشيرازي قائلاً : «هل يحق لإنسان أن يُحرِّم ما أحلّه الله؟ ، مَنْ هذا الرجل المسمّى بـ«محمد حسن الشيرازي» ، القابع في سامراء؟

وكيف يُحرِّم ما أحلّه الله؟

فأطرق الجميع برؤوسهم إلاّ العالم المذكور الذي جمعهم ، والذي قال خلافاً للجميع الذين سكتوا ولم ينبسوا ببنت شفة .

قال : أيها الملك ، إنَّ الإمام آية الله العظمى السيد محمد حسن الشيرازي هو مرجع تقليد الشيعة في كل العالم .

فغضب الشاه من هذا الجواب غضباً شديداً ، وقال : ثم ماذا؟! ، قال العالم : إننا نتوقَّع منك أن تنفّذ أوامر هذا المرجع وإلاّ فنحن سننفذ أوامره بالسيف ؛ فقام الشاه وهو في أشدّ غضب وتوتر ، وهمهم مع نفسه قائلاً : تراني أين جئت ، جئت إلى بيت أي حمار!!

فغضب العالم منه وقال له بصوت مرتفع : يا صاحب الشارب الغليظ ، ليس من حقّك أن تتكلم حول مرجع تقليد الشيعة بمثل هذا الكلام .

وانتفض المجلس ، وفشلت خطة الشاه بل باءت بالفشل الذريع . وانتشر الخبر ، فكتب بعض الناس القصة إلى الشيرازي في سامراء ، وطلب الشيرازي أولئك الذين أشاروا عليه بإخراج الشاب لسوء أدبه ، ثم إنه وضع إصبعه فوق اسم ذلك الشاب حتى لا تعرف حاشيته اسم الشخص الذي انتفض بوجه الشاه . وقال لبعضهم : إقرأ الكتاب ، فلمّا قرأه ، استحسن الجميع عمل هذا العالم الجسور المضحّي ، وبالغوا في الثناء عليه ، وبعد ذلك رفع الشيرازي إصبعه عن الاسم ، وكم كانت دهشة أولئك الذين طلبوا منه طرد الشاب وإعادته إلى بلده .

فقال لهم : أ رأيتم فوائد ذلك السكوت والصبر ، فاعترفوا بحسن سياسة الشيرازي ، ونظرته الثاقبة ، العميقة ، البعيدة المدى .

وهكذا يجب الحفاظ على العلاقة مع الناس مهما اختلفت أعمالهم ونظرتهم وأفكارهم إلاّ في حدود معصية الله سبحانه ، وقد قال سيد البلغاء أمير المؤمنين عليه السلام : **(عاشروا الناس بالمعروف معاشرةً إن عشتم حنّوا اليكم وإن متّم بكوا عليكم)**[1] .

فالناس يختلفون في أذواقهم وأفكارهم وآرائهم فلا نتوقع منهم أن يأتي رأيهم مطابقاً لرأينا مائة بالمائة ، حتى لو كان هناك تطابق بمقدار واحد بالمائة ، علينا أن نستثمر هذا المقدار لنربح المجتمع . وهذا ما قصده أمير المؤمنين عليه السلام في كلامه المذكور.

---

(١) بحارالأنوار: ج٧٥ ص٧٦ ب١٦ ح٤٧ ط بيروت ، وورد أيضاً عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : (خالطوا الناس مخالطة إن متم معها بكوا عليكم وإن غبتم حنوا إليكم) وسائل الشيعة: ج١٢ ص١٢ ب٢ ح١٥٥١٤. وورد كذلك عن علي عليه السلام : (خالطوا الناس مخالطة إن متم معها بكوا عليكم وإن عشتم حنوا إليكم). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٨ ص١٠٧ ب١٠ ، بحار الأنوار: ج٧١ ص ١٦٧ ب١٠ ح٣٥ ط بيروت. وورد أيضاً: ( يا بني ، عاشروا الناس عشرة إن غبتم حنوا إليكم وإن فقدتم بكوا عليكم) بحار الأنوار: ج٤٢ ص٢٤٧ ب١٢٧ ح٥٠ وج٧١ ص١٦٣ ب١٠ ح٢٦ ط بيروت.

# الرسول ﷺ ولمّ الشمل

وعلى غرار ذلك هناك من يسأل : لماذا لم يطرد رسول الله ﷺ المنافقين من حوله؟ .

وقد غفل هؤلاء السائلون عن أمرٍ مهم هو أنه هل كان الأفضل لرسول الله ﷺ أن يقوّي المسلمين في الشكل والجوهر أم يقوّي جبهة الشرك؟ .

فإذا كان رسول الله ﷺ قد طرد المنافقين ، لكان قد أضاف عدداً جديداً إلى المجتمع الجاهلي . ومعنى ذلك : توسع في الجبهة المعادية للإسلام . فقد تخلّص الرسول الأكرم ﷺ بحكمته البليغة من شريحة ، كان يمكن أن تنصب له العداء السافر ، فاستطاع بأخلاقه أن يُفرّق صفوف المشركين ، فكسب أعداداً كبيرةً منهم ، وواصل عملية الكسب .

وقد قال أحد الحكماء : «دع المنافق في نفاقه ، فإن لم تقدر على إصلاح سريرته لا تُفسد صلاح ظاهره ، فإذا مرّ عليك ، أليس من الخير أن يسلّم عليك بدلاً من أن يشتمك . ثم لعلّ الله يهديه سواء السبيل ، فينقلب صالحاً بعد أن كان طالحاً» .

وهذا هو دأب المسلمين من قديم الزمان ، فهم يقلّبون ويحولون من هو

عدوٌ لهم ، ليصبح ولياً حميماً . وقد قال ﷻ : ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[1] .

كما أن الله ﷻ قال أيضاً : ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[2] .

---

(١) سورة فصلت : الآية ٣٤.

(٢) سورة فصلت : الآية ٣٥.

# الناس سواسية

الناس سواسية كأسنان المشط[1] ، بهذا المنطق الرفيع حكم المسلمون مساحة واسعة من العالم ، وتقدّموا أكبر تقدم في تطبيق ونشر الشريعة الإسلامية ، وهو منطق العقل والعلم أيضاً .

فليس ثمة اختلاف بين الناس من حيث الفضل إلاّ بالكفاءة ، والكفاءة الحقيقية تتجلى بالتقوى . ومعنى التقوى اجتناب المحرمات والتحلّي بالفضائل ، حيث قال ﷻ : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[2] .

ومن مصاديق التقوى أن يرى الإنسان نفسه في مرتبة أخيه الإنسان ،

---

(١) إشارة إلى الحديث الوارد بعدة ألفاظ منها : (الناس كأسنان المشط سواء) من لا يحضره الفقيه : ج٤ ص٣٧٩ ب٢ ح٥٧٩٨ . و(الناس سواء كأسنان المشط) تحف العقول : ص٣٦٨ ، بحار الأنوار : ج٧٥ ص٢٥١ ب٢٣ ح١٠٨ط بيروت. و(المؤمنون كأسنان المشط يتساوون في الحقوق بينهم) مستدرك الوسائل : ج٨ ص ٣٢٧ ب١٠ ح٩٥٦٨ . و(إن الناس من عهد آدم إلى يومنا هذا مثل أسنان المشط لا فضل للعربي على العجمي ولا الأحمر على الأسود إلاّ بالتقوى) مستدرك الوسائل : ج١٢ ص٨٩ ب٧٥ح١٣٥٩٨ .

(٢) سورة الحجرات : الآية ١٣ .

ويرى أخاه دونه ، وأصدق مثال على هذه الرؤية الصادقة صلاة الجماعة ، حيث يقف المسلمون جميعاً جنباً إلى جنب كأنَّهم بنيانٌ مرصوصٌ ، ولا يشعر أحدهم بفضل على الآخر.

وإذا ما نظرنا إلى صلاة الجماعة التي يؤديها المسلمون ، لرأينا في صفوف الصلاة الهندي إلى جانب الإيراني ، وإلى جانبهما العربي ، وإلى جانبهم التركي ، وترى الأسود يقف إلى جانب الأبيض ، والفقير إلى جانب الغني ، ولا تشعر بوجود فرق بينهم إلاّ بالتقوى . وتلاحظ الشيء نفسه في أيام الحج حيث يتساوى الشريف والوضيع والرئيس والمرؤوس ، ونجد المالك والفلاح كلَّهم بزيٍّ واحدٍ مُرتدين قطعتين من القماش هما المئزر.

والسؤال المطروح هو : هل نجد هذه المساواة في المرافق الحياتية الأخرى؟ ، ويمكن طرح السؤال بصيغة المصاديق :

هل يمكن لأي إنسان :

١ـأن يُسافر أينما يُريد بدون حدود وبدون جواز سفر وتأشيرة؟ .

٢ـوأن يبقى في أي بلدٍ يرغب فيه بدون ترخيص ، حاله حال إنسان ذلك البلد؟ .

٣ـوأن يشتري ويبيع كأصحاب البلد دون تفريق؟ .

٤ـوأن يتاجر ، فيستورد ويصدّر أية بضاعة يريدها إلى أي بلدٍ يشاء ، وبأية كيفية يرغب إليها باستثناء الأشياء المحرَّمة؟ .

٥ـوأن يؤلّف ويكتب ويبدي رأيه كإنسان له مطلق حرية التعبير؟ .

٦ـوأن يعمل أي عمل شئت بالكيفية التي يُريدها؟ .

٧ـوأن يدرس كيفما شاء ، وفي أي معهدٍ علمي أو أكاديمية وأن يدرِّس كذلك؟ .

٨ـوأن يخطب ويتزوج كما يشاء ومثلما يريد بلا شروط ولا مضايقات ولا إجازة من السلطات؟ .

٩ـوأن يقيم الشعائر الإسلامية حسب ما أمر الله ﷻ به بدون محظور أو تهديد أو إجازة من السلطات؟ .

١٠ـ وأن يعمل بقوانين الإسلام حسب ما أنزل الله ﷻ لا بحسب القوانين الوضعية؟ .

وفي اليوم الذي يستطيع فيه المسلمون من تحقيق هذه الأمور العشرة وغيرها ، فسيكون يوم الخلاص ويوم الانعتاق من الاستعمار ، إذ لم يكن الإسلام يوماً مجرد عبادات ، بل الإسلام عبارة عن مجموعة قوانين حياتية ومجموعة نظم اقتصادية وتنظيمات سياسية وقوانين تجارية وأنظمة قضائية وأحوال شخصية وأوضاع اجتماعية وطرق زراعية ومعايير أخلاقية .

وتأتي العبادات لتقوّم تلك الأنشطة الحياتية ولتمنحها الأهداف السامية .

إلاّ أننا ومع الأسف لا نجد تلك القوانين والنظم هي الحاكمة في

مجتمعاتنا الإسلامية ، بل بالعكس نجد ما هو عكس ذلك ، نجد ما يخالف الشرع المبين وما يتناقض وأحكام القرآن .

فقد قال الإسلام : ﴿أَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾[1] ، ونحن نتعامل مع البنوك الربوية التي تنتشر في عرض البلاد الإسلامية وطولها .

وقال الإسلام : ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾[2] ، وإنك لترى في البلاد الإسلامية عكس ذلك ، ترى محلات بيع الخمور منتشرة وتباع كما يُباع الخبز .

وقال الإسلام : ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾[3] . أما في البلاد الإسلامية فترى بيوت البغاء وأماكن الدعارة منتشرة في كل مدينة وحي .

وقال الإسلام : ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾[4] . أمّا في البلاد الإسلامية ، فترى النساء السافرات في كل مكان ، وترى السفور حتى بلغ مبلغ التعرّي ، وينتشر في البلاد الإسلامية الاختلاط بشكل عجيب .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٧٥ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٩٠ .

(٣) سورة النور : الآية ٢ .

(٤) سورة الأحزاب : الآية ٥٣ .

وقال الإسلام : ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا﴾[1] . أما في البلاد الإسلامية فترى القوانين الوضعية وقد أخذت مكان القوانين الإلهية .

وقال الإسلام : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إليه شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ﴾[2] . أمّا اليوم ، فيقولون أكثر مما قالوا في السابق ، فاليوم يقولون : «إنّ ما عندنا أفضل مما انزل الله» ، فالذين يسنّون القوانين الوضعية يقولون : «بأن قوانينهم أفضل من قوانين السماء» .

وقال الإسلام : ﴿كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾[3] . أمّا المسلمون اليوم ، فكلهم فقراء ، ولا تجد بينهم غنياً إلاّ ما شذَّ وندر ، وستجد بين المسلمين من هو دون مستوى الفقر .

وقال الإسلام : ﴿لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾[4] ، أمّا في عالمنا الإسلامي ، فلا نجد بقعة خالية من الظُلم ، وكأنّ الظلم هو القاعدة السائدة ، أما العدل فهو الاستثناء ، فصاحب المُلك يظلم المزارع . وربّ العمل يظلم العامل ، وكأنّ الإسلام لم يأت بقوانين إنسانية لحماية العامل والفلاح ، ويعطي لكل صاحب حقٍّ حقّه .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٢٩ .

(٢) سورة الأنعام : الآية ٩٣ .

(٣) سورة الحشر : الآية ٧ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٢٧٩ .

وقال الإسلام : **(الناس مسلطون على أموالهم وأنفسهم)**[1] . أمّا في البلاد الإسلامية ، فلا نجد رائحة للحرية بل نجد الاستبداد والظلم والديكتاتورية والتسلط على قدم وساق ، فأصبح الناس لا سلطة لهم على أموالهم ، وهم عرضة للنهب والسلب على أيدي السلطة بمختلف المعايير والحجج الواهية .

وقال الإسلام : **﴿لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾**[2] .أما في البلاد الإسلامية ، فماذا تجدون؟! تجدون الحكومات ، تلهث خلف الدول الاستعمارية الكافرة ، وتشنُّ الحروب ضدَّ دول إسلامية لحساب دول ملحدة أو كافرة .

وقال الإسلام : **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾**[3] . هذا ما تجده في القرآن الكريم . أمّا ما تجده في البلاد الإسلامية ، فهو السجون ووسائل التعذيب بأشدّ أنواعها ، والإعدامات ومصادرة الأموال وانتهاك الأعراض .

---

(١) نهج الحق : ص٤٩٤ وص٥٠٢ ، غوالي اللآلي : ج١ ص٢٢٢ ح٩٩ الفصل التاسع وج٢ ص١٣٨ ح٣٨٣ وج٣ ص٢٠٨ ح٥٩ ، بحار الأنوار : ج٢ ص٢٧٢ ب٣٣ ح٧ ط بيروت. و(أنفسهم) مستفاد من قوله تعالى :﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ سورة الأحزاب : الآية ٦.

(٢) سورة المجادلة : الآية ٢٢ .

(٣) سورة الإسراء : الآية ٧٠.

وقال الإسلام : (**الأرض لله ولمن عمّرها**)[1] . أما في البلاد الإسلامية ، فتجد القوانين التي تمنعك من الاستفادة حتى من أرضك ، فإذا أردت البناء أو الزراعة فعليك أن تأخذ إجازة لذلك ، فكيف لو كانت الأرض للدولة؟!.

وكان من نتائج عدم تطبيق حكم الله سبحانه في الأرض ، أن أصبح الملايين من المسلمين بلا مسكن وبلا طعام .

وأصبحت مساحات شاسعة من البلاد الإسلام بائرة .

وقال الإسلام : ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾[2] . أمّا في البلاد الإسلامية فلا تجد ذلك ، بل نجد اليهودي مفضلاً على المسلم ، كونه يحمل جنسية ذلك البلد ، أما المسلم ، فيُعتبر أجنبياً ، فلا حقّ له بالحياة .

وقال الإسلام : ﴿**يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ**﴾[3] . أما في العالم الإسلامي ، فقد وضعوا قوانين لم ينزل الله بها من سلطان ، وأصبحت هذه القوانين هي المطبّقة في البلاد الإسلامية ، وهي التي تقيّد حرية الإنسان ، وتمنعه من ممارسة أنشطته الاقتصادية والثقافية والسياسية .

---

(١) الكافي (فروع): ج٥ ص٢٧٩ ح٢ ، الاستبصار: ج٣ ص١٠٨ ب٧٢ ح٣ ، تهذيب الأحكام: ج٧ ص١٥٢ ب٢٢ح٢١ ، وسائل الشيعة: ج٢٥ ص٤١٤ ب٣ ح٣٢٢٤٥.

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٠.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

وقال الإسلام : (المسلمون كالجسد الواحد)[1] . أمّا واقع المسلمين ،

---

(١) فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله قائلاً : (أيها الناس ، حلالي حلال إلى يوم القيامة وحرامي حرام إلى يوم القيامة ألا وقد بينها الله عز وجل في الكتاب وبينتهما لكم في سيرتي وسنتي وبينهما شبهات من الشيطان وبدع بعدي من تركها صلح له أمر دينه وصلحت له مروءته وعرضه ومن تلبس بها وقع فيها واتبعها كان كمن رعى غنماً قرب الحمى ومن رعى ماشيته قرب الحمى نازعته إلى أن يرعاها في الحمى ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله عز وجل محارمه فتوقوا حمى الله ومحارمه ألا وإن أذى المؤمن من أعظم سبب سلب الإيمان ألا ومن أحب في الله عز وجل وأبغض في الله وأعطى في الله ومنع في الله فهو من أصفياء المؤمنين عند الله تبارك وتعالى ألا وإن المؤمنين إذا تحابا في الله عز وجل وتصافيا في الله كانا كالجسد الواحد إذا اشتكى أحدهما من جسده موضعاً وجد الآخر ألم ذلك الموضع) ، كنز الفوائد : ج١ ص٣٥٢.

وفي حديث آخر : (المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد إذا سقط منه شيء تداعى سائر الجسد) ، المؤمن : ص٣٨ ح٨٥.

وورد أيضاً عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : (المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد إن اشتكى شيئاً منه وجد ألم ذلك في سائر جسده وأرواحهما من روح واحدة وإن روح المؤمن لأشد اتصالاً بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها ودليله لا يحزنه ولا يظلمه ولا يغتابه ولا يعده عدة فيخلفه) ، الكافي (أصول) : ج٢ ص١٦٦ ، مصادقة الأخوان : ص٤٨.

وورد أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : (المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد إذا اشتكى شيئاً منه وجد ألم ذلك في سائر جسده لأن أرواحهم من روح الله تعالى وإن روح المؤمن لأشد اتصالاً بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها) ، الكافي (أصول) : ج٢ ص ١٦٦ ح٤ ، المؤمن : ص٣٨ ح٨٦ ، بحار الأنوار : ج٥٨ ص١٤٨ ب٤٣ ح٢٥ ط بيروت.

فمختلف تماماً ، فقد أصبحوا أجساداً متفرقة وعناصر متشتتة ، فهذا من عنصر فارسي يمجد القومية الفارسية ، وذاك كردي يمجّد القومية الكردية . وذاك من عنصر عربي يمجِّد القومية العربية .

وقال الإسلام : (**ما آمن بي من بات شبعاناً وجاره جائع**)[1] . أمّا في البلاد الإسلامية ، فلا تجد سوى الجياع ، وهم يعيشون جنباً إلى جنب مع المتخمين .

وقال الإسلام : ﴿**جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ**﴾[2] . أمّا الواقع ، فلا تجد من يجاهد حتى بلسانه ، وكان من نتائج ذلك الذل والهوان .

وقال الإسلام : ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ**﴾[3] . و﴿**فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ**﴾[4] . أما الواقع ، فيشهد أن هناك أعداداً لا يصلّون

---

وورد أيضاً : (مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى بعضه تداعى سائره بالسهر والحمّى) ، بحار الأنوار : ج٥٨ ص١٥٠ ب٤٣ ح٢٩ ط بيروت.
وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال : (المؤمنون في تبارّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى تداعى له سائره بالسهر والحمى) ، مستدرك الوسائل : ج١٢ ص ٤٢٤ ب٣٢ ح١٤٥٠٦.

(١) إشارة إلى الحديث الوارد في مستدرك الوسائل : ج١٦ ص٢٦٤ ب٣٨ ح١٩٨١٧ وقريب منه في الكافي (أصول) : ج٢ ص٦٦٨ ح١٤ ووسائل الشيعة : ج٩ ص٥٢ ب٧ ح ١١٥٠١ وج١٢ ص١٣٠ ب٨٨ ح١٥٨٤٩.

(٢) سورة التوبة : الآية ٤١.

(٣) سورة البقرة : الآية ٤٣.

(٤) سورة الأنفال : الآية ٤١

ولا يزّكون ولا يُخمّسون؟

وقال الإسلام : ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾[1] . أترى هل يُحسن الأبناء بحق آبائهم ، وكم هم عدد الذين يبرّون آباءهم في هذا الزمن الذي انعدمت فيه أخلاق الأسرة؟ .

وقال الإسلام : ﴿وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ﴾[2] ، فهل نجد ذلك في مجتمعاتنا الإسلامية أم نجد العكس تماماً ، نجد العزوف عن الزواج ؛ لأسباب تافهة وأعذار واهية ، ونجد انصراف الشباب والشابّات في اللهو والمجون ، ولا يفكرون بالزواج صارفين طاقاتهم الجنسية في أمور محرمة .

وقال الإسلام : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾[3] .أمّا الواقع ، فإنَّ الملايين من المسلمين حُرموا من الحج بسبب القوانين الجائرة .

وقال الإسلام : ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[4] ، وترى كثيرين ، يتركون الأمر بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ، وربّما يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف وهم في عصرنا كثيرون .

---

(١) سورة البقرة: الآية ٨٣ ، سورة النساء: الآية ٣٦.

(٢) سورة النور: الآية ٣٢.

(٣) سورة البقرة: الآية ١١٤.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٠٤

وقال الإسلام : (**على الوالد أن يحسن اسم ولده ، ويحسن تربيته ، ويزوّجه إذا بلغ**)[1] ، وترى الأسماء القبيحة حين تسمية الأولاد ، وترى الإهمال في تربيتهم وعدم رعايتهم عندما يكبرون ، وعدم السعي لتزويجهم بأعذار واهية .

وقال الإسلام : (**النظافة من الإيمان**)[2] ، وترى الأوساخ ، تنتشر في الشوارع ، والأزقّة ، والبيوت ، وسائر الأماكن الأخرى .

وقال الإسلام : ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ**﴾[3] ، وترى

---

(١) من وصايا الرسول الأكرم ﷺ للإمام علي عليه السلام : (يَا عَلِيُّ حَقُّ الْوَلَدِ عَلَى وَالِدِهِ أَنْ يُحْسِنَ اسْمَهُ وَأَدَبَهُ وَيَضَعَهُ مَوْضِعاً صَالِحاً وَحَقُّ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ أَنْ لا يُسَمِّيَهُ بِاسْمِهِ وَلا يَمْشِيَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلا يَجْلِسَ أَمَامَهُ وَلا يَدْخُلَ مَعَهُ فِي الْحَمَّامِ) من لا يحضره الفقيه : ج٤ ص٣٧٢ ب٢ ح٥٧٦٢ ، وسائل الشيعة : ج٢١ ص٣٨٩ ب٢٢ ح٢٧٣٧٧ ، مكارم الأخلاق : ص٤٤٣ .

وورد أيضاً عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : (مِنْ حَقِّ الْوَلَدِ عَلَى وَالِدِهِ أَنْ يُحَسِّنَ اسْمَهُ إِذَا وُلِدَ وَأَنْ يُعَلِّمَهُ الْكِتَابَةَ إِذَا كَبِرَ وَأَنْ يُعِفَّ فَرْجَهُ إِذَا أَدْرَكَ) مستدرك الوسائل : ج١٥ ص١٦٩ب٦٣ ح١٧٨٨٨ .

وورد أيضاً : (من حق الولد على والده ثلاثة : يحسن اسمه ويعلمه الكتابة ويزوجه إذا بلغ). وسائل الشيعة : ج٢١ ص٤٨٢ ب٨٦ ح٢٧٦٤٦ ، مكارم الأخلاق : ص٢٢٠ ، روضة الواعظين : ص٣٦٩ ، بحار الأنوار : ج٧١ ص٨٠ ب٢ ح٨٣ و ج١٠١ ص٩٢ ب٢ ح١٩ ط بيروت ، مستدرك الوسائل : ج١٥ ص١٦٦ ب٦٠ ح١٧٨٧٦ .

(٢) مستدرك الوسائل : ج١٦ ص٣١٩ ب٩٢ ، طبّ النّبي : ص٢١ ، بحار الأنوار : ج٥٩ ص٢٩١ ب٨٩ ح٧٢ ط بيروت.

(٣) سورة الأنفال : الآية ٦٠.

المسلمين يفتقرون إلى تصنيع أبسط أنواع الأسلحة.

وقال الإسلام: ﴿وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[1]. أما في الواقع، فتجد الإذاعات، والصحف، وقد مُلئت بالمهاترات والمنازعات، فالبعض يتهم البعض الآخر بأسوأ التُّهم.

وقال الإسلام: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ﴾[2]. أما في الواقع، فلا نجد سوى العمل بالظن السلبي، وهو متفشٍ في أغلب الناس.

وقال الإسلام: ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾[3]. أما في الواقع، فتجد ظاهرة الانتحار وقد انتشرت في بلاد الإسلام.

وقال الإسلام: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأرض فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً﴾[4]. أما في الواقع، فتجد الإبادة الجماعية والقتل على العقيدة، وسياسة التصفيات الجسدية للمواطنين؛ لمخالفتهم للسلطات الحاكمة.

وقال الإسلام: ﴿وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً﴾[5]. وفي الواقع ترى المسلم، يتجسّس على أخيه المسلم، وترى ظاهرة الغيبة

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٤٦.

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٢.

(٣) سورة النساء: الآية ٢٩.

(٤) سورة المائدة: الآية ٣٢

(٥) سورة الحجرات: الآية ١٢.

متفشية في كل مكان ، وقد قال الله سبحانه عنها : ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[1] .

وقال الإسلام : **(إن الله جميل يحب الجمال)**[2] . فالجمال هو جمال الطبيعة ، وهو الجمال الحقيقي الذي أنعم الله سبحانه به على البشرية ، لكن في الواقع أن البشرية ، تلهث خلف الجمال المُزيف الذي لا قيمة له .

وقال الإسلام : **(المسلمون إخوة يدٌ واحدة على من سواهم)**[3] .

أما الواقع ، فنقيض ذلك ، فالمسلمون أيادي متفرِّقة بعضها ضد بعضٍ .

---

(١) سورة الحجرات : الآية ١٢.

(٢) الكافي (فروع) : ج٦ ص٤٣٨ ح١ ، وسائل الشيعة : ج٥ ص٣٥ ب١٩ ح٥٨٢٧ ، مكارم الأخلاق : ص١٠٣ ، مستدرك الوسائل : ج٣ ص٢٢٥ ب١ ح٣٤٦٦ ، الخصال : ص٦١٣ ، بحار الأنوار : ج٧٦ ص٢٩٨ ب١٠٩ ح٣ ط بيروت.

(٣) فقد ورد هذا الحديث بألفاظ عديدة ، منها قول الرسول ﷺ : (المسلمون إخوة يد واحدة على من سواهم تتكافأ دماؤهم يسعى بذمتهم أدناهم ويرد عليهم أقصاهم) ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج١٧ ص٢٨١ ب٦٤ ، وورد أيضاً عن الرسول ﷺ أنه قال : (المسلمون إخوة تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم هم يد على من سواهم) وسائل الشيعة : ج٢٩ ص٧٥ ب٣١ ح٣٥١٨٥ ، كما ورد عن الرسول ﷺ أنه قال : (المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم) مستدرك الوسائل : ج١٨ ص٢٣٧ ب٢٨ ح٢٢٦١٦ ، وورد أيضاً عنه ﷺ : (المؤمنون إخوة تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم يسعى بذمتهم أدناهم) الكافي (أصول) : ج١ ص٤٠٣ ح٢ ، مستدرك الوسائل : ج١٨ ص٢٣٨ ب٢٨ ح٢٢٦١٧.

وقـال الإسـلام : (**الإسـلام يعلـو ولا يُعـلى علـيه**)[1] . بيـنما واقـع المسلمين ، يشهد عكس ذلك ، فالمسلمون في تراجع مُستمر ، وتدهور في المستوى الحضاري .

وقـال الإسـلام : ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**﴾[2] . أما في الواقع ، فأمرهم يسوده الاستبداد والديكتاتورية .

وقـال الإسـلام : (**طلب العلم فريضةٌ على كل مسلم ومسلمة**)[3] . أما في الواقـع ، فنسبة كبيرة من المسلمين يعيشـون حـياة الأمية المطبقة ، كما وأنَّ الجهل والتخلف هما صفتا العالم الإسلامي .

وقـال الإسـلام : (**أشبهكم بي أحسنكم خلقاً**)[4] . أما الواقع ، فيشهد

---

(١) متشـابه القـرآن : ج٢ ص٢١٢ ، نهـج الحـق : ص٥١٥ ، مـن لايحضـره الفقـيه : ج٤ ص ٣٣٤ ب٢ ح٥٧١٩ ، وسـائل الشـيعة : ج٢٦ ص١٤ ب١ ح٣٢٣٨٣ وص١٢٥ ب١٥ ح ٣٢٦٤٠ ، غوالـي اللآلـي : ج١ ص٢٢٦ ح١١٨ وج٣ ص٤٩٦ ح١٥ ، مسـتدرك الوسائل : ج١٧ ص١٤٢ ب١ ح٢٠٩٨٥ .

(٢) سورة الشورى : الآية ٣٨ .

(٣) كنز الفوائـد : ج٢ ص١٠٧ ، غوالـي اللآلـي : ج٤ ص٧٠ ح٣٦ ، مستدرك الوسـائل : ج ١٧ ص٢٤٩ ب٤ ح٢١٢٥٠ ، مجموعة ورام : ج٢ ص١٤ وص١٧٦ ، مشكاة الأنوار : ص١٣٣ ، مصـباح الشـريعة : ص٢٢ ، عـدة الداعـي : ص٧٢ ، بحـار الأنـوار : ج١ ص ١٧٧ ب١ ح٥٤ وج٢ ص٣١ ب٩ ح٢٠ وج١٠٥ ص١٥ ط بيروت .

(٤) فقـد ورد عـن عَلِـيِّ بْـنِ مُوسَـى الرِّضَـا عَـنْ أَبِـيهِ عَـنْ آبَائِـهِ عليهم السلام قَـالَ : قَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله : (مَنْ كَانَ مُسْلِماً فَلا يَمْكُرُ وَلا يَخْدَعُ فَإِنِّي سَمِعْتُ جَبْرَئِيلَ يَقُولُ إِنَّ الْمَكْرَ وَالْخَدِيعَةَ فِي النَّارِ . ثُمَّ قَالَ : لَيْسَ مِنَّا مَنْ غَشَّ مُسْلِماً وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ خَانَ مُسْلِماً .

على سوء الخلق ، وتدنّي مستوى الثقافة الأخلاقية عند الكثير من المسلمين .

وقال الإسلام : ﴿**تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾[1] ، لكن في الواقع ، تجد عكس ذلك ، تجد التعاون على الإثم والعدوان يسود العلاقات بين الدول الإسلامية بدلاً من التعاون على البرّ والتقوى .

وهكذا ، فإن الإسلام قال الكثير الكثير ، لكن المسلمين عملوا بالقليل القليل . أمّا ما وافق عملهم لقول الإسلام فهو أشدُّ سوءاً مما لم يوافقه ! ، فقد قال الإسلام : ﴿**وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً**﴾[2] فقد عمل المسلمون بذلك .

وهي الآية التي وجدنا لها أكثر من مصداق في الواقع المعاش . فقد هجر المسلمون القرآن ، ولم يرعوا له ذماماً ، ولم يعطوه أية قيمة ،

---

ثُمَّ قَالَ ﷺ : إِنَّ جَبْرَئِيلَ الرُّوحَ الأَمِينَ نَزَلَ عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ ، عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ فَإِنَّ سُوءَ الْخُلُقِ ذَهَبَ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ أَلا وَإِنَّ أَشْبَهَكُمْ بِي أَحْسَنُكُمْ خُلُقاً) وسائل الشيعة : ج١٢ ص٢٤١ ب١٣٧ح١٦١٩٨ ، الأمالي للصدوق : ص٢٧٠ ح٥ ، عيون أخبار الرضا : ج٢ ص٥٠ ح١٩٤ ، بحار الأنوار : ج٦٨ ص٣٨٧ ب٩٢ ح٣٥ و ج٧٢ ص٢٨٤ ب٧٢ ح٢ ط بيروت.

(١) سورة المائدة : الآية ٢ .

(٢) سورة الفرقان : الآية ٣٠.

فأصبحوا لعنةً على التاريخ ، وباتوا نهباً لليهود والحكام المأجورين ، ففي ذات يوم رأى أمير المؤمنين عليه السلام جنازة وشاهد إلى جانب الجنازة وخلفها رجلين يضحكان ، فقال عليه السلام : **(كأن الموت فيها على غيرنا كُتب)**[1] .

أجل . . كأننا لسنا المستهدفين . . وكأن الإسلام نزل على قومٍ غيرنا . . وكأننا لسنا بمسلمين . وكأننا لم نرَ من الإسلام خيراً فتركناه وراء ظهورنا . وكأن الخير قد جاءنا من غيره فاتّخذناه سبيلاً .

لقد سلب منّا الكفار حضارتنا الإسلامية ، وكادوا يسلبوننا الحياة أيضاً ، لكننا مع ذلك نتبعهم في كل شيء . فهل وجدت ضحية تتبع الجلاد باختيارها إلى الذبح أكثر من المسلمين؟! ، هذا هو حال المسلمين اليوم[2] .

---

(١) تَبِعَ الإمام أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام جِنَازَةً فَسَمِعَ رَجُلاً يَضْحَكُ فَقَالَ عليه السلام : (كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا كُتِبَ وَكَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا وَجَبَ وَكَأَنَّ الَّذِي نَرَى مِنَ الأَمْوَاتِ سَفْرٌ عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ نُبَوِّئُهُمْ أَجْدَاثَهُمْ وَنَأْكُلُ تُرَاثَهُمْ كَأَنَّا مُخَلَّدُونَ بَعْدَهُمْ قَدْ نَسِينَا كُلَّ وَاعِظٍ وَوَاعِظَةٍ وَرُمِينَا بِكُلِّ جَائِحَةٍ طُوبَى لِمَنْ ذَلَّ فِي نَفْسِهِ وَطَابَ كَسْبُهُ وَصَلَحَتْ سَرِيرَتُهُ وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ لِسَانِهِ وَعَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ وَوَسِعَتْهُ السُّنَّةُ وَلَمْ يُنْسَبْ إِلَى بِدْعَةٍ) نهج البلاغة : ص٤٩٠ ، مستدرك الوسائل : ج٢ ص٢٧٧ ب٥٣ ح٢٢٣٦ ، تفسير القمي : ج٢ ص٧٠ ، خصائص الأئمّة : ص٩٩ ، روضة الواعظين : ج٢ ص٤٩٠ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج١٨ ص٣١١ ب١١٨ ، بحار الأنوار : ج٦ ص١٣٦ ب٤ ح٣٨ ط بيروت.

(٢) للتفصيل عن أسباب سقوط المسلمين ، دينياً ودنيوياً ؛ راجع كتاب : سقوط بعد سقوط للإمام المؤلف قدس سره .

ألم يقل الشاعر «المسلم» متنكراً لإسلامه :

إنَّـــنا معشـــر الشـــبيبة قـــومٌ

قـــد رفضـــنا الشـــريعة الأحمديـــة

ألم يقل شاعر ثانٍ :

ســلامٌ علــى كفــر يوحِّــد بينــنا

وأهـــلاً وســـهلاً بعـــده بجهـــنم

وقال شاعر ثالث :

آمنت بالبعث[1] ربّـاً لا شـريك لـه

وبالميشـــيل نبـــيّاً مـــا لـــهُ ثـــان

وفـي «سـبيل»[2] كتابـي جلّ منـزله

ضربت بالذكر[3] عمداً عرض حيطان

فإننا أمة لا ينفعنا سوى الإسلام ، ولا نجاة لنا إلاّ بالإسلام ، فلابُدَّ من إعادة الإسلام إلى الحياة .

لابُدَّ من إنقاذ الإسلام من براثن المستعمرين ودسائسهم .

---

(١) أي حزب البعث العربي الاشتراكي ، الذي حكم الشعب العراقي بالحديد والنار.

(٢) المقصود كتاب «في سبيل البعث» لميشيل عفلق.

(٣) المقصود القرآن الكريم.

لابُدّ من تطبيق الإسلام بصورة عملية في كل مرفقٍ من مرافق حياتنا.

وإنّ أي تأخير في ذلك إنّما هو ضياعٌ لحقوقنا، وإن أي تبرير فهو تعزيز لسقوطنا مهما كانت تبريراتنا: ﴿**وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾[1].

(١) سورة البقرة: الآية ٩.

# الاستعمار والنزاعات

طلبت بريطانيا من الحكومة العراقية إبَّان العهد الملكي أنْ تسنَّ قانوناً جديداً ، يدعم المصالح البريطانية في العراق ، لكن الحكومة العراقية امتنعت عن تلبية الطلب خوفاً من رد فعل الشعب .

وذات يوم وقع نزاعٌ في أكثر شوارع بغداد ازدحاماً بالمارة والسيارات وهو شارع الرشيد ، وكان وراء هذا النزاع أسباب طائفية ، حيث جرح عدد كبير من المتشاجرين من السنّة والشيعة ، وكان كل طرف يتّهم الطرف الآخر بأنَّه تعرَّض لمقدساته بالإهانة والسب ، وكادت هذه الفتنة الطائفية أن تنتشر في أرجاء العراق ، لو لا قيام السلطات بالإسراع لإخمادها ، وإلقاء القبض على المسببين لها .

وعندما تم استجواب المعتقلين ، أبدوا عدم علمهم بأسباب النزاع ، وقالوا بأجمعهم : إنهم لا يعرفون خلفية النزاع إلاّ أنهم مرّوا بالمكان فوجدوا نزاعاً بين السنّة والشيعة فلم يتمالكوا أنفسهم ، حيث وجدوا أنفسهم مشتركين في النزاع دون إرادتهم .

وبعد التحقيق الطويل ، توصلت السلطات أن السبب المباشر للنزاع هو

شخصان أحدهما سبّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والثاني سبّ عمر بن الخطاب ، وبعد التحقيق مع هذين الشخصين تبين للشرطة أنّهما مسيحيان . وأنهما ليسا من أنصار الإمام علي عليه السلام ولا من أنصار عمر . لذا أطلقت الحكومة جميع المعتقلين الأبرياء ممن ألقت القبض عليهم والذين أصبحوا ضحية لكيد هذين المسيحيين .

وفي نهاية المطاف تبين للناس أن السفارة البريطانية هي وراء هذين المسيحيين ، وأن النزاع هو أمرٌ مفتعل قامت به السفارة البريطانية ؛ انتقاماً من الحكومة الملكية ؛ لرفضها الطلب البريطاني[1] .

(١) وقد جاء في التاريخ أنه عندما قتل الإنجليز الملك غازي ، استغل اليهود هذه الفرصة لهيجان الرأي العام ؛ لتحريض الشعب العراقي على الألمان باعتبارهم القاتلين ، وكان الإنجليز يرحبون بنشاط اليهود لأنه يبعدهم عن الاتهام. وكانوا يتخذون الاتهامات التي تكال ضدهم وسيلة لحمل الحكومة العراقية على اتخاذ إجراءات مقابلة ضد أعدائهم ـ الألمان ـ وتكون الحكومة العراقية مضطرة للإذعان لرغبات الإنجليز وإن لم تكن مؤيدة لها أو راضية عنها .

# الأحزاب الكافرة والتفرقة

روى لي أحد علماء الأقطار الإسلامية ، هناك في بلدته حزبان متنافسان يكنّان لبعضهما العداء . وكان ابن أخي - والقول للعالم - منتمياً لأحد الحزبين ، وكانت له علاقة خاصة برئيس الحزب الذي كان على مستوىً كبيرٍ من الوطنية ، وعلى درجة من العداء للحزب الآخر .

قال العالم : وتبين لي من حديث ابن أخي : أن زعيم الحزب عميل للاستعمار ، فذكرت ذلك لابن أخي ، لكنّه لم يقتنع بقولي ، فقد كان قليل التجربة ، وعديم النضج ، وهو أقرب إلى المراهقة من الرُشد .

وعندما قلتُ له ذلك تفجّر غيظاً من كلامي ، ودخل معي في نقاش تافه ، تمليه عليه مداركه القليلة ، ومعلوماته الضحلة .

قال هذا العالم : ذات مرة جاء الشاب مرعوباً إلى دارنا وطلب مني إخفاءه عن الأنظار ، وبعد أن أخفيناه وهدّأنا من روعه قال : إن الحكومة اقتحمت مقرّنا ، وطاردت أعضاء الحزب ، فهربنا بأنفسنا ، وإذا بنا نشاهد في زحمة المطاردة أن رئيس الحزب يلتجئ إلى السفارة البريطانية ، فعلمنا حينذاك أن الرجل كما قلت أيها العم : إنه عميل بريطاني .

**أقـول** : هكـذا تقـوم السـفارات بإيجـاد الأحـزاب الكافـرة في الـبلاد الإسـلامية ، وتقـوم هـذه الأحـزاب بـدور خبيـث في تمـزيق المجـتمع الإسلامي ، ولكـي لا تنكشف ارتـباطاتهم بالإنجليز ، حاولوا أن يصبغوا أنفسهم بصبغة وطنية .

فالواجـب علينا أن نتجنـب كـلَّ أشكال الـتفرقة مهمـا كانـت المبررات ونحافظ على وحدة الصف مهما كان الثمن غالياً .

# فرعون وسياسة فرِّقْ تَسُدْ

يقـول الله ﷻ : ﴿إِنَّ فِـرْعَوْنَ عَـلاَ فِـي الأرض وَجَعَـلَ أَهْلَهَـا شِـيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ﴾[1] ، وفـرعون[2] حسـب التاريخ الذي بأيدينا هو

---

(١) سورة القصص: الآية ٤.

(٢) الوليد بن مصعب ، ويكنى بأبي مصعب وهو فرعون موسى ، الطاغوت والجبار والمتكبر والظالم والساحر والباغي الذي قال: «أنا ربكم الأعلى» ، وقد اختلف أرباب التاريخ في نسبه ، فبعض قال: إنه من اليمن ، وآخر: إنه من العمالقة ، وثالث: إنه من أقباط مصر؛ كما ذكر ذلك اليعقوبي في تاريخه ج١ ص ١٨٦ ، وكلمة «فرعون» في اللغة المصرية القديمة تعني الملك المتصرّف أو الربّ الذي له حق الأمر والنهي في شعبه أو من هم تحت سلطته ، وقد ورد اسم فرعون في القرآن ٧٤ مرة ، وتحدث عنه الباري سبحانه وتعالى في ٢٧سورة ، وقد حكم مصر وفلسطين وبلاد الشام وبلاد ما بين الرافدين في العراق واستمر حكمه على أقل التقادير ٢٠٠ عام ، وقد استعان في ترسيخ حكمه ببعض الكهنة والسحرة واستخدام سياسة «فرّق تسد» ، وصفه القرآن الكريم: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ «سورة القصص ، الآية ٤» و﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ «سورة يونس ، الآية ٨٣». و﴿إِنَّهُ كَانَ عَالِياً مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ «سورة الدخان ، الآية ٣١» . أرسل الله سبحانه وتعالى إليه موسى النبي وآزره بأخيه

أول من باشر بتطبيق تلك القاعدة الاستعمارية «فرِّق تسد» ، وإن كان الإنسان بطبيعته ، يميل إلى هذه القاعدة في غياب الدين والضمير والخوف من العقاب الأخروي .

ولا يخفى أن مكروب الفُرقة سريع الانتشار وسريع النفوذ إلى النفس البشرية . إذ كل إنسان يُعِدُّ نفسه أفضل وأحسن من غيره ، وكل شعب يرى نفسه أفضل من الشعب الآخر .

وبعض الناس يرون أن الشخص الرفيع المستوى إنما تسنّم هذه المكانة الرفيعة بالاحتيال وبالطرق الملتوية ، وقليلٌ من يعقل الأمور ، وقليلٌ من يقدّر الظروف حقّ قدرها ، وقليلٌ من يعلم أنّ الفرقة تعود بالسوء على المفرّق نفسه ، فهو أول ضحايا الفُرقة ، على عكس التوحيد ، فإنه عمل صعبٌ وشاق بل إن الأصعب أن يلتزم الإنسان موقف الحياد بين الأطراف المتنازعة .

---

هارون وبعث معه آيات عديدة ، منها : العصا ، والجراد ، والقمل ، والضفادع . لكن فرعون استكبر ولم يؤمن ؛ فأغرقه اللهُ ﷻ وجنودَه ، والبالغ عددهم مليون شخص في نهر النيل .

# من تجاربي الشخصية

وقد قمت بنفسي بتجربة ذلك في حياتي ؛ ففي جميع الهيئات والتجمعات التي شاركت فيها ، كنت أرى الاتجاهات المختلفة في هذه الهيئات ، وكل اتجاه ينسب لنفسه الحق ، وكان هؤلاء يأتون إليّ ويطلبون مني في الخفاء مقاطعة الاتجاه الآخر أو عدم الاعتناء به .

وكثيراً ما كان بعض أولئك يدعونني لأن أقف إلى جانبه في التظاهر ضد التيار الآخر ، أو طرد ممثلي ذلك التيار من الهيئة أو الجمعية ، وإذا تباطأت في الامتثال لأمانيهم ، كانوا يظهرون البرود نحوي وأحياناً كان بعضهم يهاجمني بل ويقف مني في بعض الأحايين موقف الخصم .

هكذا كانت حالتي وموقفي صعباً للغاية . فإذا ذهبت إلى بيت أحد الأطراف ، كان الطرف الآخر ، ينزعج مني ، وإذا أعنت أحدهم في مشروعه ، أو رحّبت به في مجلس أو ندوة كنتُ أُلاحظ علامات الامتعاض على وجوههم .

وهكذا كان الأمر ، إذا ما أقدمت على تعيين أحد الإخوة في إحدى المؤسسات وكان هذا الآخر ينتمي إلى طرف ، كان أفراد الطرف الآخر

يشتدُّ امتعاضهم مني .

كذلك إذا ما أبديتُ تعاطفاً نحو مدرسة دينية تابعة لطرف من الأطراف ، ـ حيث كانت مدارس علمية كثيرة في كربلاء يومذاك ـ أو إذا لم أكن أبدي التعاطف الزائد لمدرسة تابعة إلى جهة أخرى .

وفي بعض الأحيان ، كان يقع نزاع بين طالبين ، فكان كل واحد منهما ، يطلب مني أن أقطع راتب مناوئه ، وإذا لم أفعل أبدى فتوراً نحوي .

لذا كنت دائماً أقف موقف المسالم ، وأتبنى موقف الحياد إن لم أكن أستطيع الإصلاح ، كل ذلك مع العلم أني لم أكن سوى فردٍ لا يملك سلطة أو مالاً أو مقاماً .

# الأصفهاني وثقافة الوحدة

نقل لي أحد الثقات من وكلاء المرحوم الإمام السيد أبي الحسن الأصفهاني ﷺ ، أنه كان وكيلاً عنه في إحدى المُدن العراقية ، وذات يوم جاءه تاجر وأعطاه ثلاثمائة دينار ، وقال : ادفع هذا إلى السيد إذا ذهبت إلى النجف وائتني بالوصل ، وكان ذلك في شهر ذي الحجة الحرام .

قال الوكيل : وبعد أيام صادف أن شاهدتُ التاجر في مكان ما وإذا به يُسلِّم عليّ ، ويقول لي : إني أشكرك على إسراعك في إيصال الحقوق الشرعية للسيد ، ثم أخرج من جيبه الوصل وكُتب عليه بخط السيد وتوقيعه : إن المال قد وصل بيده عن طريق وكيله فلان .

قلت للتاجر : وكيف حصلت على هذا الوصل؟

قال : كانت لنا جنازة فذهبت إلى النجف الأشرف لدفنها ولقيت السيد في الطريق وأخذتُ منه الوصل .

قال الوكيل : فقلتُ للتاجر : وهل لك أن تعطيني الوصل؟ قال : لا بأس وأعطاني إياه .

وقد امتلكتني الدهشة : كيف أن السيد أعطاه الوصل لمبلغ لم يصل

إلـيه ، وبعـد أيـام وفي شـهر صـفر الخـير سـافرت إلى الـنجف الأشـرف وتشـرفت بزيارة السيد في بيته ، وبعد أن تفرّق الناس من حوله ، أخرجتُ من جيبي الوصل وأعطيته للسيد وقلت له : هل هذا خطكم وتوقيعكم؟

قال السيد : نعم .

قلت : ومن أعطاكم المبلغ؟

قال السيد : لم يصلني المبلغ .

قلت : فكيف كتبتم الوصل؟

قال السيد : ليس هناك فرق بين يدك ويدي .

ثم أضاف السيد : إن التاجر جاء عندي وقال : هل وصلك المال؟

قلت له : أي مال؟

قال : المال الذين أرسلته بيد الوكيل الفلاني ، وكان قدره كذا .

قلتُ له : وهل تُريد الوصل؟

قال التاجر : نعم ، ولذا كتبت له هذا الوصل .

قـال الوكـيل : فقلـت للسـيد : لماذا لم تقل للتاجر إن المبلغ لم يصلني بعد؟ .

قـال السـيد : خشـيت أن تضـعف ثقـته بـك ، ومـن جراء ذلك تضعف ثقته بكل عالم . ثم قال السيد : قلتُ في نفسي : إنه إما أن تعطيني المال ، فقـد أديـت مـا علـيك . وإذا لم تعطـني فـإنك بحاجـة إلى المبلغ عـلى ذلـك الـتقدير ولا فـرق بـين اسـتلام المبلغ بنفسي وأدفعه إلى المحتاجين أو تستلمه

أنت وتسدّ به حاجتك وحاجة غيرك .

قال الوكيل : فتعجبتُ من تدبير السيد ، وثقافته الدينية العالية ، وحكمته ، وعمق نظره ، وبُعد رأيه ، ثم أخرجت المال وقدمته إليه ، فأخذه السيد وأعطاني نصفه ، وكنتُ محتاجاً إليه فعلاً ، وكلّما ألححت عليه بعدم أخذ النصف ، لم يوافقني قائلاً : لابدّ وأن تكون لك مصاريف ونفقات عائلية أو اجتماعية ، والأفضل أن تنفقها في مواردها .

وهكذا كان السيد ، يحفظ كرامة الدين ، وكرامة وكلائه ، ويُراعي وحدة الصف وتماسك المجتمع .

# العمل من أجل الوحدة

بعض الناس وهم البسطاء يظنون أن توحيد الصف ولو على مستوى محدود ، يمكن تحققه بالإدارة أو بمجرد القيام ببعض الأعمال اليسيرة ، وهذا وهمٌ وخطأٌ محض وناتج عن فقدان معرفة الحياة والبصيرة بأحوال الآخرين وبقضاياهم الاجتماعية .

إنّ توحيد الصف ليس مُعلقاً في الفراغ بل هو كسائر الأمور الاجتماعية ، يحتاج إلى مسائل كثيرة ، منها : التدبير والدعاية والخلق الرفيع وإنفاق الأموال والرعاية والحزم ، إلى غير ذلك من المسائل .

فلننظر إلى رسول الله محمد ﷺ ، كيف أوجد وحدة المسلمين بالأخلاق والمال والتبليغ والمعاهدات مع الأعداء ، وإعطاء المؤلفة قلوبهم والإصلاح بين المتنازعين ورعاية الأمور والأحداث بدقّة وحزم .

قال أحد العلماء : لقد استفدت شخصياً من هذه الخطوة قدر المستطاع في مشاريع مختلفة ، ونجحتُ إلى حد بعيد في توحيد الصف ، فكنت أبذل المال للصديق والمناوىء ، وأبذل الهدايا وأضيّف خصومي ، وأدفع بالتي هي أحسن ، وأذهب لزيارة من لا يستحق ، وكنت أعطي بعض أعضاء

جهاز الأمن الراتب الشهري دفعاً لضررهم .

ويُضيف هذا العالم : إنني لا أذكر ذلك لداعي الفضل والمفخرة ، بل أريد أن أشير إلى أنَّ تجاربي الشخصية قادتني إلى الحقيقية التالية : أنَّ العمل الوحدوي ليس معلَّقاً في الفراغ .

ويواصل هذا العالم : ذات مرة اطّلع أحد الأصدقاء أني أعطيت مالاً لأحد ، وهو يواجهني بعداء شديد فتعجب ، وقال لي باستغراب : بأي قانون تعطي المال لهذا؟! .

قلتُ متبسماً : بقانون ـ كُل والعن ـ ، ثم نقلتُ له القصة التالية :

## كُلْ والعنْ

قال لي أحد الخطباء : استدعتني دائرة الأمن في إحدى البلاد ، وقدَّمت لي مبلغاً من المال ، ثم قال رئيس دائرة الأمن : وقّع أنَّ المال وصل إليك ، قلتُ : لا أوقّع . قال : لا بأس بذلك ، ولكن امدح رئيس الدولة من على أعواد المنبر . قلتُ : لا أمدح أحداً . قال : أشر إلى إنجازاته ولو بدون ذكر اسمه . قلتُ : لا أفعل . قال : إذاً فأكرمنا بسكوتك ، ولا تذكره بشرّ . قلت : لا أغيِّر طريقتي .

قال رئيس دائرة الأمن : إذاً ، بأي عنوان تأخذ المال؟ قلت : بعنوان «كُلْ والعن» آكل ماله وألعنه . قال الخطيب : فقهقه الرئيس ، وقال : لا بأس .

ثـم أردف العـالم لمن اعـترض عليه : إن الإمـام علـي عليه السلام كان يعطي المال للخوارج متأسياً برسـول الله صلى الله عليه وآله ، حيـث كـان يعطي المال للمؤلفة قلوبهـم مـتخلقاً بـأخلاق الله جل جلاله ، حيـث ورد في الدعـاء : **(عـادتك الإحسـان إلى المسيئين)**[1] ، ثم قلتُ : ألا ترى ، إنّ فلاناً يخفف من عدائه إذا أخذ مني المال ، إنه كـان يقف بوجه مشاريعي لكنه بعد أخذه المال أصبحت مواجهته لي بنسبة ٥٠٪ بعد أن كانت ١٠٠٪ ، وفي هـذا ربحٌ كبيرٌ .

قال العـالم : وهكـذا ، فقـد خفّف الرجل من موقفه ضد مؤسساتي وأراحني من مشكلات جمّة .

إنّ الوضـع المتردي للمسـلمين محزنٌ جداً ، فأعداء الإسلام مسلطون ، وهم يشنّون الحروب والانقلابات في كل مكان .

كمـا وأن إمكانـات المسلمين عـلى كـثرتها ، تذهب هدراً ، والانشقاق والـنزاع قـائم في كـل مكـان عـلى قـدمٍ وسـاقٍ ، والفقـر والمرض والجهـل والفوضـى ، تغـزو قطاعـات كـبيرة مـن المجـتمع الإسـلامي ، كمـا وأنّ المنكرات متفشية في كـل مكـان بأبشـع الصـور ، والقوانـين أصـبحت غـير إسـلامية ، أمّـا المصـلحون فقـد كُمّـت أفواههـم وكُبّلـت أيديهـم «عالمهـا

---

(١) إقبال الأعمال : ص٦٤٣ في دعوات أيام رجب ، جمال الأسبوع : ص٤٢٣ ، الصحيفة السجادية : ص٢٠٤ دعـاء رقـم ٤٦ ، مصباح الكفعمـي : ص٤٣٣ ، مصباح المتهجد : ص٣٦٩ ، بحار الأنوار : ج٩٥ ص٣٨٩ ب٢٣ ط بيروت.

ملجم ، وجاهلها مكرّم». على قول المثل ..

أمّا الجهة الدينية المتمثلة بعلماء الدين والمتدينين ، فهم مهانون ومطاردون إلى حد كبير ، بينما الأجواء أصبحت ملائمة ومناسبة لأعداء الإسلام من الملحدين والصليبيين والصهاينة ، فالإصلاح وتوحيد الكلمة والتغلب على السلبيات وزرع الأمل في النفوس وإيجاد الوعي بحاجة إلى جهود وجهاد طويل .

وإنّي لأظنّ أن الأوليات التي نحتاجها في هذا الصدد هو الإعلام والتثقيف ، فمن أجل التخفيف من غلواء العداء السافر ، لابدّ من توزيع مليار كتاب في العالم بمختلف اللغات ولمختلف المستويات . في هذه الكتب لابدّ من تبيان ماهية الإسلام ، وماهيّة أعداء الإسلام .

# دور المؤسسات في الحياة

كما ولابُدّ من تأسيس مليون مؤسسة دينية كالمساجد والحسينيات والمستشفيات والمدارس والمكتبات والجرائد والنوادي ، ويجب إقامة ما لا يقل عن مليون منظمة ، ينتظم إليها المسلمون ، وفيها يتمّ استثمار طاقات الأفراد ، وتقوم هذه المنظمات بأعمال سياسية وثقافية واجتماعية .

فلابُد من إيجاد منظمات تخصصية للقيام بأعمال محددة .

مثلاً : منظمة لتشغيل العاطلين عن العمل .

ومنظمة لتزويج العزّاب .

ومنظمة للتنظيف .

ومنظمة لتجميل المدينة .

ومنظمة لجمع المال .

ومنظمة للإصلاح الاجتماعي .

ومنظمة لتفعيل الاقتصاد وتصنيع البلاد .

ومنظمة لمكافحة المنكرات .

ومنظمة لتربية الكوادر .

ومنظمة للتفكير والإعداد للمستقبل .

وكان المسلمون في السابق ، يعملون على شكل منظمات ، فالفرد المسلم كان في تعاونه ومؤازرته للآخرين منظمة بحد ذاته ، ويومذاك تقدم المسلمون أشواطاً كبيرة إلى الأمام .

وتنبع أهمية تشكيل هذه المنظمات هو أننا بحاجة إلى تجذير تكويننا الحضاري على أرض صلبة ، والبناء لا يقوم إلاّ على أساس متين ، كما وأنّ الشجرة لا تقوم إلاّ بجذورها والحركة لا تكون إلاّ بخلفية متينة كذلك ؛ فإنّ الله ﷻ قد أبى أن تجري الأمور إلاّ بأسبابها[1] ، وما ذكرناه قليل بالنسبة إلى عوامل الهدم التي يمارسها الغرب[2] والشرق ضد المسلمين . فمثلاً في سنة واحدة طبع الاتحاد السوفياتي خمسين مليون

---

(١) إشارة إلى الحديث الوارد : (أبى الله أن يجري الأشياء إلاّ بأسباب فجعل لكلّ شيء سبباً وجعل لكلّ سبب شرحاً وجعل لكلّ شرح علماً) الكافي (أصول) : ج١ ص ١٨٢ ح٧.

(٢) فعلى سبيل المثال أن التبشير المسيحي في الوقت الحاضر يرتكز على خمسة ملايين مبشر ، وخمس وعشرين ألف منظمة تنصيرية وعشرين ألف منظمة تعمل في مجال الخدمات ومائة ألف معهد لنشر الفكر المسيحي ، وألفين ومائتين وسبعين مجلة ونشرة تنصيرية ومائة وتسعين محطة بث إذاعي وتلفزيوني. ويكلّف البابا كلّ مبشر مسيحي يبقى في منطقة معينة مدة خمس سنوات أن يؤسس مؤسسة تبشيرية ؛ هذا ما ذكرته جريدة الرأي العام الكويتية.

كتاب في أربعمائة وثمانين لغةً عن حياة لينين[1] .

أما «ماوتسي تونغ»[2] ، الرئيس الصيني السابق ، فقد صنعوا له من التماثيل بعدد سكان الصين ـ كما ذكرت ذلك مجلة الحوادث اللبنانية .

فهل يمكن أن يتم النهوض في العالم الإسلامي بدون وجود تشكيلات ومنظمات وكتب ومدارس وما أشبه؟!

---

(١) فلاديمير إيليتش أوليانوف ، المشهور بـ(لينين) نسبة إلى اسم نهر لينا ؛ حيث كان منفياً على ضفافه في العهد الملكي الإمبراطوري ، زعيم وكاتب روسي ، ولد سنة ١٨٧٠م ومات سنة ١٩٢٤م ، دخل المعترك السياسي بتأسيس الحزب الشيوعي في روسيا وقاد الثورة البلشفية سنة ١٩١٧م وأطاح بحكومة كيرنسكي ، أسس الاتحاد السوفياتي ـ السابق ـ وأصبح رئيساً للبلاد بين سنة ١٩١٧م ـ ١٩٢٤م ، أهم مؤلفاته : «الاستعمار أعلى مراتب الرأسمالية».

(٢) زعيم صيني ، ولد سنة ١٨٩٣م ، ومات سنة ١٩٧٦م ، قاد ثورة على الحكم سنة ١٩٢٧م وقاد مسيرة سنة ١٩٣٤م ثم تراجع أمام الجيش ، مؤسس الحزب الشيوعي الصيني ، أصبح رئيساً للصين الشعبية سنة ١٩٥٤م ، واستمر في الحكم إلى سنة ١٩٥٩م ، نادى بالثورة الثقافية سنة ١٩٦٦م ، من مؤلفاته : «الكتاب الأحمر».

# نموذج الوحدة

ضرب الرسول الأكرم ﷺ أروع الأمثلة في الوحدة ، فمن أراد الوحدة الإسلامية فليستعن بتراث الرسول الأكرم ﷺ في هذا المضمار ، فإنه ﷺ ، استطاع أن يجمع الناس بكل الوسائل الممكنة ، بالمال والأخلاق والمعاهدات . فتارة بالترهيب والتحذير وطوراً بغرس روح الفضائل في أصحابه .

وكان رسول الله ﷺ ، قد أعطى كل تجمع دوراً سياسياً واجتماعياً ، مع علمه الكامل بما تضمره نفوسهم ودخائل أمورهم ، وبذلك استطاع خاتم الأنبياء والمرسلين إدارة الأمور على أحسن وجه ، ولمَّ الشعث مهما كلَّفه ذلك من الثمن .

وقد يتساءل من لا اطلاع له ويقول : لماذا لم يفعل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ذلك وهو الذي عاصر الرسول الأعظم ﷺ ، وكان أقرب الناس إليه وهو تلميذه ، وقد رأى كيف عامل الرسول أعداءه ، أما كان الأفضل لأمير المؤمنين عليه السلام أن ينتهج النهج نفسه ، حقناً لدماء المسلمين ، وحفاظاً على وحدتهم .

الجواب : إن عمل الإمام عليه السلام كان امتداداً لعمل الرسول صلى الله عليه وآله ، فلو كان الرسول في مكان أمير المؤمنين لفعل الفعل نفسه .

لقد كان عملُ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ، هو تأسيس الدولة والمجتمع الإسلاميين ، والتأسيس بحاجة إلى جمع الأفراد ، فالكثرة العددية ذات أهمية بمرحلة التكوين ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله ، يكتفي بشهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله ، حتى لو كان المتشهد متناقضاً مع نفسه . وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يغض طرفه عن أخطاء وتجاوزات أصحابه ، فلو لم يفعل ذلك لكان أكثر الناس في صف الكافرين ، ولتكاتفت أيدي الأعداء ضد الإسلام وقضت على الحركة الوليدة وهي في مهدها .

أمّا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فقد قام بثورة تصحيحية ـ إن صح التعبير ـ لتصفية ما علق بالإسلام خلال عقدين من الزمان . فالإسلام قد ترسَّخ في نفوس الذين أحبوا الإسلام ، والذين لا يريدون الإسلام كان عليهم أن يحددوا موقفهم ، فإذا كانوا معادين للإسلام ، فالمواجهة هي الأسلوب الأمثل معهم ، أما إذا لم يشهروا العداء ضد الإسلام ، فالإسلام يحترمهم ، ويحترم حقوقهم .

فكانت حركة أمير المؤمنين عليه السلام حركة تصحيحية لإزالة الأدران عن الجسد الإسلامي ، ولو لم يفعل ذلك لبقي الجوهر والحصى مخلوطاً ، ولفقد المسلمون الرؤية الصحيحة للإسلام .

فلو لم يفعل أمير المؤمنين عليه السلام ما فعله ، لكنت قد رأيت المؤمن والمنافق ، وأرباب الدنيا وأرباب الدين ، وعباد الله وعباد الشهوات كلّهم في صفٍ واحدٍ ، ولكان معاوية[1] بن

---

(١) معاوية بن صخر بن حرب بن أمية الأموي ، مؤسس الدولة الأموية في بلاد الشام ، وأمّه هند بنت عتبة ، المشهورة بالزنا التي كانت من أصحاب الرايات الداعرة ، وقد هجاها الشاعر حسان بن ثابت بالزنا وبمحضر الرسول صلى الله عليه وآله ولم ينكر صلى الله عليه وآله عليه ذلك ، والملقبة بـ(آكلة الأكباد) ؛ لأكلها كبد سيدنا حمزة عليه السلام عم النبي صلى الله عليه وآله ، ولد بمكة سنة ٢٠ قبل الهجرة ، وأسلم يوم الفتح سنة ٨ هـ ، لعنه الرسول صلى الله عليه وآله في عدة أحاديث ، منها : (إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه) و(إذا رأيتم معاوية بن أبي سفيان يخطب على منبري فاضربوا عنقه) ، ولاّه عمر بن الخطاب الأردن ثم دمشق معها ، وولاّه عثمان بن عفّان كلّ بلاد الشام ، عزله الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من منصبه ثم حاربه في واقعة صفين ، التي كانت الميزان في تشخيص الباغي لدى الصحابة ، حيث قال النبي صلى الله عليه وآله لعمار بن ياسر : (يا عمار ، تقتلك الفئة الباغية) ، مات في دمشق في شهر رجب من سنة ٦٠هـ (٦٨٠م) بعد أن حكم ٢٠ سنة في الخلافة وحكم أربعين سنة في الإمارة ، أشهر فضائله ؛ كما عن ابن خلكان في ترجمة النسائي ، عندما سئل عن معاوية وما روي من فضائله ، قال : «ما أعرف له فضيلة إلاّ (لا أشبع الله بطنه)» ؛ وهذه الكلمة قالها الرسول صلى الله عليه وآله في حقّه ، انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج٤ ص٥٥ ، البداية والنهاية : ج٨ ص١١٩ . من مثالب معاوية أنه تعاطى الخمر وارتكب المجون وعطل أحكام الله ونهب أموال الناس وأكثر من وضع الحديث ، وكان أول من استعمل الولاة النصارى أمثال ابن آثال على خراج حمص ، وأول من استكتب النصارى ، وأول من رفع الرؤوس على الرماح بعد احتزازها في الإسلام ، وأول من دفن المسلمين أحياءً. كتب إلى عماله في جميع الأمصار أنْ يسبّوا الصحابة أمثال علي بن أبي طالب عليه السلام ومالك الأشتر وابن عباس والحسن والحسين وعبد الله بن

..........................................................................................................

جعفر ، كما أنه حوّل الحكومة إلى استبدادية وشخصية وجعل البلاد إرثاً له ولأقربائه ، وجمّد الحركة الفكرية الإسلامية عبر القضاء على الصحابة ؛ فقد قتل عمار بن ياسر وحجر بن عدي الكندي وأصحابه ومحمد بن أبي بكر ومالك الأشتر وعمرو بن الحمق الخزاعي ﷺ والإمام الحسن عليه السلام ، وقضى على المعارضة الداخلية بتوجيه الناس إلى الحروب الخارجية ؛ وقد أشار لعثمان بذلك حيث قال له : «رأي لك يا أمير المؤمنين ، أنْ تأمرهم بالجهاد يشغلهم عنك وأن تجمهرهم في المغازي حتى يذلّوا لك فلا يكون همُّ أحدهم إلاّ نفسه» ، وكان يأخذ على التهمة والظنة حتى كان الرجل يسقط بكلمة فيضرب عنقه ، وكتب إلى عماله وولاته في جميع البلاد والأمصار أمثال بسر بن أرطأة ، وإليه على المدينة ومكة واليمن ؛ والغامدي واليه على الأنبار ألا يجيزوا لأحد من شيعة علي عليه السلام ولا من أهل بيته ولا من أهل ولايته ، الذين يرون فضله ويتحدثون بمناقبه شهادةً ، وكتب أيضاً : «انظروا من يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان ولا تجيزوا له شهادة» ، وفي كتاب آخر : «من اتهمتموه ـ أنه محب لعلي ـ ولم تقم عليه بينة فاقتلوه» ، وأمر سفيان بن عون الغامدي حين أرسله للعراق : «اقتل من لقيته ممّن هو ليس على مثل رأيك وأخرب كل ما مررت به من قرى» ، وأخرج ابن الجوزي من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل ، سألت أبي : ما تقول في معاوية ؟ فأطرق ثم قال : اعلم أن علياً كان كثير الأعداء ففتش أعداؤه له عيباً فلم يجدوه ، فعُمدوا إلى رجل قد حاربه فأطروه ؛ كيداً منهم لعلي ، فأشار بهذا إلى ما اختلقوه لمعاوية من فضائل مما لا أصل له. فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج٧ ص٨٣ ، للمزيد راجع تاريخ بغداد : ج١ص٢٠٧ ، أسد الغابة : ج٤ ص٣٨٥ ، الإصابة : ج٣ ص ٣٣ ، شذرات الذهب : ج١ص٦٥ ، تهذيب التهذيب : ج٥ ص١١٠ وج١٠ ص٢٠٧ ، الكامل في التاريخ : ج٣ ، وفيات الأعيان : ج١ ص٧٧ ، منهاج البراعة : ج٧ ص١٤٢ـ ١٤٣ ، تأريخ الخلفاء : ص٢٠٥ ، البداية والنهاية : ج٨ ص١٢٤ ، العقد الفريد : ج٦ ص٩٥ ، الأغاني : ج٩ ص٥٣ ، السيرة النبوية لابن كثير : ج٣ ص٩٦ ، أنساب الأشراف للبلاذري : ج٣ ص١٢٦ ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب : ص١٤٢٠ ،

أبـي سـفيان والمغـيرة بـن شـعبة[1] قـدوات للمسـلمين . ولمـا كـان هـناك فـرقٌ بـين أبـي ذر الغفـاري[2] وعمـرو بـن

---

شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج١١ ص٤٤.٤٧ .

(١) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي ، ولد بالطائف وأسلم سنة ٥هـ ( ٦٢٦م) ، وجاء في التاريخ أن سبب إسلامه ذهابه إلى المقوقس مع جماعة من بني مالك وكان عددهم ثلاثة عشر رجلاً ، فلما رجعوا ، فتك بهم ؛ طمعاً في أموالهم ، فهرب منهم ولاذ بالإسلام ، وفي ذلك يقول الإمام علي عليه السلام : (وما المغيرة إنّما كان إسلامه لفجرة وغدرة) ، ذهبت عينه في معركة اليرموك وشهد القادسية ونهاوند وهمدان ، ولاّه عمر بن الخطاب على البصرة ثم عزله عنها بعد زناه ولم يقم عليه الحد ثم ولاّه الكوفة وأقرّه عثمان عليها ثم عزله عنها ، وقال الإمام علي عليه السلام : (لئن ملكت لأرمينه بالحجارة) ، وكان من أشد المبغضين لعلي عليه السلام ، وفي عهد معاوية تولّى الكوفة إلى أن مات سنة ٥٠هـ بمرض الطاعون. راجع : أسد الغابة : ج ٤ ص٤٠٧ ، طبقات ابن سعد : ج٤ ص٢٨٤ ، الاستيعاب : ج٤ ، أنساب الأشراف : ج١٣ ص٣٤٨ ، المغازي : ج٥ ص٥٩٥ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج٤ ص ٤٥٣ .

(٢) جندب بن جنادة ، من بني غفار ، سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله «عبد الله» ، وهو أول من حيّاه الرسول صلى الله عليه وآله بتحية الإسلام ، جهر بإسلامه في مكة فضرب حتى أغمي عليه فأمره الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بالرجوع إلى قبيلته ؛ يدعوهم إلى الإسلام ، ويعد من خيار الصحابة ، قال في حقه الرسول صلى الله عليه وآله : (والله ، ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر) ، حضر غزوة تبوك ، لازم الرسول صلى الله عليه وآله إلى أن وافاه الأجل فقال : «لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وآله وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلاّ ذكّرنا منه علماً» ، اشتهر بتقواه وبساطته ، عارض بيعة أبي بكر ، ثم عاش في بلاد الشام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله قرابة عشر سنوات ، وكان يجمع الناس حوله ويحدثهم بأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله في فضائل علي عليه السلام ، ونعى على معاوية

العاص[1] ، فقد استطاع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وخلال السنوات القليلة

---

الترف والإسراف واللعب بأموال المسلمين ، ولما بنى معاوية قصراً له ، بعث أبو ذر إليه أحداً يقول له : «يا معاوية ، إن كان هذا من مال المسلمين فهي الخيانة ، وإن كان من مالك فهو الإسراف» ؛ فضاق معاوية به ذرعاً واشتكاه لعثمان فأرسله إلى المدينة بصورة يندى لها الجبين. يقول المسعودي في مروج الذهب : «رد إلى المدينة على بعير عليه قتب يابس معه خمسمائة من الصقالية يطردون به حتى أتوا به المدينة وقد تسلخت بواطن أفخاذه وكاد يتلف» ، وقف بوجه عثمان ، الذي تسلط هو وأقرباؤه من بني أمية أمثال مروان بن الحكم على رقاب المسلمين ، الذين اتخذوا مال الله دولاً وعباد الله خولاً ودين الله دخلاً ، وكان يمر بالطرقات والأزقّة يحرض المسلمين على عثمان ويقول : ﴿الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ، فمنعه أعوان الخليفة من ذلك ، فقال رضي الله عنه : «أتنهونني عن قراءة القرآن ؟ وأضاف : والله ، لئن أرضي الله بسخط عثمان أحب إليّ وخير لي من أن أسخط الله برضا عثمان». ودافع عن المحرومين وكان يصرخ في وجه الحكام قائلاً : «أتتكم القطار بحمل النار ، اللهم العن الآمرين بالمعروف التاركين له ، اللهم العن الناهين عن المنكر المرتكبين له» كما جاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج٨ ص٢٥٧ . ومن وصاياه رضي الله عنه : «إن الله قد فضلك فجعلك إنساناً فلا تجعل نفسك بهيمة ولا سبعاً» ، نفاه عثمان إلى الربذة قائلاً له : «اخرج عنا من بلادنا وجوارنا» ، وتوفي فيها غريباً سنة ٣٢هـ (٦٥٢م). للمزيد راجع الإصابة ، فرائد السمطين ، تاريخ اليعقوبي ، تاريخ الطبري ، الاستيعاب ، أعيان الشيعة ، الغدير للأميني ، البداية والنهاية لابن كثير ، الموسوعة الإسلامية لحسن الأمين ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد .

(١) عمرو بن العاص بن وائل السهمي ، اشتهرت أمّه ، نابغة بنت حرملة بالبغاء ؛ فقد زنا بها أبو لهب وأمية بن خلف وهشام بن المغيرة وأبو سفيان بن حرب والعاص بن وائل وكلهم في طهر واحد ؛ فحملت بعمرو فتنافسوا جميعاً على مولودها وأرجعوا

.....................................................................

الحكم إليها فاختارت العاص فقالوا لها : ابنك أشبه بأبي سفيان فلماذا اخترتي العاص ؟ فقالت : بخل أبي سفيان ، والعاص أقدر على دفع النفقة.

وقد قال له الإمام الحسن عليه السلام تعريضاً به : (تحاكمت فيك رجال قريش ، فغلب عليك جزارها ، الأمهم حسباً ، وأعظمهم لؤماً ، فإياك عني فإنك رجس). راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج١٦ ص٢٨.

وقد هجاه حسان بن ثابت قائلاً :

أبوك أبو سفيان لا شك قد بدت لنا فيك منه بينات الدلائل

ففاخر به أما فخرت ولا تكن تفاخر بالعاص الهجين ابن وائل

وأن التي في ذاك يا عمرو حكمت فقالت رجاءً عند ذلك لنائل

من العاص عمرو تخبر الناس كلما تجمعت الأقوام عند المحافل

عرف بالمكر والخديعة والغدر حتى ضرب به المثل ، عادى رسول الله صلى الله عليه وآله وكان يؤذيه ويضع في طريقه الحجارة وقد هجاه بسبعين بيتاً وكان يعلمها للصبيان فإذا مرّ بهم رسول الله صلى الله عليه وآله رفعوا أصواتهم فلعنه الرسول بعدد كل بيت لعنة بعد صلاته في الحجر ، وفي مكان آخر لعنه الرسول صلى الله عليه وآله قائلاً : «اللهم العن عمرو بن العاص». روّع زينب بنت الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله عندما خرجت مهاجرة من مكة إلى المدينة وأسقط جنينها. وكان مبعوث قريش إلى الحبشة لتحريض النجاشي على قتل المسلمين وطردهم منها أو تسليمهم لقريش. قاتل المسلمين في بدر وأحد والخندق ، أسلم سنة ٨ هـ (٦٢٩م) مع خالد بن الوليد ، شهد فتح الشام ، ولاّه عمر بن الخطاب فلسطين ثم مصر ، عزله عثمان عن مصر وعين مكانه عبد الله بن سعد ، وأضحى يؤلب الناس على عثمان ، وعندما قتل عثمان قال ابن العاص : «أنا أبو عبد الله إذا نكأت قرحة أدميتها ، قتلته وأنا بوادي السباع». وقال لولده : «لقد حرّضت على عثمان حتى الراعي في الصحراء» ، وفي حكومة معاوية أضحى من المقربين والمناصرين له وقد ناصره في حروبه ضد الإمام علي عليه السلام كحرب صفين

من حكومته أن يضع فاصلاً بين الناس الخيرين والناس الأشرار ، وأن يفصل بين من على شاكلة أبي ذر الغفاري ومن على شاكلة عمرو بن العاص .

أما في زمن رسول الله ﷺ ، فقد كان إعلاء كلمة الإسلام هو الهدف الأسمى في قِبال كلمة الوثنيين التي كان لابدّ من إسقاطها وزوالها ، وفعلاً لم يذهب رسول الله ﷺ إلى بارئه حتى أزال كابوس الوثنية ، وأقام صرح التوحيد ، وفي زمن أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن هناك خوف على كلمة التوحيد ، ولم يكن هناك خوف على الموحّدين ، حيث ترسخت جذور التوحيد في نفوس المسلمين .

وفي عهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حان الوقت الذي يجب فيه تمييز الشرير عن الخيِّر .

---

والتي نجى منها بكشف عورته ، مات في مصر سنة ٤٣ هـ (٦٦٣م) بعد أن ولاه معاوية عليها ، ودفن في المقطم من ناحية الفج عن عمر يناهز التسعين سنة . وقال لابنه حين وفاته : «أصلحت لمعاوية دنياه وأفسدت ديني ، آثرت دنياي وتركت آخرتي ، عمّي عليّ رشدي حتى حضرني أجلي ، كأني بمعاوية قد حوى مالي وأساء فيكم خلافتي» .

ترجمه شذرات الذهب ج١ص ٥٣ ، تهذيب التهذيب ج٨ ص٥٦ ، أسد الغابة ج٤ ص ١١٥ ، سير أعلام النبلاء ج٣ ص٥٤ ، مروج الذهب ج٣ ص٣٢ ، ربيع الأبرار : ج٣ ص٥٥٠ ، تذكرة الخواص : ص١٨٦ ، تاريخ اليعقوبي : ج٢ ص١٣٠ ، السيرة النبوية : ج٣ ص٢٧٠ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج٢ ص١٠٠ .

إن إعلان رسول الله ﷺ الحرب ضد أبي سفيان[1] وعمرو بن العاص وخالد بن الوليد[2] كان سيؤدي حتماً إلى تضعضع المسلمين ممّا يُنْتِجُ تقوية

---

(١) صخر بن حرب بن أمية ، قاد المشركين في حروبهم ضد الرسول ﷺ كحرب بدر وأحد والخندق ، وما من فتنة إلاّ وشارك فيها ، أسلم مضطراً يوم الفتح وكان يشتهر بالنفاق؛ كما ذكر ذلك الأغاني: ج٦ ص٢٤٣ ، يقول الزبير لولده عبد الله في حق أبي سفيان: «قاتله الله يأبى إلاّ نفاقاً» ، عندما أصبح عثمان خليفة ، ذهب بنو أمية إليه؛ ليباركوا له خلافته ، فقام أبو سفيان خطيباً قائلاً: «هل بيننا من غير بني أمية ؟ فقالوا: لا ، فقال: «تلاقفوها يا بني أمية ، تلقف الكرة ، فالذي يحلف به أبو سفيان ، لا عذاب ولا حساب ولا جنة ولا نار ولا حشر ولا قيامة» ، مات أبو سفيان سنة ٣١هـ (٦٥٢م).

(٢) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي ، ابن خالة عمر بن الخطاب ، أسلم برفقة عمرو بن العاص سنة ٨هـ (٦٢٩م) ، أرسله أبو بكر إلى العراق سنة ١٢هـ (٦٣٣م) لفتح الحيرة ، ثم عينه قائداً في الشام ، وقد خلعه عمر بن الخطاب من سمته. مات بحمص سنة ٢١هـ (٦٤٢م). ارتكب عدة جرائم؛ ففي عهد الرسول ﷺ قتل الكثير من بني جذيمة المسالمين بعد أن كتّفهم ، وعندما أخبر الرسول بذلك ، رفع يديه إلى السماء قائلاً: اللّهم إني أبرأ إليك ممّا صنع خالد بن الوليد ، ثم أرسل الرسول الأكرم ﷺ الإمام علي عليه السلام لبني جذيمة قائلاً له: يا علي ، اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك. فخرج الإمام علي عليه السلام حتى جاءهم ومعه مال فد ، بعث به رسول الله ﷺ فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال حتى إنه ليدي لهم ميلغة الكلب ، إذ لم يبق شيء من دم ولا مال إلاّ وداه ، بقيت معه بقية من المال. فقال لهم علي عليه السلام حين فرغ منهم: هل بقي لكم دم أو مال لم يودَ لكم ؟ قالوا: لا. قال: فإني أعطيكم هذه البقية من هذا المال احتياطاً لرسول الله ﷺ مما لا يعلم ولا تعلمون. ففعل ، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر. فقال الرسول ﷺ: أصبت وأحسنت . ثم قام

جبهة الوثنيين .

أمّا في عهد أمير المؤمنين ، فلم يكن هناك خوف من نتائج هذا الصراع ، فكان على الإمام أن يقف ، ليكشف زيف المزيفين حتى يعرف المسلمون الدين الصحيح ويميزونه عن الدين المزيف .

---

رسول الله ﷺ فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه حتى إنه ليرى ما تحت منكبيه ، يقول: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد. ثلاث مرات. وفي زمن أبي بكر هجم خالد على بني سليم الذين لم يقبلوا بخلافة أبي بكر ، وجمع رجالهم في الحضائر وأحرقهم بالنار. وكذلك هجم على مالك بن نويرة وعشيرته . الذي يعد من الأشراف في الجاهلية والإسلام وقد عاشر الرسول الأكرم ﷺ وأحسن معاشرته واستعمله الرسول لبرهة من الزمن على صدقات قومه . بعد أن رفض مالك إعطاء الزكاة لأبي بكر ممّا حدا بخالد أن يقتل مالكاً والكثير من أصحابه ، وزنا بزوجته أم تميم ، وسبى الكثير من النساء ، ونهب الأموال ، ثم أمر بحزّ رؤوس القتلى لتجعل أثفية للقدور ، فما من رأس إلاّ وصلت النار إلى بشرته ما عدا مالكاً فإن القدر نضجت وما نزح رأسه من كثرة شعره وقد وقى الشعر البشرة حرها أن يبلغ منه ذلك. وقال عمر بن الخطاب لخالد بعد هذه الفجيعة: قتلت امرءاً مسلماً ثم نزوت على امرأته ، والله ، لأرجمنك بأحجارك. ثم عندما نكح خالد بن الوليد ابنة مجاعة بن مرارة قسراً ، كتب إليه أبو بكر : يا ابن أم خالد ، إنك لفارغ ، تنكح النساء وبفناء بيتك دم ألف ومائتي رجل من المسلمين لم يجفف بعد. للمزيد راجع الرياض النضرة: ج١ ص ١٠٠ ، شرح نهج البلاغة: ج٤ ص١٨٧ ، الغدير للأميني: ج٧ ص١٥٥. ١٦٩ ، الموسوعة الإسلامية: ج٥ ص١٧٤. ١٧٥ للباحث حسن الأمين ، الكامل في التاريخ: ج٢ ص١٧٣.

# وما معاوية بأدهى مني

أما قصة دهاء معاوية ، ونعت أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام بالضعف السياسي فهذا كلام الأعداء وكلام من لا يعرف علياً ، ولا يدرك حقائق الأمور ، فعليٌّ عليه السلام كان رجلاً سياسياً من طراز الإسلام[1] ، أمّا معاوية فقد كان رجلاً سياسياً من طراز الدنيا[2]. وهنا تكمن الفروقات في سياسة

---

(١) يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : (وَاللهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّي ولَكِنَّهُ يَغْدِرُ ويَفْجُرُ ولَوْ لا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ ولَكِنْ كُلُّ غُدَرَةٍ فُجَرَةٌ وكُلُّ فُجَرَةٍ كُفَرَةٌ ولِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ واللهِ مَا أُسْتَغْفَلُ بِالْمَكِيدَةِ ولا أُسْتَغْمَزُ بِالشَّدِيدَةِ). نهج البلاغة : الخطبة ٢٠٠.

(٢) ذكر البلاذري في أنساب الأشراف : ج٥ ص٢٣٩ عن دهاء معاوية أنه كتب إلى زياد بن أبيه : «انظر أهل اليمن فأكرمهم في العلانية وأهِنهم في السر». وذكر اليعقوبي في تاريخه ج٢ ص١٥٠ : «أن معاوية إذا بلغه عن رجل ما يكره ، قطع لسانه بالإعطاء وربما احتال عليه فبعث به إلى الحروب ، وقدّمه ، وكان أكثر الناس ما فعله المكر والحيلة». وذكر المسعودي في مروج الذهب : «إن رجلاً من أهل الكوفة دخل على بعير له إلى دمشق في حالة منصرفهم عن صفين ، فتعلق به رجل من دمشق. فقال : هذه ناقتي ، أخذت مني بصفين ، فارتفع أمرهما إلى معاوية ، وأقام الدمشقي خمسين رجلاً بينة ، يشهدون أنها ناقته ، فقضى معاوية على

علي عليه السلام، وسياسة معاوية.

لقد كان أمير المؤمنين، يتحرك بأفق أوسع من أفق معاوية الذي

---

الكوفي، وأمره بتسليم البعير إليه. فقال الكوفي: أصلحك الله! إنه جمل وليس بناقة، فقال معاوية: هذا حكم قد مضى، ودسّ إلى الكوفي بعد تفرقهم فأحضره، وسأله عن ثمن بعيره؟ فدفع إليه ضعفه، وبرّه، وأحسن إليه ،وقال له: أبلغ علياً أني أقاتله بمائة ألف ما فيهم من يفرق بين الناقة والجمل، وقد بلغ من أمر أهل الشام في طاعتهم لمعاوية أنه صلّى بهم عند مسيرهم إلى صفين الجمعة في يوم الأربعاء، وذكر أيضاً في ج٥ ص٩٢: «قال زياد لم يغلبني معاوية في السياسة إلاّ في رجل من بني تميم، استعملته فكسر الخراج ولحق به فآمنه، فكتبت إليه: إن في هذا مفسدة للعمال وحملاً على سوء الأدب، فابعث به إليّ، فكتب إليّ معاوية: إنه لا يصلح أن أسوس وتسوس الناس سياسة واحدة، إنّا إن نشتد جميعاً، نهلك الناس ونخرجهم، وإن نلن جميعاً، نبطرهم، ولكن تلين وأشتد وتشتد وألين، فإذا خاف أحدهم وجد باباً فدخله». وذكر ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ج١ ص١٥٠ مايلي: «قال رجل دعي إلى البيعة ـ لمعاوية ـ اللهم إني أعوذ بك من شر معاوية. فقال معاوية: تعوذ من شر نفسك، فإنه أشد عليك، بايع، فقال: إني أبايع وأنا كاره للبيعة؟ فقال معاوية: بايع. فإنَّ الله يقول: ﴿فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾ سورة النساء: الآية ١٩. وذكر في وقعة صفين ص٤٩٥، أن معاوية قال: «والله، لأستميلن بالأموال ثقات علي ولأقسمن فيهم الأموال حتى تغلب دنياهم آخرتهم». ومن دهائه أنه قتل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله بالسم، وكان يقول: «إن لله جنوداً من عسل». فقد قتل الإمام الحسن عليه السلام ومالك الأشتر وعبد الرحمن بن خالد وسعيد بن أبي وقاص وحجر بن عدي الكندي وأصحابه وعمرو بن الحمق الخزاعي. وقال الجاحظ في رسالته ص٣٦٥: «كان معاوية خلاف الكتاب والسنة ويستعمل جميع المكايد وجميع الخدع حلالها وحرامها، وكان علي عليه السلام لا يستعمل في حربه إلاّ عدله، ووافق الكتاب والسنة»

كان لا همّ له سوى أن يعيش لأيام معدودات في بحبوحة من العيش الرغيد.

ولذا وجدنا علياً عليه السلام يبقى خالداً في النفوس بينما ذهب معاوية إلى سلّة المهملات، تلاحقه اللعنة الأبدية حتى من عشيرته وقبيلته[1].

فهل هذه هي السياسة؟!

اللعنة الأبدية التي تلاحقه مدى الدهر، أم التفاخر به على كل لسان؟

لقد تمكن عليّ عليه السلام من امتلاك القلوب، ولم يكن هناك أذكى منه في امتلاك القلوب إلاّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وبعد شهادته جاء أبناؤه وأبناء أبنائه، وشكلوا الحكومات تلو الحكومات في المغرب ومصر والكوفة وطبرستان.

لقد استطاع معاوية أن يعبّئ أهل الشام؛ ليسبُّوا علياً، فسبُّوه طيلة حكمه[2]، وحكم من جاء

---

(١) إن أول من تبرأ منه حفيده، معاوية الثاني، الذي تنازل عن الخلافة قائلاً: «إن الخلافة ليست لهم وإنّ جده اغتصبها من علي وإن أباه اغتصبها من الحسين».

(٢) قال الواقدي: «إن معاوية عندما عاد من العراق إلى الشام بعد بيعة الحسن عليه السلام واجتماع الناس إليه، خطب، فقال: أيها الناس، إن رسول الله قال لي: إنك ستلي الخلافة من بعدي فاختر الأرض المقدسة، فإن فيها الأبدال وقد اخترتكم. فالعنوا أبا تراب. فلعنوه ...». راجع نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٤ ص٧٢.

وأضاف ابن أبي الحديد في ج١١ ص٤٤ ـ ٤٥ قائلاً: «وروى أبو الحسن علي بن

..............................................................

محمد بن أبي سيف المدائني في كتاب الأحداث ، قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته ، فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون عليا ويبرؤون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته ، وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام فاستعمل عليهم زياد ابن سمية وضم إليه البصرة فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان منهم أيام علي عليه السلام فقتلهم تحت كل حجر ومدر وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وأطرافها وشرّدهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم ... وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق ألاّ يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فأدنوا مجالسهم وقربوهم وأكرموهم ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة فإن هذا أحب إلي وأقر لعيني وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله. فقرئت كتبه على الناس فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها ، وجد الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر وألقي إلى معلّمي الكتاتيب فعلّموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن وحتّى علّموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم فلبثوا بذلك ما شاء الله. ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان انظروا من قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه ، وأشفع ذلك بنسخة أخرى: من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكلوا به وأهدموا داره ، فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق ولا سيما بالكوفة حتى إن الرجل من شيعة علي عليه السلام ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقي إليه سره ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمن عليه ، فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر ، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة ، وكان أعظم الناس في ذلك بلية القراء المراؤون والمستضعفون الذين

من بعده[1] حتى عهد عمر بن عبد العزيز[2] ، لكن ماذا حدث بعد

---

يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم ويقربوا مجالسهم ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان فقبلوها ورووها وهم يظنون أنها حق ولو علموا أنها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها. فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن علي عليه السلام فازداد البلاء والفتنة فلم يبق أحد من هذا القبيل إلاّ وهو خائف على دمه أو طريد في الأرض». وذكر ابن أبي الحديد في الجزء الرابع ص٧٣ ما يلي: «وقد صح أن بني أمية منعوا من إظهار فضائل علي عليه السلام وعاقبوا على ذلك الراوي له حتى إن الرجل إذا روى عنه حديثاً لا يتعلق بفضله بل بشرائع الدين لا يتجاسر على ذكر اسمه فيقول عن أبي زينب. وروى عطاء عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال: وددت أن أترك فأحدث بفضائل علي بن أبي طالب عليه السلام يوماً إلى الليل وأن عنقي هذه ضربت بالسيف. قال: فالأحاديث الواردة في فضله لو لم تكن في الشهرة والاستفاضة وكثرة النقل إلى غاية بعيدة لانقطع نقلها للخوف والتقية من بني مروان مع طول المدة وشدة العداوة. ولو لا أن لله تعالى في هذا الرجل سراً يعلمه من يعلمه لم يرو في فضله حديث ولا عرفت له منقبة ألا ترى أن رئيس قرية لو سخط على واحد من أهلها ومنع الناس أن يذكروه بخير وصلاح لخمل ذكره ونسي اسمه وصار وهو موجود معدوماً وهو حي ميتا». كما ذكر صاحب كتاب تهذيب التهذيب: ج٧ ص٣١٩: «إن بني أمية إذا سمعوا بمولود ، اسمه عليّ قتلوه».

(١) يقول الزمخشري في ربيع الأبرار: ج٢ ص١٨٦: «وإن بني أمية لعنوا علياً على منابرهم سبعين سنة ما زاده الله إلا رفعة ونبلاً».

(٢) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، ثامن خلفاء بني أمية ، ولد سنة ٦١هـ (٦٨١م) وقتل في دمشق بالسم سنة ١٠١هـ (٧٢٠م) ، حكم من سنة ٩٩هـ (٧١٧م) وإلى سنة ١٠١ هـ (٧٢٠م) وقد حكم سنتين وخمسة أشهر وأربعة عشر يوماً ، وممّا يؤخذ عليه في فترة حكمه تغاضيه عن بني مروان مما اغتصبوه ونهبوه من أموال وأراض

..........................................................................................

في أيام الحكام السابقين والتي تقدر بثلث ما بحوزة الناس من أموال ، وإقراره ببقاء يزيد على ولاية العهد الذي عرف باللهو واللذات ، وممّا يؤخذ عليه أيضاً تسامحه مع اليهود والنصارى الذين سعوا في الأرض فساداً ، ولم يستطع المظلومون في عهده من الاحتجاج على الأعمال التي اقترفها بنو أمية أو ذكرهم بسوء أو كشف حقائقهم ومثالبهم ومظالمهم. للتفصيل راجع: العقد الفريد : ج٤ ص٢٠٦ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج١٧ص١٠٣. وقد ذكر ابن أبي الحديد في شرحه : ج٤ ص٥٨ . ٥٩ قصة عمر بن عبد العزيز ونهيه عن سب الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام قائلاً: «كنت غلاماً أقرأ القرآن على بعض ولد عتبة بن مسعود ، فمرّ بي يوماً وأنا ألعب مع الصبيان ، ونحن نلعن علياً. فكره ذلك ودخل المسجد فتركت الصبيان ، وجئت إليه لأدرس عليه وردي ، فلما رآني قام فصلّى وأطال في الصلاة . شبه المعرض عني . حتى أحسست منه بذلك ، فلما انفتل من صلاته كلح في وجهي ، فقلت له: ما بال الشيخ ؟ فقال لي: يا بني ، أنت اللاعن علياً منذ اليوم ؟ قلت: نعم. قال: فمتى علمت أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضي عنهم ؟ فقلت: يا أبت ، وهل كان عليّ من أهل بدر ؟ فقال: ويحك وهل كانت بدر كلها إلاّ له ؟! فقلت: لا أعود. فقال: والله أنك لا تعود. قلت: نعم. فلم ألعنه بعدها ، ثم كنت أحضر تحت منبر المدينة وأبي يخطب يوم الجمعة وهو حينئذٍ أمير المدينة ، فكنت أسمع أبي يمر في خطبه تهدر شقاشقه حتى يأتي إلى لعن علي عليه السلام فيجمجم ويعرض له من الفهاهة والحصر ما الله عالم به ، فكنت أعجب من ذلك. فقلت له يوماً: يا أبت ، أنت أفصح الناس وأخطبهم ، فما بالي أراك أفصح خطيب يوم حفلك حتى إذا مررت بلعن هذا الرجل صرت ألكن علياً ؟ فقال: يا بني ، إنّ من ترى تحت منبرنا من أهل الشام وغيرهم لو علموا من فضل هذا الرجل ما يعلمه أبوك لم يتبعنا منهم أحد ، فوقرت كلمته في صدري مع ما كان قاله لي معلمي أيام صغري ، فأعطيت الله عهداً لئن كان لي في هذا الأمر نصيب لأغيّرنه ، فلما منّ الله عليَّ بالخلافة أسقطت ذلك ، وجعلت مكانه ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ

ذلك؟ هل نقص شيءٌ من علي؟ ، لقد ارتفع سبّ عليّ وحلّ محله الثناء والتبجيل ، والملاحم الشعرية التي قيلت فيه ، لكن ماذا كان مصير معاوية؟ . لقد تحوّل إلى مسبّة حتى يومنا هذا[1] .

على أيّ حال : فإنّ الإمام نفّذ دوره الذي أراده له الله سبحانه أن ينّفذه ، واستطاع أن يفصل بين الخير والشر ، بين النور والظلام ، بين الصدق والكذب ، وبين العدل والظلم ، بينما معاوية ، لم يستطع أن يحقق حلم أبي سفيان بتأسيس الدولة الأموية القوية التي تستمر إلى آخر الدهر[2] .

استطاع معاوية بالدهاء أن يحقق بعض المكتسبات الدنيوية المادية إلاّ أنّه خسر كلّ شيء ، وأصبح لعنة إلى آخر الدهر .

فإذا كان مقياس النجاح والفشل هو بقاء الذكر الحميد فإنّ معاوية قد خسر معركته مع أمير المؤمنين الذي لازال ذكره يعلو فوق الأسماء ، بل إنه خسر معركة الحياة .

---

تَذَكَّرُونَ﴾ وكتب به إلى الآفاق فصار سنَّةً.

(١) يقول فلهوزن في كتاب «الخوارج والشيعة» ط القاهرة سنة ١٩٦٨ عن بني أميّة : «لن تجد اليوم أموياً يقول بأني أموي. فقد تحوّلت الأموية إلى ظاهرة ضد الدين وضد الإسلام؛ وذلك نتيجة ما ارتكبه معاوية من مخالفات ضد الإسلام».

(٢) وقد عبّر أبو سفيان عن ذلك في مقولته لعثمان بن عفان : «يا عثمان ، إن الأمر أمر عالمية والملك ملك جاهلية فاجعل أوتاد الأرض بني أمية». راجع الأغاني : ج٦ ص ٣٥٤.

أما عن شهادة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فقد كانت شهادته تتمة للأدوار التي قام بها في حياته ، فقد كشفت شهادته زيف الدعايات الأموية المضللة ، كما وأنّ الموجة العاطفية التي أوجدتها شهادته ، كان لها فاعلية في الارتباط بالإمامة ؛ حيث إنّ القائد بحاجة إلى العقل والعاطفة ، والإمام بشهادته كوّن أعظم عاطفة حول نفسه .

أمّا ما عُرف عن الإمام بشكواه من أهل العراق ومن أصحابه[1] فهو ليس دليلاً على ضعف سياسة الإمام بل جاءت هذه الشكوى بمثابة الإدانة لأهل الشر ، وهو جزء من سياسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في الكشف عن النماذج البشرية الخيِّرة والشريرة ، فقد استخدم أمير المؤمنين عليه السلام كلا الأسلوبين : الكلام ، والعمل ؛ للكشف عن المتخاذلين عن أداء التكليف الشرعي مع الإمام .

---

(١) كقول الإمام عليه السلام لأصحابه : «يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ ولا رِجَالَ حُلُومُ الأَطْفَالِ وعُقُولُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمْ ولَمْ أَعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً واللهِ جَرَّتْ نَدَماً وأَعْقَبَتْ سَدَماً قَاتَلَكُمُ اللهُ لَقَدْ مَلأْتُمْ قَلْبِي قَيْحاً وشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظاً وجَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاساً وأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ والْخِذْلانِ» . نهج البلاغة : الخطبة ٢٧ .
وقوله عليه السلام : «صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ اللهَ وأَنْتُمْ تَعْصُونَهُ وصَاحِبُ أَهْلِ الشَّامِ يَعْصِي اللهَ وهُمْ يُطِيعُونَهُ لَوَدِدْتُ واللهِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُمْ صَرْفَ الدِّينَارِ بِالدِّرْهَمِ فَأَخَذَ مِنِّي عَشَرَةً مِنْكُمْ وأَعْطَانِي رَجُلاً مِنْهُمْ». نهج البلاغة : الخطبة ٩٧ .

فالكلام يُفسر بمرماه لا بمعناه ، ولذا لا يُفسر قوله تعالى : ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَـذِهِ أَعْمَـى فَهُـوَ فِـي الآخِـرَةِ أَعْمَـى وَأَضَـلُّ سَـبِيلاً﴾[1] ، بـالعمى الظاهـري ، ومـا قلناه ليس إلاّ ضمن المقارنات الزمنية ، أما نحن فنعتقد أن علياً عليه السلام كانـت لـه جهـة ملكوتـية ، فـلا يعمـل عملاً ، ولا يتكلم بكلمة إلاَّ عـن إرادة الله سـبحانه : ﴿عِـبَادٌ مُكْـرَمُونَ * لاَ يَسْـبِقُونَهُ بِـالْقَوْلِ وَهُـمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[2] .

ثمّ إنَّ حياة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مقسمة إلى قسمين :

القسـم الأول : حـياته في عهـد رسـول الله صلى الله عليه وآله ، وفي هـذه المرحلة قام الإمـام بمسـاعدة ابـن عمـه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في هدم بنيان الكفر ، حتى إنَّ أحد علماء السنة قال شعراً :

**ألا إنمـا الإسـلام لـو لا حسـامه**

**كعفطـة عـنـز أو قلامـة ظافـر**

أمّـا أولـئك الـذي يعـتّمون عـلى دور الإمـام عليه السلام في غـزوات رسـول الله صلى الله عليه وآله فهـم جـاهلون لا يعـرفون عـن الإسـلام شـيئاً أو مـتجاهلون نواصب .

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٧٢.

(٢) سورة الأنبياء : الآيتان ٢٦. ٢٧ .

ومثلهم مثل من يأخذ بفقه أبي حنيفة[1] ، وينسى تشريع رسول الله ﷺ ، (**فلو لا سيف علي لما قام للإسلام قائمة**)[2] كما قاله رسول الله .

القسم الثاني : حياته عليه السلام بعد وفاة رسول الله ﷺ ، فقد قضاها أمير المؤمنين عليه السلام بالعمل الدؤوب لتصحيح الوضع الإسلامي . وكان مما قام به في هذه المرحلة :

١ـ نسف الانحراف ديناً ودنياً المتمثل بحرب الجمل أي الحرب مع الناكثين .

---

(١) النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه ، التميمي بالولاء ، من سبي كابل ، مؤسس المذهب السني الحنفي ، ولد سنة ٨٠ هـ (٦٩٩م) ونشأ في الكوفة وكان يبيع الخز ثم انقطع للعلم ، قيل: قتله المنصور بالسم وقيل: حبسه ومات في السجن ، مات سنة ١٤٩هـ (٧٦٦م) وقيل: ١٥٠هـ (٧٦٧م) ، من مؤلفاته: مسند أبي حنيفة ، المخارج ، الفقه الكبير. ترجمه تاريخ بغداد: ج١٣ص٣٢٣ وفيات الأعيان: ج٢ ص ١٦٣ الجواهر المضيئة: ج١ص٢٦ ، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: ج١ص٢٨٨. ٣٣٠ ، مرآة الجنات: ج١ص٣٠٩ ، روضات الجنات: ج٨ ص١٦٧ ـ ١٧٦ ، الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٧ ص٣٢٢ ، الجرح والتعديل: ج٨ ص٤٤٩ ، المنتظم لابن الجوزي: ج٨ ص١٢٨ ، البداية والنهاية: ج١٠ ص١١٠ ، شذرات الذهب: ج١ ص ٢٢٧.

(٢) يقول السروجي في هذا الصدد كما عن المناقب:ج٣ ص٩٥ :

| | |
|---|---|
| كلا وحق أمير النحل حيدرة | صنو النبي أمير المؤمنين علي |
| خير البرية آباء وأشرفها قدرا | و أسمحها كفا لمبتذل |
| لولاه ما قام للإسلام قائمة | ولا استقام طريق غير مشتكل |

٢ـ مواجهة حالة الإفراط في الدنيا ، وهي المتمثلة في حرب صفين ، وهم القاسطون من أعوان معاوية طلاّب الدُنيا .

٣ـ مواجهة الإفراط في الدين المتمثل في النهروان ، وهم المارقون[1] .

وقد أدى الإمام جميع تلك الأدوار ، بإخلاص حتى أصبح قدوة حسنة .

وكانت هذه الساحات الأربعة التي خاضها أمير المؤمنين عليه السلام هي سلسلة واحدة ، فلو لم يقم الإمام بدور واحد من هذه الأدوار ، لجاءت حياته ناقصة ولاحتاج الإنسان إلى قدوة أخرى ، تبيّن له الدور الذي لم يكمل .

---

(١) وهؤلاء الثلاثة أمر النبي صلى الله عليه وآله المسلمين بقتالهم : فعن أبي سعيد الخدري ، قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين. فقلنا : يا رسول الله ، أمرتنا بقتال هؤلاء فمع من ؟ قال : مع علي بن أبي طالب معه يقتل عمار بن ياسر. راجع تاريخ مدينة دمشق : ج٣ص٢١٣ ، أسد الغابة : ج٤ ص٣٢. وقال ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق : ج٣ ص٢٠٨ : إن أم سلمة قالت : إن رسول الله أمر علياً بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين ، وإن من لقى الله وهو مبغض لعلي أكبّه الله على منخريه في النار.

# العلماء وأخلاق الوحدة

يحكى عن المجدد الشيرازي ﷺ أن رجلاً طلب منه بعض المال ؛ ليقضي به حاجته ، وبما أنه كان ينوي الذهاب إلى بغداد ، وكان هذا الشخص يسكن مدينة بغداد ، فطلب منه أن يعطيه حوالة لأحد التجّار ؛ خوفاً من ضياع المال في الطريق .

واستجاب المجدد الشيرازي لطلب هذا الرجل وكتب له حوالة بثلاث ليرات عثمانية إلى أحد التجّار في بغداد ، وقام الرجل بتزوير الحوالة بوضع نقطة أمام الرقم ثلاثة ، ليصبح المجموع ثلاثين ليرة ، وجاء بالحوالة المزوّرة إلى التاجر ، إلاّ أن التاجر استغرب من مبلغ الحوالة ، فشكّ فيها ، لذا استمهل الرجل حتى يهيئ المال .

أخذ التاجر الحوالة ، وبعث بها إلى المجدد ، يسأله عن مقدار المبلغ ، أعاد المجدد الحوالة إلى التاجر وقد أمضى على المقدار وهو ثلاثين ليرة .

وهكذا أخذ هذا الشخص ثلاثين ليرة بدلاً من ثلاث ليرات ، وهو لا يعلم بما دار بين التاجر والمجدد .

وبعد أيام ذهب هذا الرجل إلى سامراء ، حيث قابل المجدد فأمره بأن ينتظر حتى يفرغ المجلس ، ولمّا فرغ المجلس انفرد المجدد بالشخص وقال له بلسان المعاتب : هل تجوز السرقة من الإمام المهدي ﷺ ، ألا تعلم أنّ المال هو مال الإمام المهدي ، فانفعل الرجل انفعالاً شديداً ، عندما عرف أن السيد على اطلاع بما فعل . فلم يستطع أن يُجيب .

ثم واصل المجدد الشيرازي كلامه للرجل : إنّي حفظت ماء وجهك وصدّقت على الثلاثين ، ولكن هل كان تصرُّفك صحيحاً؟

هذه نبذة من أخلاق العلماء الذين استطاعوا بواسطتها أن يجمعوا الصفوف ، فيقرّبوا البعيد .

وقد قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : (**آلة الرئاسة سعة الصدر**) [1] ، وهذا الكلام مطلق وهو يشمل كل أقسام السعة ، سعة الصدر في البذل ، سعة الصدر في الستر على الناس ، سعة الصدر في الحلم ، سعة الصدر في تحمّل أذى الناس ، سعة الصدر في الصبر . . وهكذا .

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم : ص٢٤٢ ح٧٨٢٥ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ١٨ ص٤٠٧ ب١٧٨ ، بحار الأنوار : ج٧٢ ص٣٥٧ ب٨١ ح٧٠ ط بيروت.

# وللنظرات تفسير

نقل لي أحد المثقفين أنه ذات مرّة زار أحد مراجع التقليد في داره ، وكان الرجل المثقف يُقلّد ذلك المرجع لكنه ومنذ تلك الزيارة ترك تقليده بسبب نظرة استغراب ، وجّهها إليه المرجع ولم يعرف هو تفسيرها .

**أقول** : لكنني فهمت معنى ومفهوم تلك النظرة ، وإني لأقطع أنها من أجل غاية صحيحة .

# مداراة الناس

وسمعتُ أنّ عالماً لم يعطِ يده لمقلدٍ له أراد تقبيلها ، فعدل ذلك المقلد عن تقليده له .

وعالمٌ آخر أبعد مقلداً له في يوم ممطر ، لئلا يقبّل يده ؛ احتياطاً وخوفاً من الطهارة والنجاسة ، فترك ذلك المقلّد تقليده .

وهناك قصص وقصص ، وهي كلُّها تعطي الإنسان دروساً بليغةً في آداب المعاشرة والسلوك وحشد الصفوف ، منها :

## حذاء يحوّل الصديق إلى عدوّ

جاءني اثنان يتنازعان على «حذاء» ، وكان أحد المتنازعين صديقاً لي ، والآخر ليست بيني وبينه صداقة ، وقد رأيتُ أن الحقَّ مع الثاني ، فأعطيتُه الحقَّ ، ولم أكن أعلم أن هذا الحكم سيغيظ ويُغضب صاحبي وصديقي ، وبسبب ذلك قاطعني مقاطعةً صارمةً ، وانقلب يهاجمني كأنَّه عدوٌّ لدودٌ ، وظل على موقفه حتى يومنا هذا ، وقد مرّ على الحادثة ما يقارب العشر سنوات ، لو كنت أعلم أن الأمر سيصل إلى هذا الحدّ ، لكنت على

استعداد أن أمنحه ثمن الحذاء من جيبي الخاص ، وهو لا يساوي يومذاك أكثر من نصف الدينار .

# من الصداقة إلى العداوة

كان لي صديقٌ آخر من الكسبة ، يعتقد بي ويقلّدني ويدفع لي الحقوق الشرعية وكان عضواً في بعض مؤسساتنا الخيرية ، وذات مرة وقعت منازعة بينه وبين زوجته ، وحضرا عندي لحل هذا النزاع ، فقلت له : إن كان الحقُّ مع زوجتك فاللازم أن تتنازل ، وإن كان الحقُّ معك ، فعلى الرجل مسؤولية إدارة زوجته ؛ لأنّ الله تعالى يقول : ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ**﴾[1] .

ثم نصحتهما قائلاً لهما : إني لأرجو أن تجتمعا ثانيةً على ما كُنتما عليه ، وقبلا النصح ورجعا إلى حالتهما الطبيعية ، لأنَّ النزاع بينهما قد حصل لأمورٍ تافهة . ثم تبين أنَّ الرجل المذكور ثارت في نفسه فيما بعد ثورة عنيفة . من كلمتي «إن كان وإن كان» ، وتبين لي أنّهُ كان يُريد أن أقول له : إنَّ الحق معك مائة في المائة ، وكان هذا اللقاء هو آخر لقائي به وانتهى معه عمر صداقتنا ، وكان أيضاً آخر يوم من عضويته في مؤسستنا .

---

(١) سورة النساء : الآية ٣٤.

ثـم إنّـه لم يكـتف بهـذا القـدر بـل صـار في صف المناوئين المهاجمين ، وهو كذلـك إلى يومـنا هـذا ، وقـد مضـى عـلى الحادثـة حـتى الآن زهـاء سـبع سنوات .

وهـناك قصـص كـثيرة أخـرى وقعـت لـي في المجتمع ، وكلما وقعت لي حادثـة من هذا القبيل كنت أقول لنفسي : إنني لازلت في أول الطريق فلم أصـل إلى عمـق المجـتمع ، مـع العـلم أنـي كنـت أتجنَّـب الكـلمات الغلـيظة وأستعين دائماً بالعبارات اللينة .

# كيف نفهم المجتمع؟

وهناك قصة واقعية أخرى أسردها ؛ لكي تدركوا مدى ضآلة عقلية بعض الناس ، لقد كنتُ في محضر بعض المراجع ، فجاءه شخصان ، يتنازعان حول «بئر بالوعة» ، وكان كل طرف يدّعي أن البالوعة له . وكنت أعرف أحدهما أنّهُ متدين وخيّر ويحب الصلاح ، وتحدث كل واحدٍ منهما فأدليا بأدلتهما وحججهما .

وأخذ المرجع يشرح للرجلين شرحاً حيادياً : إنه إن كان كذا ، فالبئر لهذا ، وإن كان كذا ، فالبئر لذاك ، ولم يحكم العالم بشيء ، وإذا بهذا الإنسان الذي كنتُ أعرفه بالصلاح ، يقول بالحرف الواحد : «إنْ كان الإسلام يحكم بأن البئر له ، وليست لي ، فأنا بريءٌ من هذا الإسلام» .

وأضاف إلى حديثه كلمات كفر ؛ لا أريد نقلها .

وهنا يستطيع الباحث أنْ يكتشف السبب الكافي خلف المقاصد الذاتية لبعض الأفراد على غرار «شهيد الحمار» ، و«شهيد أم جميل»[1] ، وسائر

---

(١) ونظير هذا قصة قزمان في معركة بدر حيث قال: «والله ، ما قاتلت إلا على

الذين كانوا يرتدّون لأتفه الأسباب ، أو الذين جاؤوا لقتل الإمام الحسين الشهيد عليه السلام من أجل حفنة من المال .

فليس غريباً أن تنقلب الصداقة إلى عداوة من أجل حذاء ، أو بسبب كلمة ، ولا عجب أن يتبرأ الإنسان من دينه بسبب بالوعة ، فلا عجب في ذلك .

---

الحفاظ حتى لا تسير قريش فتطأ سعفنا». راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج١٤ ص٢٦٠. ٢٦١ .

# لو كنت أعلم الغيب

حصل لي مع صديق كان يُقلدني ، ويعطيني الحقوق الشرعية ، ويحضر صلواتي في الأوقات الثلاثة ، ويدافع عنّي أشدّ دفاع ، وكنت أمرُّ على دكانه في طريقي إلى حرم الإمام الحسين عليه السلام . وذات مرة مررتُ به فسلمتُ عليه على عادتي إلاّ أنّهُ ردَّ سلامي بفتور ، وقد حملت فعله هذا على خير ، لكنني سلمت عليه مرةً ثانيةً وثالثةً ورابعةً ، وكررتُ السلام ؛ في كلِّ مرة كنتُ أمرّ فيها على دكانه ، وكان يتلقاني بنفس الفتور السابق ، فتعجبتُ من أمره لأني لا أعرف أنني قصّرتُ بحقّه ، فرأيت أحد أصدقائي ؛ فطلبت منه أن يذهب إليه ، ويسأله عن سبب هذا الفتور؟ .

وبعد مدّة جاء الصديق ، وقال : نعم ، إنّه ممتلئٌ منك غيظاً .

قلت : لماذا؟ ! .

قال : لأنه أقام مأتماً حسينياً في بيته ولم تحضره .

قلت : ولكنني لم أكن أعلم بوجود المأتم ، فهل أخبرني حتى يلومني على عدم الحضور؟ ! .

قال الصديق : قلتُ له ما ذكرته لي إلاّ أنّه ردَّ قائلاً : صحيح إني لم أخبره ، ولكن لماذا هو لم يعلم بوجود المأتم؟!

فيا للعجب! هل أعلم الغيب؟ أو عندي أجهزة تنصُّت تكتشف المآتم قبل وقوعها؟.

وطالت فترة ابتعاده عني ، إلى أن اكتشف أن الخطأ منه وليس مني ، فعاد إليّ معتذراً وتحسنت الصداقة بيننا وبينه ، وجزاه الله خير الجزاء .

# مقابلة الهجر بالإحسان

كنت أمرّ على صاحب دكان في طريقي إلى حرم الإمام الحسين عليه السلام ، وأسلّم على صاحبه كما كانت عادتي في السلام على صاحب كل دكان يقع دكانه في طريقي ، وذات مرّة سلمتُ على صاحب الدكان ، وإذا به يصرف وجهه عني ولا يُجيب ، وتكرّرت القصّة مرّات ومرّات حتى تأكدت أنه لا يريد الإجابة على سلامي ، ولم يكن بيني وبينه صداقة حتى أبعث إليه برسول ؛ يستفسر منه عن السبب ، لكنني واصلت السلام ، وهو واصل تجاهله للردّ على السلام .

فتأمّلت كثيراً ، وفكرت بعدم السلام عليه ، لأنّ سلامي عليه ليس بواجب وإني أحمّله تكليفاً شرعياً في الرد على السلام ، كما أن عدم رده للسلام بمثابة الإهانة لي ، وأنا أفكر في تغيير موقفي منه وإذا بي أتذكر قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال : (**لا يكونن أخوك على قطيعتك أقوى منك على صلته**)[1] .

---

(١) من لا يحضره الفقيه : ج٤ ص٣٩٢ ، وسائل الشيعة : ج١٢ ص١٧٤ ب١١٢ ح١٥٩٩٩ .

وتذكرت قول الإمام السجاد عليه السلام في دعاء مكارم الأخلاق : **(وسددني لأن أعارض من غشّني بالنصح وأجزي من هجرني بالبرّ)**[1] ، ولذا أخذتُ أكرّر قول الإمام عليه السلام مرّات ومرّات وأسلم عليه حتى استحيا وأجاب ببرود ، ثم بعد مدة أجابني بحرارة قليلة .

وهكذا حتى رجع إلى سابق عهده .

ولمّا استفسرت عن حاله ، قيل لي : إن شيوعياً من أصدقائه أثرّ عليه وحوّله ضدي ، لكن إصراري على السلام أعاده إلى رشده ؛ لأنه كشف له عن عظمة الإسلام .

---

(١) الصحيفة السجادية : ص٩٢ ، الدعاء والزيارة للمؤلف قدس سره : ص٩٣ .

# العلماء في مواجهة الإلحاد

استغلّ الشيوعيون انقلاب عبد الكريم قاسم[1] ؛ فقفزوا إلى السلطة ، وسيطروا على المراكز الحساسة في الدولة ، وشرعوا في القيام بأي عمل مخالف ، للشرع ، والعقل ، والقانون ؛ فقتلوا خصومهم وسحبوهم في الشوارع وهَتكوا أعراض الناس ، ونهبوا الأموال ، وقام عبد الكريم قاسم بفسح المجال أمامهم ؛ لأنهم ادّعوا حمايته من عبد الناصر[2] ، ومن

---

(١) ولد عبد الكريم قاسم في بغداد سنة ١٣٣٢هـ (١٩١٤م) ، تسلم الحكم في العراق سنة ١٣٧٧هـ ( ١٩٥٨م) بعد أن أطاح بالنظام الملكي ، وأعلن النظام الجمهوري ، وشكل مجلس السيادة لإدارة البلاد ، استمر في الحكم لسنة ١٣٨٢هـ (١٩٦٣م ) ، وأعدم إثر تعرضه لانقلاب عسكري ؛ قاده عبد السلام عارف.

ومن المثالب التي تؤخذ عليه : إلغاؤه للمظاهر الديمقراطية كالبرلمان والتعددية الحزبية ، وتجريد العشائر من السلاح ، ومحاربة الحوزة العلمية ومؤسساتها ، وإعلانه للأحكام العرفية.

(٢) ولد جمال عبد الناصر سنة ١٣٣٦هـ (١٩١٨م) وتوفي سنة ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م) ، قاد ثورة تموز ١٩٥٢م ، تولّى رئاسة الوزراء سنة ١٣٧٣هـ (١٩٥٤م) ، واتّخذ الاشتراكية كنظام لإدارة البلد ، تولّى رئاسة الجمهورية سنة ١٣٧٥ هـ (١٩٥٦م) ، واستمر

الأحزاب القومية الموالية له ، هذا أولاً ، وثانياً أراد عبد الكريم بمؤازرته للشيوعيين أن يُفهم الغرب أن الشيوعيين سند له حتى لا يقوم الغرب بانقلاب ضدّه ـ هكذا كان يقول الناس ـ . وثالثاً أراد عبد الكريم أن يكسب ودّ الاتحاد السوفياتي ، ويحظى بحمايته له من خلال دعمه للحزب الشيوعي في العراق .

هذا في الظاهر ، أمّا في الحقيقة ، فإن حكم عبد الكريم قاسم لم يكن إلاّ حكماً إنجليزياً برداء من الشيوعية ، وذلك لإخراج أمريكا من المنطقة .

وقد ذكر ذلك سفير بريطانيا في مذكراته ، ونقلتها مجلة الحوادث اللبنانية ، والموضوع لا يستحق الإطالة ؛ لأنه ليس في صلب موضوعنا[1] ، لكن ما نريد أن نقوله : إن أحد أسباب التفرقة هو طغيان الإلحاد والفساد في العراق طغياناً هائلاً ، وقد فكّر والدي ﷺ في التصدّي لهذا الطغيان والفساد بما يستطيع ، وبأمر منه شكّلنا وفداً من علماء وخطباء كربلاء وذهبنا إلى النجف الأشرف ، والتقينا بجمع من العلماء والخطباء ، ودعوناهم إلى توحيد الجهود لصدّ التيار الإلحادي ، وكانت النتائج كما أردناها .

---

حكمه إلى سنة ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م).

(١) تطرق الإمام المؤلف ﷺ إلى تفصيل ذلك في مذكراته «تلك الأيام»: ص١٤٨-٢٢٤ .

ومرةً ثانية ، أرسل والدي وفداً إلى النجف الأشرف ؛ لزيارة السيد الحكيم[1] وداعياً إياه لزيارة كربلاء المقدسة ؛ لأجل توحيد الجهود ، وتكتيل الطاقات في مواجهة السلطة ، ولإثارة الناس ضد الحكم وأعوانه ، وقد لبّى السيد الحكيم هذه الدعوة ، فجاء إلى كربلاء ، واستقبلناه استقبالاً جماهيرياً كبيراً ، وقدّم له والدي ﷺ مكانه في إمامة الناس في حرم الإمام الحسين عليه السلام .

وقمنا أيضاً بزيارة المسؤولين في بغداد لأجل نصيحتهم وإنذارهم بخطورة الشيوعيين وخطورة الأوضاع ، ابتداءً من عبد الكريم قاسم رئيس الوزراء آنذاك ونجيب الربيعي رئيس مجلس السيادة ، وانتهاءً بسائر الوزراء وذوي النفوذ أمثال أحمد صالح العبدي الحاكم العسكري العام ومحسن الرفيعي رئيس الاستخبارات وأحمد محمد يحيى وزير الداخلية

---

(١) آية الله العظمى السيد محسن الحكيم ، ولد في النجف الأشرف سنة ١٣٠٦هـ (١٨٨٩م) وتوفي في بغداد سنة ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م) ، تتلمذ عند الشيخ محمد كاظم الخراساني والشيخ ضياء الدين العراقي والشيخ محمد حسين النائيني والسيد محمد سعيد الحبوبي ، آلت إليه المرجعية بعد وفاة السيد أبي الحسن الأصفهاني والسيد البروجردي ، أصدر فتواه الشهيرة بتكفير الشيوعية والكشف عن صبغتها الإلحادية في السابع عشر من شهر شعبان سنة ١٣٧٩ هـ (أيار ١٩٦٠م) ، واعتبر أن الشيوعية كفر وإلحاد ونُشر البيان آنذاك في جريدة العراق. من مؤلفاته : حقائق الأصول ، المستمسك وهو شرح على العروة الوثقى يقع في اثني عشر مجلداً ، منهاج الصالحين ، شرح تشريح الأفلاك.

وفؤاد عارف وزير الدولة وغيرهم[1].

وقمنا أيضاً من أجل تكتيل الناس، وجمع طاقاتهم بإقامة مهرجان أمير المؤمنين الكبير في الثالث عشر من رجب، يوم مولد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وكان مهرجاناً خطابياً سياسياً إعلامياً، وكان يمثل صوت الشيعة المعبّر عن أحاسيسهم و أمانيهم، وكان يحضر المهرجان مسؤولون من بغداد، فيستمعون إلى الخطب والقصائد التي تشيد بمواقف العلماء، وتطالبهم بموقف صلب من أعداء الإسلام.

وقد استفدنا من هذه البرامج والمناسبات في لمّ شعث المتدينين، وتوحيد كلمة العلماء والخطباء ضد الأوضاع السيئة آنذاك، ممّا كان له أبعد الأثر، لا في ذاك اليوم بل حتى يومنا هذا، وفي المستقبل أيضاً، وهكذا أصبح للوحدة ورصّ الصفوف أعظم الأثر في حفظ البلاد من التيارات المعادية.

وقد نوّهتُ إلى ذلك: لأشير إلى حقيقة مهمة أن أسلوب مقابلة الغرب والشرق بادىء ذي بدء يكون برصّ الصفوف وتوحيد العاملين على الساحة الإسلامية.

---

(١) وقد تطرق الإمام المؤلف رحمه الله إلى تفاصيل بعض تلك الزيارات في مذكراته «تلك الأيام» الجزء الأول والجزء الثاني.

# العمل الفردي والجماعي

من الحقائق الثابتة في العمل أن ثمن التوحيد باهظ ، بينما ثمن التفرقة أكثر غلاءً ، فالإنسان إذا انخرط في وحدة ما ، وإن كانت مكوَّنة من عشرة أفراد مثلاً ، فإنه لو قام بتشكيل هذه الهيئة بنفسه ، فإنّها تأخذ من أعصابه وراحته ؛ نظراً للمضايقات التي يتلقاها من بعض الأفراد كما نشاهد في الهيئات والجمعيات والبرلمانات ومجالس الشيوخ وغير ذلك .

لكن لو انفرد الإنسان ، وأراد تفادي هذه المشاكل ، لابد وأن يقع في مشكلة التأخر ومشكلة غلبة الآخرين عليه ، وهاتان المشكلتان تأخذان أكثر من واقعه ، وسيادته ، وفكره ، وأعصابه ، وإنّ هذه حقيقة يجب أن يفهمها كل إنسان تقدمي ، وكل إنسان له هدف في هذه الحياة .

نعم ، من لا يفهم من الحياة إلاّ الأنانية والاستئثار ، لا يسير إلاّ وراء الغرور والشخصية الموهومة ، ولا يصل إلى تحقيق المفاهيم السامية بل المفاهيم الخاطئة .

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : **(لا وحشة أوحش من العجب)**[1] .

ذلك ؛ لأنّ العجب والغرور ، يجعلان الإنسان ، يعيش في أتعس حالة ، فهو وإن كان يعيش بين ألف إنسان إلاّ أنّه يبقى غريباً عنهم في واقعه المعيشي والاجتماعي .

فلو صلّيت صلاة الجماعة وصلّى خلفك مائة ألف إنسان ، ولو ارتقيت المنبر واستمع إليك عشرات الألوف ، ولو جاءت المليارات من الأموال واستطعت أن تعطي من هذه الأموال رواتب طلبة العلوم الدينية ورواتب للفقراء والمساكين .

لو استطعت أن تكوّن بساعدك الشخصي المدارس والمستشفيات ثم إنّك ألفت المئات من الكتب في شتى الموضوعات العلمية والفنية ولو . . ولو . . .

لو فعلت جميع ذلك ، عليك أن تعرف بعد ذلك أن عملك كله لم يخرج من كونه عملاً فردياً ، وخليقٌ به أن ينهار ؛ لأنّ كل عملٍ فردي مآله إلى الانهيار .

وبالعكس ، لو كوّنت هيئة للعلماء للنظر في شؤون الناس ، وللنظر في شؤون العلماء .

---

(١) من لا يحضره الفقيه : ج٤ ص٣٧٢ ب٢ ح٥٧٦٢ ، كشف الغمة : ج١ ص٣٨٤ ، غرر الحكم ودرر الكلم : ص٣٠٨ ح٧٠٨٨ ، بحار الأنوار : ج١ ص٨٨ ب١ ح١٣ وج٦٩ ص ٣١٥ ب١١٧ ح١٨ ط بيروت.

ولو كوّنت جماعة للخطباء لوضع برنامج متطور للخطابة .

ولو كوّنت جمعية ، لأي أمرٍ من الأمور الدينية والاجتماعية أو ما أشبه ذلك ، فعليك أن تطمئن أنك أنجزت عملاً اجتماعياً ليس بقاؤه ببقائك ، ولا ذهابه بذهابك .

لذا من الواجب على الإنسان أن يكون بعيد المدى ، عميق التفكير ، وأن يحمل مشاريعه على أكتاف المجتمع ، فإن ذلك سوف ينفعُه أولاً ؛ لأنه الضمانة على بقائها مهما تقلَّبت الظروف ، وينفعه ثانياً بتوفير الوقت له في أنْ يعمل مشاريع ومؤسسات أخرى حيث لا يقدر على مثلها .

مثلاً : إذا قام بمشروع لوحده ، فإنّ المشروع الواحد ، يأخذ كل وقته ولا يدع له مجالاً في تكوين مشاريع أخرى .

# اليهود والتنظيم

يُقال : إن في أمريكا ثلاثة ملايين من اليهود ، كما وأن في أمريكا ثلاثة ملايين من العرب[1] ، وكلنا يعلم أن يهود أمريكا ، قبضوا على زمام الاقتصاد والجامعات والإعلام في هذا البلد بالرغم من كره الأمريكيين لهم ، ومع أن نسبة العرب مساوية إلى نسبة اليهود إلاّ أن تأثير العرب في الحياة الأمريكية لا يعدّ شيئاً يُذكر ، فقد عجزوا عن الدفاع عن عدالة قضيتهم في فلسطين ؛ والسبب في ذلك أن يهود أمريكا منظّمون ويعملون في نطاق مؤسسات قوية تبلغ في تعدادها ثلاث عشرة منظمة ، وتشكّل هذه المنظمات مجموعة واحدة تسيطر على الاقتصاد والإعلام . بينما يعيش العرب مبعثرين ومشتّتين لا يجمعهم جامع .

من هنا ، كان اتحاد اليهود سبباً في تقدمهم وازدهارهم وسيطرتهم .

بينما تحوّل تفرق العرب إلى عامل للضعف والعجز والشعور بالمهانة .

---

(١) هذا وفق الإحصاءات السابقة ، ووفق إحصاء سنة ١٩٩٧م ، بلغ عدد المسلمين في إمريكا أكثر من اثني عشر مليوناً وعدد مساجدهم ١٥٠٠ مسجد و٢٥٠ مدرسة.

والغريب حقاً أن يتفرّق المسلمون أشتاتاً وفي ثقافتهم الإسلامية تركيز على الاتحاد والتعاون ، وقد قال ﷻ في كتابه الكريم : ﴿**تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾[1] ، والأعجب من ذلك أن الأعداء الذين لا يجمعهم جامع إلاّ المال والمصلحة ، قد اتحدوا ووحّدوا صفوفهم ، وقد وصفهم الله تبارك وتعالى بقوله : ﴿**تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى**﴾[2] ؛ لأنهم يندفعون بدوافع المصلحة التي تُلغي ولو مؤقتاً جميع الخلافات وعوامل الفُرقة .

أرجو من الله سبحانه التوفيق ، وأن نكون أهلاً لإقامة الوحدة الإسلامية ، وأملنا كبير بذلك ؛ لأن الوقت لم يفت بعد ، وقد جاء في المثل : «السمكة كلّما أخذتها من الماء كانت طازجة» .

---

(١) سورة المائدة : الآية ٢ .

(٢) سورة الحشر : الآية ١٤ .

# الحفاظ على الأمثولة

عاصر المرحوم السيد أبو الحسن الأصفهاني ﷺ فترة الهجوم الاستعماري على الدين بكل مظاهره ، فكانت السلطات العميلة تهاجم رجال الدين المخلصين ، وتنزع عمائمهم بالقوة ، وعندما لم تفلح سياسة القوة في تحطيم الحوزات العلمية ، قام الاستعمار بإعداد جمع من رجال الدين المزيفين ، الذين كانوا يفعلون كل منكر أمام مرأى ومسمع من الناس ، فلم يتركوا رذيلة إلاّ وارتكبوها ؛ ليشكك الناس برجال الدين ، وينحرفوا عنهم .

وقد أدرك السيد أبو الحسن الأصفهاني ﷺ خطورة هذه السياسة ، وكان على قدرٍ كبيرٍ من الذكاء والفطنة ، فاختار أُسلوباً فريداً في مقاومة تلك السياسة الغربية ؛ إذ أخذ يُشجّع الناس على ارتداء العمائم ، وكان يضع العمامة بنفسه على رؤوس الأشخاص اللائقين والذين يتحمسون لطلب العلم ، حتّى ازداد أصحاب العمائم عشرات الأضعاف .

قال لي الخطيب سلطان الواعظين ﵀[1] : «لقد ازدادت الانتقادات الموجهة نحو السيد نتيجة سياسته تلك ، فذهبتُ إليه وقلتُ له : إنَّ الناس ينتقدون عملكم هذا ، ألا ترون أن بعض من ارتدى العمامة على أيديكم لا يستحقها؟ أليس من الأفضل الكف عن هذا العمل؟

تبسّم السيد ، وقال : ما أشبه كلامك هذا بكلام أصحاب رسول الله ﷺ ، الذين جاؤوا إليه يستنكرون عليه وجود بعض المسلمين غير اللائقين! فهل كفَّ الرسول الأكرم عن قبول إسلام من جاء يُريد الإسلام؟!

ثم واصل السيد الأصفهاني : إنّنا أصبحنا في زمن يجب علينا أن نستمر في هذا العمل ، لتلافي بعض النقص الذي أوجده الاستعمار في صفوف

---

(١) السيد محمد بن علي أكبر بن قاسم بن حسن الموسوي الشيرازي المشهور بـ«سلطان الواعظين» ، عالم قدير وباحث متميز وخطيب بارع ، ولد في ٧ ذي القعدة من سنة ١٣١٤هـ (١٨٩٧م) في مدينة طهران ، توفي في ٢٠ شعبان من سنة ١٣٩١هـ (١١/١٠/١٩٧١م) ، هاجر إلى كربلاء المقدسة سنة ١٣٢٦هـ فدرس عند السيد علي الشهرستاني والشيخ غلام حسين المولوي والشيخ موسى الكرمانشاهي ثم أكمل دراسته في مدينة قم المقدسة عند الشيخ عبدالكريم الحائري ، له مساعٍ حميدة في الحوار الفكري لإثبات الحق ونشر عقائد أهل البيت ﵈ ، منها : حواره مع البراهمة وعلماء الهندوس في مدينة دلهي وبحضور الزعيم غاندي ، وكان يتنقل بين البلدان الإسلامية لنشر مذهب أهل البيت ﵈ ، من مؤلفاته : ليالي بيشاور ، الفرقة الناجية ، مائة مقالة سلطانية.

أهل العلم ، فإذا مضى الاستعمار في تنفيذ مآربه ، وتمكن من تشويه سمعة علماء الدين ، فإنّه لا يسقط أهل العمائم وحسب ، بل سيكون سبباً لإسقاط لواء الإسلام ، فهل نرضى بهذه النتيجة؟! . وأنت تذكر بعض الذين ظهروا غير لائقين ، فلماذا لا تذكر الذين ظهروا لائقين ، وسدّوا فراغاً في الدين ، أما ترى البُستاني وهو يعطي الماء للأشجار فترتوي منه الزهور والأشواك معاً ، ولما لم تكن لرسول الله ﷺ سلطة على إبقاء الناس هداة مهديين لدين الله سبحانه ، حيث ورد في القرآن الكريم : ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾[1] .

فهل لي أنا سلطة الهداية؟ .

ثم واصل السيد قائلاً ـ على سبيل اللطيفة ـ : إنك سلطان الواعظين ، فإذا ذهب الواعظون فهل يبقى لك سلطان؟ كلا ، وإني سلطان أهل العلم ، فإذا ذهب أهل العلم فهل تبقى سلطتي؟! .

**أقول :** وكان السيد الأصفهاني ﭬ بهذا الموقف ينظر بعيداً جداً ، ولذا قاوم الاستعمار بهذا الأسلوب ، كما وضع أشخاصاً واعين على رأس الأمور ، كالسيد هبة الدين الشهرستاني ؛ الذي كان يرأس مجلة العلم ، والشيخ محمد رضا المظفر[2] ؛ الذي فتح المنتدى ، والشيخ

---

(١) سورة الغاشية : الآيتان ٢١ ـ ٢٢ .

(٢) الشيخ محمد رضا محمد عبد الله المظفر : ولد في النجف الأشرف سنة ١٣٢٢هـ

محمد جواد البلاغي[1] ، الذي كان يجاهد الأفكار الهدّامة ، والشيخ

---

(١٩٠٤م) ، وتوفي في رمضان من سنة ١٣٨٣هـ (كانون الثاني ١٩٦٤م) ، تتلمذ عند الشيخ ضياء الدين العراقي ، والشيخ النائيني ، والشيخ محمد حسين الأصفهاني ، والسيد عبدالهادي الشيرازي ، أسّس جمعية النشر والتأليف ، وجمعية منتدى النشر سنة ١٣٥٤هـ ، وكلية الفقه سنة ١٣٧٦هـ (١٩٥٦م) والتي أجيزت سنة ١٣٧٨هـ (١٩٥٨م) والتي حولها صدام التكريتي إلى فندق باسم فندق قبا . وآزر السيد الشيرازي في تأسيس جماعة العلماء سنة ١٣٧٨هـ (١٩٥٨م) ، التي أخذت على عاتقها مقاومة المد الشيوعي. من مؤلفاته : أحلام اليقظة ، السقيفة ، فلسفة ابن سينا ، منطق المظفر ، أصول المظفر ، عقائد الإمامية.

(١) الشيخ محمد جواد بن حسن بن طالب بن عباس بن إبراهيم البلاغي ، عالم فاضل وأديب شاعر ، يعود نسبه إلى قبيلة ربيعة ، ولد سنة ١٢٨٢هـ (١٨٦٥م) على ما اختاره الشيخ أغا بزرك الطهراني في نقباء البشر ، وقيل : ١٢٨٥هـ (١٨٦٨م) على ما اختاره محسن الأمين في أعيان الشيعة ، توفي في شعبان من سنة ١٣٥٢هـ (١٩٣٣م) بعد مرض ابتلي به يسمّى بذات الجنب ، يعد من تلامذة الشيخ رضا الهمداني والشيخ محمد طه نجف والشيخ محمد كاظم الخراساني والشيخ محمد تقي الشيرازي والشيخ محمد الهندي والشيخ محمد حسن الأفغاني ، شارك في ثورة العشرين ضد الاستعمار الإنجليزي ، وقاد معركة فكرية ضد التحديات الصليبية واليهودية والطوائف المنحرفة وضد الإلحاد والكفر ، ودافع عن العقيدة الإسلامية النقية بشكل جدي ومتواصل ، تتلمذ عنده السيد محمد هادي الميلاني والسيد الخوئي والسيد المرعشي والسيد صادق بحر العلوم ، بلغت مؤلفاته ٣٨ مؤلفاً ؛ أبرزها : الهدى إلى دين المصطفى ، الرحلة المدرسية ، في الرد على التبشير ، آلاء الرحمن في تفسير القرآن ، نصائح الهدى ، رسالة إلى من كان مسلماً فصار بابياً ، رسالة في رد الوهابية ، التوحيد والتثليث ، أعاجيب الأكاذيب ، أنوار الهدى ، إبطال فتوى الوهابيين. ترجمه أعيان الشيعة : ج٤ ص٢٥٥ .

الأميني[1] ، الذي بحث في نظرية الإمامة عند الشيعة من خلال موسوعة الغدير . والشيخ أغا بزرك الطهراني[2] ، الذي أردف الحوزة العلمية

---

(١) الشيخ عبد الحسين بن أحمد الأميني ، أديب ومؤرخ وفقيه ، ولد في إيران سنة ١٣٢٠هـ وتوفي سنة ١٣٩٠هـ ، هاجر إلى النجف الأشرف ودرس عند السيد محمد الفيروز آبادي والسيد أبو تراب الخونساري والميرزا علي الشيرازي ، أسس في النجف الأشرف مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام سنة ١٢٧٣هـ (١٩٥٣م) وكانت تحتوي منذ بدء تأسيسها على خمسة عشر ألف كتاب ثم توسعت حتى بلغت لأكثر من نصف مليون كتاب ، وقد ضيق النظام البعثي في العراق الخناق على متولّيها . من مؤلفاته : الغدير ، شهداء الفضيلة ، رياض الأنس ، سيرتنا وسنتنا ، ترجمه أعيان الشيعة في مستدركه ج١ ص٨٢.

(٢) الشيخ محمد محسن الطهراني الملقب بـ«أغا بزرك» أي السيد الكبير ؛ وهذا اللقب يمنح في المجتمع الإيراني لكبير العائلة ، ولد في طهران سنة ١٢٩٣هـ (١٨٧٦م) وتوفي في ذي الحجة من سنة ١٣٨٩هـ (شباط ١٩٧٠م) ؛ إثر مرض عضال ، انتقل إلى النجف الأشرف لتحصيل العلوم الدينية سنة ١٣١٥هـ (١٨٩٧م) وتتلمذ عند الميرزا حسين النوري والسيد مرتضى الكشميري والشيخ محمد طه نجف والميرزا حسين الملكي والشيخ كاظم الخراساني والسيد كاظم اليزدي وشيخ الشريعة الأصفهاني والشيخ محمد تقي الشيرازي ودرس عند الأخير قرابة خمس وعشرين سنة ، اشترك في ثورة العشرين ضد الاستعمار الإنجليزي ، ألف أكثر من مائتين وخمسين كتاباً ومخطوطاً ؛ منها : الذريعة إلى تصانيف الشيعة ـ ثلاثين مجلداً يتناول فيه فهرست ما ألّفه علماء الشيعة طوال أربعة عشر قرناً ـ ، طبقات أعلام الشيعة ـ ويتألف من أحد عشر مجلداً ـ ، مصفى المقال في مصنفي علم الرجال ـ يتناول فيه تراجم لخمسمائة من رجال الشيعة الذين ألّفوا في علم الرجال ـ ، توضيح الرشاد في تاريخ حصر الاجتهاد ، النقد اللطيف في نفي التحريف ، نقباء البشر في القرن الرابع عشر ـ ويحتوي على أربعة مجلدات ـ ، الكواكب المنتشرة في

بأبحاث أساسية في الرجال والمصنفات . فهؤلاء بأجمعهم كانوا يشكلون مجموعة عمل قوية ، كانت تتولى تحريك المرجعية الدينية في زمن كثرت فيه التحديات .

---

القرن الثاني بعد العشرة ، ظلال الخصب في عوالي النسب ، ضياء المغازات في طريق مشايخ الإجازات.

# القمّي وجمعه للعلماء

لقد أفسد الاستعمار بلاد إيران ، ونشر المنكرات ، وقيّد الحريات ، وصادر الأموال ، وعمّ الفساد في أرجاء البلاد ، مما حدا بالسيد حسين القمي[1] ﷺ أن يقوم بنهضة في إيران ، وقد اتّخذت الحكومة أسلوب

---

(١) السيد حسين بن محمود بن محمد بن علي الطباطبائي القميّ ، ولد في مدينة قم المقدسة سنة ١٢٨٢هـ ودرس فيها المقدمات وكذلك درس في طهران ثم انتقل إلى النجف الأشرف سنة ١٣١١هـ لحضور درس الشيخ حبيب الله الرشتي والشيخ النهاوندي والشيخ محمد كاظم الخراساني والسيد محمد كاظم اليزدي ، ثم هاجر إلى سامراء سنة ١٣٢١هـ لحضور درس الشيخ محمد تقي الشيرازي وبقي هناك عشر سنوات. وفي سنة ١٣٣١هـ انتقل إلى مشهد الرضا عليه السلام وبدأ بالبحث والتدريس. من مواقفه السياسية : تصدى لرضا شاه ـ البهلوي ـ سنة ١٣٥٤هـ الذي أهان العلماء ونشر الخمور وأجبر النساء على التبرج والسفور ومنع إقامة الشعائر الدينية. رُشّح للزعامة الدينية بعد وفاة السيد أبو الحسن الأصفهاني ، ورجع الناس إليه في التقليد ونُشرت رسالته العملية في أرجاء إيران ثم هاجر إلى كربلاء المقدسة ، وزادت وجاهته وعظم شأنه ثم هاجر إلى النجف الأشرف وتوفي بعد عدّة شهور في بغداد وذلك في ١٤ ربيع الأول سنة ١٣٦٦هـ عن عمر يناهز الرابعة والثمانين سنة. من مؤلفاته : مجمع المسائل ، الذخيرة الباقية في العبادات

التهجير للتخلّص منه ، فسُفّر من إيران إلى العراق واستقر في مدينة كربلاء المقدّسة ، فقام بتجديد الحوزة العلمية في كربلاء ، بعد أن آلت إلى الاندراس ، فجمع السيد القمي حوله فريقاً من العلماء الواعين العاملين ، الذين كانوا يُساعدونه في الأمور العلمية والدينية .

وبعد زوال الاستعمار العسكري من إيران في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، رأى السيد أن يذهب إلى بلده ؛ ليطالب السلطات بإرجاع الأمور إلى نصابها ، فذهب يرافقه المرحوم والدي ﷺ ومعهم مجموعة من العلماء إلى إيران وبقي في طهران فترة من الزمن ، مصراً على السلطات هناك بإرجاع الأمور إلى نصابها ، وقد وفّقه الله سبحانه وتعالى لإنجاز ما أراد ، وإلى اليوم ينعم الإيرانيون بنتائج الأعمال الجبارة التي قام بها في إيران .

ولعل أهم عمل قام به السيد القمي ﷺ توحيد كلمة العلماء للمطالبة بالحقوق الإسلامية ، ورصُّ الصفوف مما أفزع السلطات التي تيقنت أنّها إنْ لم تمنح العلماء تلك الحقوق فالثورة في طريقها لقلع قصورهم وقلاعهم .

---

والمعاملات ، مختصر الأحكام ، طريق النجاة ، منتخب الأحكام ، مناسك الحج ، هداية الأنام. ترجمه نقباء البشر: ج٢ ص٦٥٣.

## فاتّعظوا يا أولي الألباب

لأجل إعطاء نموذج عن تضامن العلماء ؛ نذكر هذه القضية التاريخية :

كان للسيد حسين البروجردي[1] مجموعة كبيرة من المسلحين ، من عشائر (الألوار) وهي تعدُّ بمئات الألوف . وكانت هذه العشيرة رهن إشارة السيد البروجردي . وعندما قام السيد حسين القمي بإعلان مطالبه ، وضع السيد البروجردي هذه العشيرة المسلّحة تحت تصرف القمّي ، وكان لهذا القرار أثرٌ في تراجع السلطات ، وإسراعها في منح العلماء الحقوق التي كانوا يطالبون بها .

وقف أيضاً إلى جانب السيد القمّي بقية العلماء الأعلام ، كل ذلك نتيجة لجهوده التي أثمرت في توحيد كلمة العلماء ، واستثمار هذه الوحدة

---

(١) السيد حسين بن علي بن أحمد بن علي نقي الطباطبائي البروجردي ، ولد في بروجرد سنة ١٢٩٢هـ ، وينتهي نسبه إلى الإمام الحسن عليه السلام ، توفي سنة ١٣٨٠هـ في مدينة قم المقدسة ودفن في الجامع الذي بناه في حياته إلى جانب مرقد السيدة معصومة عليها السلام . هاجر إلى النجف الأشرف سنة ١٣٢٠هـ وتتلمذ عند الشيخ محمد كاظم الخراساني ، آلت إليه المرجعية بعد وفاة السيد أبو الحسن الأصفهاني سنة ١٣٦٥هـ. قاوم الظلم والطغيان في إيران أيام رضا بهلوي وكذلك قاوم المد الشيوعي. ترك تراثاً فكرياً قوامه خمسون كتاباً ورسالة ؛ منها : تجريد أسانيد الكافي ، حاشية على كفاية الأصول ، حاشية على العروة الوثقى ، بيوت الشيعة ، إصلاح واستدراك رجال الطوسي ، جامع أحاديث الشيعة ، دار السلام في فروع الإسلام وأحكامه.

في المطالبة بالحقوق المشروعة .

لذا يجب على العلماء مهما كانت ظروفهم الشخصية ، وكيفما كانت آراؤهم الفردية أن يوحّدوا صفوفهم لتقديم الإسلام ولصد التيارات التي تهبّ من بلاد الكفر والملحدين ، ولإزالة المنكرات التي تتفشى في المجتمع بين آونة وأُخرى . ولقد قال ﷻ : ﴿**وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ**﴾[1] ، فيوم للدين ولأهل الدين ، ويوم يتغلب فيه الباطل ، ولكن الكلمة الأخيرة ستكون حتماً للدين وأصحابه .

**للمتقين من الدنيا عواقبها**

**وإن تعجَّل فيها الظالم الأثم**

(١) سورة آل عمران : الآية ١٤٠.

# ذكريات سفير

قبل أعوام قرأت كتاباً لأحد سفراء ألمانيا وكان ممثلاً لبلاده في إيران ، يذكر في هذا الكتاب ذكرياته عن إيران ، ولا أتذكر هل تُرجم الكتاب إلى العربية أم أن الكتاب كتبه باللغة العربية؟ .

يقول السفير تحت عنوان «الملاّ والبازار» أي العالم الديني والسوق ، ما ملخصه :

«إنّ الإيرانيين يقلّدون ويتّبعون مرجعاً لهم وهو يمثل نبيَّهم ، وهذا المرجع أمره نافذ فيهم ، فعلى كل مسلم أنْ يطيع المرجع إذا أراد الآخرة ، ومجتمعهم متماسك بحيث إنَّ أي إنسان لا يجرؤ أنْ يخالف المرجع ، لا خوفاً من الآخرة فحسب ، بل خوفاً من الناس المسلمين أيضاً ، إذ يعدّ المخالف للمرجع خارجاً عن الدين ، وعندهم أنّ الخارج عن الدين ، لا يحلّ لهم أن يؤاكلوه أو يتعاملوا معه ، ولا حتى يزوّجوه ويعاشروه ، هذا حال «الملاّ» وهناك في طهران مكان يسمى «البازار» وفي البازار أعاظم التجّار ، وعلى أكتافهم تدور رحى الاقتصاد والتجارة ، وكل الكسبة متصلون بهؤلاء التجّار الكبار ويحترمونهم احتراماً بالغاً» .

وبعد وصف كامل لهم ، يستطرد قائلاً :

«فإذا أرادت الدولة أنْ تسنّ قانوناً ـ القانون الوضعي ـ اطّلع «الملاّ» على ما تنويه الدولة فيوعز إلى البازار بإغلاق المحلات احتجاجاً على القانون وإضراباً سلمياً عن العمل ، وإذا تعطّل البازار تعطلت طهران كلها وتوقفت الحياة التجارية والاقتصادية . وساد الهرج والمرج والفوضى في كل البلد ؛ مما تضطر الدولة على الانسحاب من القرار» .

ثم واصل قائلاً : «ولذا فإن أردنا أن نحصل على النفوذ في هذا البلد ، فيجب علينا أن نتخذ خطوتين :

١ ـ أن نسقّط «الملاّ» ، بأنْ نزيل مكانته من القلوب بمختلف الوسائل حتى لا يكون أمره واجب الطاعة عند الناس .

٢ ـ أن نُسقط «البازار» ، بأنْ نفرّق التجار ، ولا نجعل لهم مجمعاً واحداً حتى إذا فرض أن جماعة من التجار أطاعوا «الملاّ» كانت هناك أسواق ومحلات أُخرى فتكافح مفعول «البازار» فلا يؤثر فينا إضراب «البازار» على الاقتصاد والتجارة ، وبالنتيجة تتمكن الدولة أنْ تمرّر قانونها بدون الاصطدام بالملاّ والبازار» .

**أقول :** وهذا ما فعلوه في إيران وغير إيران من سائر البلاد الإسلامية ، فقد أضعفوا سُلطة الدين وشتتوا جمع المسلمين ثم مرّروا قوانينهم بسلام ، وبلا أية معارضة أو بمعارضة ضعيفة لا تُسمن ولا تُغني من جوع ، ولنحاسب ، ثم نفكر في العلاج؟ .

ألـيس في كـل بـلاد الغـرب توجـد نقابـات وأحـزاب ، فـإذا أرادت الحكومـات تمريـر قوانـين ضـارة بالـبلد ، يوعـز رؤسـاء تلـك الأحـزاب والـنقابات إلى أفـرادها وأجهـزتها الإعلامـية ونحوهـا بالإضـراب ، فيشـلّ المجتمع وتعمّ فيه الفوضى ، وأخيراً تجبر الحكومة على الانسحاب؟ .

أ لـيس عـلماء المسـلمين هـم في طلـيعة المخلصـين للوطـن الإسـلامي ويضحّون في سبيل مصالح المسلمين؟

أما العلاج ، فليس المهم «البازار» بذاته بل سيطرة العالِم على المجتمع ، بحيث إنَّه متى شاء تمكن من شلِّ الاجتماع ، ليكون ذلك سيفاً بيده ضد القوانين التي تضر الدنيا أو الدين . وكل ضرر على أحدهما ضررٌ على الآخر ، فضرر الدنيا ضررٌ للدين ، لأنّ (**من لا معاش له لا معاد له**) ، وضـرر الديـن هـو ضـرر الدنـيا ، لأنّ الديـن وُضـع لمصـلحة الإنسـان ، والمجتمع في يومٍ ما كـان منظماً تلقائياً بحيث إنَّ أمراً واحداً من العالِم كان يحرك المجتمع تحريكاً يجعله ينفذ ما يُريد .

أما اليوم فلا يتحرك المجتمع حتى بألف أمرٍ ؛ لضعف الوازع الديني عند الناس ولتشتت المجتمع وانقسامه إلى تيارات وجبهات ، فعلى المتدينين أنْ يقوموا بالمهمة المزدوجة :

أولاً : يهتموا بكل الوسائل والسُبل بزرع الإيمان في النفوس حتى يُخرج ثماره في إقبال النفوس على طاعة العلماء .

ثانياً : ينظموا المجتمع تنظيماً إسلامياً حتى يُعطي ثماراً في العمل على

الساحة السياسية ، وكلا الأمرين ممكن في البلاد الحرة ، أما البلاد التي ترزح تحت نير الديكتاتورية ، فكلا الأمرين صعبٌ وبحاجة إلى التضحية ، لكن ليس بمستحيل ، فمهما كان الجو خانقاً فالإنسان يتمكن من أن يتنفس ولو بصعوبة ، وحيث إنَّ الوسائل والسبل في العالَم اختلفت ، فزرع الإيمان بحاجة إلى وسائل حديثة وأساليب جديدة ، كما وأنّ التنظيم بحاجة إلى ألف مقوّم ومقوّم ، فليس مجرد أنْ دُعي الناس إلى شيء أجابوا ، مهما كانوا مؤمنين ؛ وإن كان الداعي من أبرع الأشخاص وأكثرهم علماً وفضلاً .

# انهيار القوّة

لقد كان غريباً حقاً انهيار الجبهة الدينية ، وتشتت كلمة العلماء في العراق ، فبمجرد قيام انقلاب ١٤ تموز سنة ١٩٥٨م ، رمى الجميع اللّوم على العلماء وأخذوا يتسآءلون لماذا لم يقفوا؟ ولماذا لم يتصدوا؟ ولماذا؟ .

لكن النظر العميق في التأريخ الإسلامي يهوّن الخطب ، أما انهارت الجبهة الإسلامية بعد الرسول صلى الله عليه وآله وارتد الناس إلاّ القلة؟

وهل يُشك في بناء الرسول صلى الله عليه وآله ؟

أما انهارت جبهة المسلمين بعد استشهاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وصفا الجو لمعاوية ، بعد ما قاومت جبهة الإمام وخاضت الحروب؟ .

أما انهارت جبهة الكوفة أيام الإمام الحسين عليه السلام بمجرد أن جاء إليهم الإمام بعد تلك الرسائل والمكاتيب؟ .

إنّ كلَّ ذلك معللٌ بعلة واحدة في الجميع هي انهيار القوة ، فانهارت الجبهة ، والقوة كانت متمثلة بالنبي والوصي ، وبموتهما انهارت القوة فانهارت الجبهة والقوة التي كانت متمثلة في عشائر الكوفة ، وبتدخل الشام انهارت قوة الكوفة ، لأن الشام كانت أقوى ، ولذا انهارت جبهة

الإمـام الحسـين عليه السلام ، وكـذا حـدث الشـيء نفسـه في العـراق ، فقـوة الديـن كانـت تكمـن في عشـائر العـراق الذيـن كـانوا يملكـون السـلاح ، فـإذا أرادت الحكومـة شـيئاً خـلاف الديـن ، الـتجأ العـلماء إلى العشـائر ، وتدخّـل السـلاح في المعـركة إلى جانـب العـلماء ، ولـذا كانـت الحكومـة تخشـاهم لا لأنفسـهم ، ولا لأنّ الحكومـة كانـت متديـنة ، بـل لأنّ عـالم الديـن كـان مـزوداً بالسـلاح ، ومـن قـرأ تـاريخ العراق الملكي ، رأى كيف وكـم مـرة تدخلـت القـوة العشائرية لنصرة كلمة العلماء ، مما دفع بالسلطة إلى التراجُع .

# سياسة قاسم

أمّا عبد الكريم قاسم فقد ضرب العلماء بإشارة من الانجليز ، بغية عزل العلماء عن المجتمع العراقي وفسح المجال أمام الشيوعيين الروس . وليستطيعوا في غياب العلماء تمرير قوانين جديدة ضد العراق وشعبه ، وليتمكنوا من إخراج الأمريكان من البلاد .

وكانت أول خطوة قام بها عبد الكريم قاسم ، هو تجريد العشائر من السلاح تحت ذريعة المؤامرة . . والعشائر هي ذراع المرجعية في كل زمان .

ثم فصل بين رؤساء العشائر وأتباعهم من الفلاحين تحت ذريعة الإقطاع وتحت ذريعة الإصلاح الزراعي . ونحن نعرف أنّ الإصلاح الزراعي تحوّل إلى إفساد زراعي .

ثم ضرب أصحاب رؤوس الأموال الشيعية ، الذين كانوا يموّلون المرجعية تحت ذريعة التلاعب بالأسواق .

وبتجريد العلماء من قوة العشائر ومن قوة المال ، أصبحوا بلا حول ولا قوة ، فانهارت الجبهة الدينية بسهولة كما هي القاعدة : ﴿**فَلَن تَجِدَ**

لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً ﴾[1] .

ومما هو جدير بالذكر ، أن الدكتور عبد الصاحب علوان ، وهو وزير في الحكم القاسمي ، كتب كتاباً حول الإصلاح الزراعي يراه أمراً حسناً ، وألّف الأخ السيد الصادق[2] كتاباً في الإصلاح الزراعي الإسلامي ، سمّاه «الإصلاح الزراعي في الإسلام» ؛ بيّن فيه خطوط الإصلاح الزراعي الإسلامي ، وقارن بينه وبين الإصلاح الزراعي السائد في العراق ، وفي

---

(١) سورة فاطر : الآية ٤٣ .

(٢) السيد صادق بن مهدي الحسيني الشيرازي ، من الأعلام المعاصرين والفقهاء المتميزين ، ولد في كربلاء في العشرين من ذي الحجة سنة ١٣٦٠هـ وتربّى في بيت ملؤه العلم والمعرفة ، وترعرع في أحضان أبوين صالحين فاغترف من معينهما الحب والحنان والأدب ومكارم الأخلاق ، واشتهر في الأوساط العلمية بالفقاهة والتحقيق والتدقيق والذوق الرفيع وقوة الاستدلال والزهد والورع والتقوى ، تتلمذ عند والده السيد مهدي الشيرازي وأخيه السيد محمد الشيرازي والسيد محمد هادي الميلاني والشيخ محمد رضا الأصفهاني والشيخ يوسف الخراساني ، آلت إليه المرجعية بعد وفاة أخيه السيد محمد الشيرازي في الثاني من شوال من سنة ١٤٢٢هـ ، ولا زال يمارس نشاطه الإسلامي ، بلغت مؤلفاته خمسةً وثمانين كتاباً وكراساً لمختلف المستويات ، طبع منها : بيان الأصول ــ قاعدة لاضرر والاستصحاب ـ ، الموسوعة القرآنية : ـ علي في القرآن ، فاطمة في القرآن ، المهدي في القرآن ، الشيعة في القرآن ، أهل البيت في القرآن ـ ، ومجموعة كتب شرحية : كشرح العروة الوثقى . بحث الاجتهاد والتقليد . وشرح السيوطي ، وشرح تبصرة المتعلمين ، وتوضيح شرائع الإسلام ، ومجموعة كتب تتضمن مواضيع أخرى ، منها : السياسة من واقع الإسلام ، القياس في الشريعة الإسلامية ، الطريق إلى البنك الإسلامي ، العقوبات في الإسلام ، مساوئ السفور.

غير العراق مقارنة عقلائية ، مما أظهر لكل باحث أنْ لا نسبة بين الأمرين ، وأن الإصلاح الزراعي الإسلامي ليس هو الأفضل وحسب ، وإنما الإصلاح الزراعي السائد في البلاد اليوم ضارٌ بالزراعة ، وهو الذي جلب الويلات للفلاح والأرض مما أدى إلى نزوح الفلاحين من الريف وتركهم لأراضيهم.

وقد منعت الرقابة على المطبوعات طباعة هذا الكتاب ، ثم بعد ذلك أجازت طباعته وقامت بعد انتشاره بشراء كمية كبيرة منه ؛ لئلا يقع بيد الناس. وقد وصل كتاب الأخ إلى يد الدكتور الوزير فيما بعد ، عن طريق أحد العلماء الذي يعتبر صديقاً للطرفين.

لما رأى الدكتور كتاب السيد صادق ، تعجب كثيراً ، عن جرأة السيد صادق في الرد عليه وهو وزير ، لكنه وبحكم موضوعيته كدكتور ، كان عليه أنْ يرد على آراء السيد صادق ، وهذا الذي وعد به ، وبعد مدة سأله العالم الذي يكن له صداقة قوية ، وقال في زيارته : هل كتبت رداً على كتاب السيد صادق ، ضحك وقال : أنا مأمور بتنفيذ هذه الخطة ، وليس لنا حق في اختيار إصلاح زراعي آخر ، وكان هذا هو جوابه لصديقه!

وتكرر نفس الموضوع معي عند لقائي بالدكتور عبد الرحمن البزاز[1] ، رئيس الوزراء في عهد عبد الرحمن

---

(١) عبد الرحمن البزّاز ، ولد سنة ١٣٣٢هـ (١٩١٣م) في منطقة الرمادي وتخرّج من كليّة الحقوق سنة ١٣٤٩هـ (١٩٣٤م) ثمّ قضى أربع سنوات في إنجلترا لدراسة

عارف[1].

فقد جاء إلى كربلاء وزارني في مقبرة المرحوم الوالد ﷺ ، وكان برفقته جمع كبير من الساسة والوزراء والضباط .

كما كان برفقتي جمعٌ من العلماء والخطباء .

قلتُ له فيما قلتُ : إنّ «قانون العقوبات البغدادي»[2] قانون ، وضعهُ

---

القانون في كليّة الملك بجامعة لندن وعاد إلى العراق سنة ١٣٤٩هـ (١٩٣٤م) ، ناصرَ رشيد عالي الكيلاني بانقلابه سنة ١٣٦٠هـ (١٩٤١م) وسجن حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، وبعد الحرب عمل في وزارة العدل ، ثمّ أصبح عميداً لكليّة الحقوق سنة ١٣٧٤هـ (١٩٥٦م) وعمل في القضاء في محكمة التمييز. في بداية انقلاب عارف عيّن سفيراً للعراق في القاهرة ثمّ لندن وجنيف وعمل بالمحاماة ثمّ تولّى منصب نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية والنفط في وزارة طاهر يحيى الثانية ثمّ رئاسة الوزراء ووزارة الخارجية سنة ١٣٨٣هـ (١٩٦٤م) ولدورتين في عهد الأخوين عبد السلام وعبد الرحمن عارف ، اعتقل بعد انقلاب البعثيين سنة ١٣٨٨هـ (١٩٦٨م) وعُذّب ولم يطلق سراحه إلاّ بعد أن شُلّ جسده وفقد النُطق فسافر إلى لندن ومات هناك. ترك سبعة مؤلفات ، منها : «العراق من الاحتلال حتى الاستقلال» «صفحات من الأمس القريب» «الإسلام والقومية العربية».

(١) عبد الرحمن عارف العاني: ولد سنة ١٣٣٤هـ (١٩١٦م) ، أصبح رئيساً للعراق سنة ١٣٨٥هـ (١٩٦٦م) ، بعد مقتل أخيه عبد السلام ، نحي عن السلطة سنة ١٣٨٨هـ (١٩٦٨م) ؛ إثر انقلاب دبّره أحمد حسن البكر ، ونفي إلى تركيا.

(٢) قانون خليط من قانون العقوبات الفرنسي الذي عمل به العثمانيون في العراق وقانون العقوبات المصري الذي أضافه الإنجليز له والذي هو بدوره مأخوذ من القانون الفرنسي ، ألزمه الإنجليز على العراق سنة ١٣٣٧هـ (١٩١٨م) عندما احتلوه. وهذا القانون اصطدم مع الروح الدينية والمشاعر الشعبية للعراقيين أدخلت

قائد الحملة البريطانية ، والعراق اليوم مستقل ، وعليه أنْ يرمي من على كاهله كل ما يمتُّ بالاستعمار بصلة ، فلماذا هذا القانون ساري المفعول ، مع العلم أنه طُبع في أوله : أنّ القانون من وضع قائد الحملة؟

وأضفت : هذا القانون فيه سيئات لا يوجد مثلها في القانون الإسلامي .

أليس من الأفضل والحال هذه أن يُغيّر هذا القانون إلى قانون إسلامي في باب العقوبات؟!

ضحك عبد الرحمن البزاز ، وألمع إلى أننا مجبورون على تنفيذ هذا القانون ، وإن لم يصرّح بهذا اللفظ تخوفاً ممن كان معه[1] .

## من نتائج الفرقة

إنّ الفرقة التي أحدثها عبد الكريم قاسم بين العلماء والعشائر ، وبين ملاّك الأراضي والمزارعين ، أوقعت العراق في مآسٍ ومهالك كبيرة . ولم يزد في العراق شيء ولم ينقص ، إلاّ أنّ الإنجليز أرادوا استبدال عملائهم ، خوفاً من انتشار النفود الأمريكي ، وكان الضحية لهذه

---

عليه بعض التعديلات الطفيفة ، كان آخرها سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) للتفصيل عنه راجع كتاب «مذكرات المس بيل» : ص٧٦ ـ ٧٩ ، ترجمة جعفر الخياط.

(١) وقد فصّل الإمام المؤلف ﷺ مجريات الحوار مع رئيس الوزراء العراقي في العهد العارفي في مذكراته الموسومة بـ «تلك الأيام» ص٢٢٩ ـ ٢٣٤ .

السياسة هو الدين والمسلمين.

وإن العراق لا يرجع إلى السعادة والرخاء إلاّ بالتمسك بحبل الله المتين ونبذ الخلافات والنزاعات والتبصُّر بدسائس الاستعمار ومكائده.

# قصة الحاج عبد

يُقال : إنه كان في قديم الزمان «مكاري»[1] اسمه «الحاج عبد» يأتي بالزوار إلى مدينة كربلاء المقدسة ، وكان سيء الأخلاق ، وكان هناك رجلٌ من أهل العلم يزور الإمام الحسين عليه السلام كل عام في الأربعين ، وكان ينزعج من أخلاق «الحاج عبد» كثيراً ، لكنه كان يضطر إلى تحمّله ، حيث إنَّه المكاري الوحيد الذي كان يأخذ نصف المبلغ من المسافرين .

وفي إحدى الرحلات غمرت المياه الطريق ، وكانت يومها بحيرة الرزازة متصلة بكربلاء ، فأخذت السفن بحمل الناس إلى كربلاء ، ففرح ذلك العالم الذي كان يأتي لزيارة الأربعين بالوسيلة الجديدة للوصول إلى كربلاء ، وكانت فرصة كبرى أن تخلّص من الحاج عبد وأخلاقه السيئة .

ومع اقتراب موعد زيارة الأربعين جاء هذا العالم إلى البحيرة وأراد أن يركب السفينة وإذا به يفاجأ بأنّ ربان السفينة هو «الحاج عبد» نفسه فاسترجع قائلاً «إنا لله وإنا إليه راجعون» ركب السفينة على مضض ،

---

(١) يقوم بتأجير الحيوانات لغرض الركوب للسفر والانتقال من مكان إلى آخر.

وعلى طول الطريق كان مبتلياً بالحاج عبد .

ومرّت السنوات ، ومضت الأيام وإذا بـ «العربانة» التي تجرّها الخيول تظهر ويبدأ باستعمالها بين كربلاء والمدن الأخرى .

ففرح هذا العالم أن أنقذته «العربانات» من الحاج عبد ، ففي الرحلة القادمة سيكون على متن إحدى هذه «العربانات» . وازداد تعجبه وتألّمه عندما وجد صاحب «العربانة» هو الحاج عبد أيضاً ، وما حيلة المضطر إلاّ ركوبها .

ومرّت الأيام وتحولت وسائل النقل وظهرت السيارات في مدينة كربلاء وبدأ باستخدام السيارات بين كربلاء والمدن الأخرى ، فشكر الله صاحبنا على هذه النعمة ، وفرح أنه قد تخلص من الحاج عبد ، لكن لم تطل فرحته كثيراً عندما عرف أنّ سائق السيارة هو الحاج عبد أيضاً .

**أقول :** وقصتنا نحن العراقيين مع الحكومات المتعاقبة في العراق ، هي قصة هذا العالم مع الحاج عبد ، ففي العهد الملكي كان الحكم في الظاهر بيد الملك فيصل الأول ، ثم ولده غازي[1] ثم ولده فيصل

---

(١) غازي بن فيصل الأول ، ولد في مكة سنة ١٣٣١هـ (١٩١٢م) ، دخل العراق وهو في السن السادسة من عمره برفقة والده الذي نُصّب ملكاً على العراق ، حكم العراق بعد موت والده سنة ١٣٥٢هـ (١٩٣٣م) واستمر في الحكم إلى سنة ١٣٥٨هـ (١٩٣٩م) ، قتل من قبل الإنجليز ؛ إثر اصطدام سيارته التي كان يقودها بنفسه بعمود كهربائي بالقرب من قصر الحارثة ليلاً .

الثاني[1] ، ثم انتقل إلى عبد الكريم قاسم ، ثم إلى عبد السلام عارف[2] ، ثم إلى عبد الرحمن عارف ، ثم إلى البكر[3] ، ثم إلى . . .

فالوجوه كانت تختلف ، لكن الحاكم الرئيسي هو الاستعمار ، وفي كل مرة له لباس وشكل جديدان . فلا عجب أن بقي الاستعمار كل هذه الفترة كما بقي الحاج عبد ، لأننا لم نعمل على التخلص منه .

## وسائل الإنقاذ

فإذا أردنا التخلُّص من ا لاستعمار كان لابد من تحقيق الأمور التالية :

---

(١) فيصل بن غازي والمشهور بفيصل الثاني ، ولد في بغداد سنة ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م) ، عين ملكاً بعد وفاة أبيه ، ابتدأ حكمه سنة ١٣٥٨هـ (١٩٣٩م) وكان عمره آنذاك خمس سنوات ؛ ونتيجة لعدم بلوغه الرشد القانوني «١٨سنة» ؛ عين خاله عبد الإله وصياً عليه لإدارة شؤون البلاد ، قتل مع أغلب أعضاء العائلة الملكية سنة ١٣٧٧هـ (١٩٥٨م) إثر إنقلاب عسكري دبّره عبد الكريم قاسم.

(٢) عبد السلام عارف: ولد سنة ١٣٣٩هـ (١٩٢١م) ، تسلم الحكم في العراق سنة ١٣٨٢هـ (١٩٦٣م) ، قتل سنة ١٣٨٥هـ (١٩٦٦م) ؛ إثر سقوط طائرته في جنوب العراق.

(٣) أحمد حسن البكر: ولد في تكريت سنة ١٣٣٣هـ (١٩١٤م) ، تسلم الحكم في العراق ١٣٨٨هـ (١٩٦٨م) ؛ إثر انقلاب دبّره على عبد الرحمن عارف ، واستمر في الحكم إحدى عشرة سنة ، وأقصي سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) ؛ إثر انقلاب دبّره صدام التكريتي. وقتله صدام سنة ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م) بحقنة سبّبت ارتفاع نسبة السُّكر لديه بواسطة الدكتور صادق علوش. وقيل: الدكتور فاروق كما عن كتاب جمهورية العراق الديكتاتوري: ص١٤٥.

أولاً : الوعي الجماهيري ، فبدون الوعي الجماهيري يتشكل «الحاج عبد» كل يوم ، بأشكال مختلفة مستفيداً من جهل الناس ، وقد قرأنا في المنطق عن الجن أنّه : «جسمٌ خفيف ناري ، يتشكل بأشكال مختلفة حتى الكلب والخنزير إلاّ الأنبياء والأولياء»؟

ثانياً : بالاتحاد ونبذ كل أنواع الفُرقة ، فما دامت الفُرقة ، فـ«الحاج عبد» تبقى بيده مقاليد الأمور ، وفي المثل «مادام الطمع موجوداً تعيش الكلبجة»[1] .

وكل من يشتكي من «الحاج عبد» وهو في الوقت نفسه يفرّق بين الناس ، مثله مثل «من يدفع ويسحب بيد» .

ثالثاً : بالاكتفاء الذاتي وقطع دابر كل حاجة إلى الأجانب من جهة الأموال والسلاح والصناعة وغيرها ، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلمته التي لا تثمن : **(احتج إلى من شئت تكُن أسيره)**[2] .

وطالما فقدت هذه الأمور الثلاثة ، فلا رجاء في التخلص من

---

(١) الكلبجة : كناية عن الأصفاد التي توضع في يد المجرم.

(٢) الخصال : ج٢ ص٤٢٠ ، الإرشاد : ج١ ص٣٠٣ ، روضة الواعظين : ص١٠٩ ، أعلام الدين : ص١٥٩ ، كشف اليقين : ص١٨٣ ، كنز الفوائد : ج٢ ص١٩٤ ، معدن الجواهر : ص٦٧ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج٢٠ ص٢٥٥ ب٤ ، بحار الأنوار : ج٧١ ص٤١١ ب٣٠ ح٢١ ، وج٧٢ ص١٠٧ ب٤٩ ح٩ وج٧٤ ص٤٢٣ ب١٥ ح ٤٠ وج١٠٠ ص٢٠ ب٢ ح٨ ط بيروت.

«الحاج عبد» وقيل في المثل : «مادام ليلك كذا فنهارك هكذا» .

إننا نفتقر اليوم إلى هذه المقومات الثلاثة ، لا في بلدنا العراق وحسب بل في أغلب بلاد المسلمين ، فالمفترض أنْ نشرع في ذلك كلٌّ بقدره وبقدرته ﴿**لا يكلّف الله نفساً إلاّ وسعها**﴾[1] .

فالمرء مكلّف بما يتمكن ، فإذا لم يقدر على إيجاد الوحدة العامة ، عليه أن يجمع على الأقل عشرة أنفار في هيئة أو جمعية ؛ لتصبح هذه الهيئة نواة للاتحاد الكبير .

والمرء الذي لا يقدر على تصنيع البلاد ، عليه أن ينجز ما هو أقل من ذلك . وأن يوجد مصنعاً صغيراً بدلاً من المصنع الكبير فإذا عمل كل واحد منا بهذا المنطق فسيكون هناك تقدمٌ في البلاد .

وكيف كان الأمر ، فإنّ الهدف من هذا الكتاب هو توحيد الصف ، وبالمناسبة يقول الشاعر الإيراني : اتحدت فيك الملاحة والجمال ولذا غزوت العالم[2] ، نعم بالاتحاد يُغزى العالم .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٨٦ .

(٢) وأصل البيت باللغة الفارسية :

حُسنت باتفاق ملاحت جهان كرفت　　　آري باتحاد جهان ميتوان كرفت

# المكر البريطاني

نقل لي أحد الثقات : أنّ إيران كانت تقترب بخطوات سريعة نحو الولايات المتحدة وتبتعد بنفس المسافة عن بريطانيا .

فدبّرت بريطانيا خطة زرع الاختلاف بين الطرفين ؛ لتقع القطيعة ولتستفرد بريطانيا بإيران مجدداً ، وكانت هناك سقاية ماء ، بناها رجلٌ من أهل الخير يُسمى «نوروز خان» ، وكانت هذه «السقا خانه» لقدمها معروفة لدى أهل المنطقة ، وإلى جانب هذه «السقا خانه» رجل أعمى يتكفف بالقُرب منها ، فعزم هذا الرجل المكفوف زيارة أقربائه في بلدته ـ هذا في ظاهر الأمر ـ أما في واقع الأمر فإنّ الأخبار السرّية ترددت أن البريطانيين أخذوه إلى لندن .

وفي لندن أجريت له عملية جراحية عاد بعدها بصيراً ، ثم أرجعوه بعد أن شفي إلى محله في طهران ، وجلس في مكانه المعتاد بالقُرب من «السقا خانه» يتكفف ، وتعجب الناس الذين كانوا يعرفونه وأخذوا يختبرون بصره فوجدوه شيئاً آخر غير ذلك الأعمى الذي عرفوه في السابق ، ولمّا سألوه ماذا حدث لعينه وكيف عاد بصيراً؟

خطب في الجماهير وقال بشكل مختصر : رأيت البارحة في منامي أنّ سيداً جليلاً وقف بالقرب من «السقا خانه» وقال لي : أنا الموكّل بهذه «السقا خانه» فهل لك من حاجة؟

قلت : نعم أريد أن أبصر بعيني.

قال لي : امسح يدك على «السقا خانه» ثم ضع يدك على عينك ففعلت كما طلب مني وإذا بي أرتد بصيراً ، وانتشر الخبر في الأرجاء أنّ «سقا خانه نوروز خان» تُشفي من الأمراض وتأتي بالمعجزات فازدحم الناس حولها وأخذ عملاء الإنجليز يبثون الدعاية ، ثم في الأثناء شفت «السقا خانه» أعرج معروفاً بالعرج فعاد سليماً ـ طبعاً بواسطة عملية في لندن ، وآخر مشلول اليد بواسطة عملية في لندن أيضاً ـ.

وأخذ الناس يأتون إلى «السقا خانه» زرافات زرافات ، بقصد الشفاء ، واعتكف المرضى حولها لا يبرحونها ، ليل نهار.

وذات مرة زار السفير البريطاني السفير الأمريكي وأخذا يتجاذبان الحديث حول سخافة عقلية المسلمين ، كيف أنّ «السقا خانه» تتحول إلى طبيب لشفاء المرضى ، ومن فرط ما سمعا قررا أن يذهبا إلى «السقا خانه» ليأخذا من الناس الملتفين حولها صوراً يبعثانها إلى بلديهما ، ليتعرّف الغرب على سخافة المسلمين ، وزارا ـ كما قرر ـ «السقا خانه» ، وعند وصول عربتهما قرب «السقا خانه» سرت شائعة بين الناس أنّ سفير أمريكا جاء لهدم «السقا خانه» فاستعدّ له الناس البسطاء ، وحسب الخطة

المدبرة من قبل السفير البريطاني ، ولما نزل من «العربانة»[1] وبيده جهاز التصوير الذي ظنّه البعض أنه قنبلة ، فأسرع صاحب المقهى الذي كان قد هيأ نفسه للهجوم على السفير الأمريكي ، وحمل «سماوره»[2] المملوء بالماء المغلي ، وأفرغه على رأس السفير الأمريكي فهرب السفير البريطاني بـ «العربانة» تاركاً السفير الأمريكي بين أيدي الناس ، الّذين وسعوه ضرباً بالعصي والسكاكين حتى قتلوه في مكانه ولم تفلح محاولات الشرطة في إنقاذ حياته ، وكل ما استطاعوا أن يفعلوه أنهم أنقذوا جثته من الإحراق .

وبهذه الخطة المحكمة والمُدّبرة وقعت أسوأ قطيعة بين أمريكا وإيران ، وكسب البريطانيون الجولة .

ولا يخفى : أن للإنجليز في كل مكان من العالم الإسلامي «سقاخانهنوروز خان» ، ففي العراق صنعوا الصنيع نفسه ، وقد نقل لي من شاهد ذلك مباشرة ورأى بعض مكفوفي البصر الذين شفوا ببركة «الإنجليز» في الخفاء وببركة «الضريح» في الظاهر .

ولم أستطع أنْ أتعرّف على أهداف هذه السياسة البريطانية في العراق آنذاك .

---

(١) مفردة عراقية ، كنايةٌ عن العربة التي تجرّها الخيول.

(٢) مفردة فارسية الأصل ، وهي عبارة عن أداة من أدوات المطبخ ، تستخدم لإعداد الشاي.

# قصة من البحرين

نقل لي بعض الثقات أن الإنجليز حرّكوا خفية قاضياً من قضاة البحرين المحترمين أن يسبّهم في مجالسه لقاء أجر كبير ، وفعل القاضي المغفل ذلك ، وإذا بالناس يفاجؤون باحتجاج الحكومة البريطانية على البحرين ، وتبين بعد ذلك أنهم أرهقوا كاهل البحرين بمعاهدة مذلة ، أسندت هذه المعاهدة إلى إهانة حكومة بريطانيا في البحرين علنا ، فكان جزاء ذلك على البحرين أن تؤدي ثمن هذه الإهانة .

**أقول** : إنّ الشرق والغرب بمختلف حكوماتهم لا يزالون كالسابق ، يكيدون للمسلمين ليفرقوا كلمتهم ويضربوا بعضهم ببعض ، ويضطروهم للانضواء تحت نير المعاهدات والأحلاف ، والمسلمون لا يزالون على سابق عهدهم من البساطة وحسن الظن ، والتسامح والغفلة ، ولا علاج إلاّ بتطبيق ما ذكرناه في «حكاية الحاج عبد» .

من هنا ، كان يجب علينا أن ننظر إلى مصالحنا لا إلى ما تفرضه علينا سياساتهم ، ويجب علينا أن نوحّد كلمتنا ، وألاّ ننخدع وإنْ رأينا أنّ الأعمى قد أبصر ، أو الأعرج أصبح سليماً في مشيه ، وأنَّ الأبكم نطق

فجأة ، إلاّ بعد أنْ نتحقق ، هل ذلك ببركة «حيلة مخفية» أو ببركة كرامة ظاهرة .

وصدق الشاعر الفارسي الذي قال ما ترجمته :

إلى الوقت الذي لا يفيق الشيخ من غفلته فإنّ القافلة ستبقى جاثمة في مكانها[1] .

---

(١) أصل البيت بالفارسية :

تا كلّه شيخنا ملنك است     اين قافلة تا بحشر لنك است

# ناصر الدين والوحدة

عندما أعلن المجدد الكبير عن تحريمه للتنباك في إيران ، وفشل محاولات الإنجليز في منع تحقق هذه الفتوى ، فكّر الإنجليز في إيجاد ضغط من جانب «الحكومة العثمانية» على الحكومة الإيرانية في عدم نقض المعاهدة أو على المجدد لنقض الفتوى ، ولذا ذهب سفير بريطانيا إلى السلطان عبد الحميد[1] الخليفة العثماني المشهور ، وقال له في أول كلامه :

---

(١) عبد الحميد الثاني بن عبد المجيد محمود العثماني ، ولد سنة ١٢٥٨هـ (١٨٤٢م) ومات سنة ١٣٣٦هـ (١٩١٨م) ويعد الرابع والثلاثين من سلاطين العثمانيين البالغ عددهم سبعةً وثلاثين خليفة ، تولّى العرش سنة ١٢٩٣هـ (١٨٧٦م) خلفاً لأخيه مراد الخامس ، ونظراً لعصبية مزاجه وظلمه واستبداده ؛ أدت سياسته إلى تقسيم البلاد فقد احتلت النمسا البوسنة والهرسك كما انفصلت البرتغال عن الجسم الإسلامي ، وقد أكثر من سفك دماء المسلمين حتى لقب بـ«الأحمر» ، وكان يمنع كل شخص أن يسمي نفسه باسم «عبد الحميد» ، وأضحت الوظائف في عهده تباع بالأموال ، وفي سنة ١٢٩٦هـ (١٨٧٨م) أوقف العمل بالدستور ، خلع عن العرش سنة ١٣٢٧هـ (١٩٠٩م) ونفي إلى سالونيك وعين مكانه أخوه محمد رشاد ثم نقل من منفاه إلى إسطنبول ؛ خشية أن يقبض عليه الأعداء وبقي في إسطنبول إلى أن وافته المنية.

هل في البلاد الإسلامية الشرقية أو الوسطية أكثر من إمبراطوريتين ، إمبراطورية الخلافة وإمبراطورية الشاه؟

قال عبد الحميد : كلا ، فلا حكومة ثالثة للمسلمين!

قال السفير : فمن هذا الرجل الذي يسمّى «محمد حسن الشيرازي» الذي يُقيم في سامراء وما هو شأنه؟ وكم جيشه؟ أليس هو في بلدٍ من بلادكم ، وكيف يتمكن من الإتيان بجلائل الأعمال التي هي من اختصاصات الحكومات الكبيرة!

فأحسّ السلطان عبد الحميد بالمكيدة ، وقال له بالحرف الواحد : إنه عالم ديني ليس له جيش ولا سلاح ولا مملكة وإنما له خادمان ينفذان أوامره ، وهذا هو كل ما يملك؟ قال السفير : متلهفاً : ومن هما ذانك الخادمان؟

قال عبد الحميد هما : «ناصر الدين شاه وعبد الحميد» فانقطع السفير وبُهت ولم يحر كلاماً ، وعلم أنّ خطته فاشلة ، وكان موقف ناصر الدين شاه في دعم العالم الجليل المجدد الشيرازي هو من ثمرات الوحدة الإسلامية ، وقد أفهم السلطان عبد الحميد أنه متمسك بهذا المبدأ.

**أقول :** وبقدر ما كانت الوحدة الإسلامية قوة ومنعة ، كان التفرّق ضعف وانحطاط. ولا يخفى أنّ عبد الحميد كان إلى جانب ألمانيا ، ولذا قال هذه الكلمة لسفير إنجلترا.

وقد سمعت أحداً يقول بحسرة : إن فتوى المجدد الشيرازي في تحريم

التنباك كشفت قوانا ، وكانت هذه القوة مخفية؟ .

قلت له : أبهذه البساطة تؤخذ الأمور؟ .إنّ ألف خطةٍ وخطةٍ ، وألف تدبيرٍ وتدبير استُخدمت ضد المسلمين وحطمت قِواهم وسلبت دينهم ودُنياهم .

إنّ الغربيين والشرقيين على اختلافهم متفقون على تحطيمنا ، وكانت أول وصايا لينين هدم الخلافة العثمانية وغزو إيران .

ولم تتوان جمعية الاتحاد والترقي[1] في تنفيذ مآرب لينين ، وكانت الجمعية مرتبطة بالاستعمار الغربي .

وجاء في أحد بنود المعاهدة السرّية بين حكومة أمريكا وحكومة الشاه بتقويض صلاحيات رجال الدين في إيران .

---

(١) جمعية الاتحاد والترقي : تعد أول تشكيلة حزبية قومية ، تأسست سنة ١٣٠٧هـ (١٨٩٠م) وبلغت ذروة نشاطها سنة ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧م) ، دعت إلى الأمة الطورانية - النزعة القومية العدائية تجاه العناصر غير التركية في الدولة العثمانية - وسعت إلى تغريب الدولة العثمانية والقضاء على المفاهيم الإسلامية ، وإن أغلب أعضائها من العسكريين وتسمّى الجمعية بأسماء أخرى منها : العثمانيون الجدد ، تركيا الفتاة.

يقول صاحب كتاب نشوء القومية ص٨٦ عن قيادات هذه الجمعية ما لفظه : «أحدهم بولوني اعتنق الإسلام واثنان يهود ورابع بلغاري غجري اعتنق الإسلام وخامس نصفه شركسي ونصفه مجري».

عن هذه الجمعية راجع الموسوعة الإسلامية : ج٤ ص٧ لحسن الأمين.

أترى كيف أن الشرق والغرب على ما بينهما من عداء ظاهري متفقان على تحطيم بلادنا وهدم كياننا وسلب ديننا؟ .

وما ذكرناه ليس إلاّ سطراً من كتاب ضخم من تاريخ الكفار وكيدهم للمسلمين .

إنّهم على اختلافهم في الأفكار متفقون على تحطيمنا ، أليس ذلك حافزاً لنا على الاتفاق مع وحدتنا في المبدأ والعقيدة والشريعة؟ .

وقد قال الشاعر :

ومادام لم نفعل نبوء بغصة

وهل ينفع العطشان إلاّ فراتها

# هكذا تفعل الدنيا بأبنائها

كان السيد المسيح عيسى عليه السلام يسافر من بلدٍ لآخر ، وكان معه ثلاثة من الذين أظهروا الإيمان به ، وفي الطريق مرّوا بمكانٍ فوجدوا ثلاث قطع من الذهب ، ولما رأى الأصدقاء الذهب ارتخت أرجلهم ولم يتجرؤوا أن يأخذوها أمام السيد المسيح عليه السلام ، إذ كان السيد المسيح رمزاً للزهد ، وقد علّمهم الزهد والعزوف عن الدنيا ، ففكّر كل واحدٍ في حيلة للانفصال عن المسيح عليه السلام .

وبدأ كل واحد يتخلى عن السيد المسيح بشكلٍ أو آخر . الأول اعتذر واستأذن السيد المسيح بالعودة والرجوع . . والمسيح يأذن له وينصحه بأن لا تغره الدنيا ولا يرتكب حراماً من أجلها .

ولما انفصلوا عنه جاؤوا واجتمعوا على الذهب يتنازعون عليه ، وأخيراً قرروا تقسيمه بالسوية ، وعندما جلسوا للتقسيم قالوا : نحن جياع ونخشى إنْ ذهبنا بالذهب إلى المدينة سينكشف أمرنا ، فليذهب أحدنا إلى المدينة ويشتري لنا طعاماً ، قال أحدهم أنا آتيكم بالطعام ، فقد وجد هذا الثالث أنّ هذه أفضل وسيلة للتخلص من الاثنين ، حيث سيضع السمّ في

الطعام ، فيموتا ويصبح الذهب له وحده .

وعندما ذهب إلى المدينة اتفق الإثنان أن يقتلا صاحبهما ، ليخلص الذهب لهما فيقسمانه نصفين ، بدل أن يكون نصيب كل واحد منهما الثلث .

وهكذا كان ، فقد وضع الثالث السّم في الطعام ، وجاء به إلى صديقيه ، وما إنْ وضع الطعام على الأرض ، حتى هجما عليه وقتلاه ، ثم جلسا يأكلان الطعام ، فانتشر السم في جسميهما ، وماتا في الحال .

وعندما عاد السيد المسيح ومرّ بذلك المكان وجد الذهب في مكانه ، والثلاثة إلى جانب الذهب ممددين ، فحركهم فلم يتحركوا ، فعرف أنّهم ميتون ، حينها قال عيسى عليه السلام لتلاميذه : هكذا تهلك الدنيا أبناءها وتبقى هي في مكانها .

وقال الشاعر :

إنّما الدنيا فناء ليس في الدنيا ثبوت
إنّما الدنيا كبيت نسجته العنكبوت
ولقد يكفيك منها أيها الطالب قوت
ولعمري عن قريب كل من فيها يموت

**أقول** : وهذه هي عاقبة الاختلاف ، في الدنيا العار ، وفي الآخرة النار .

وعلى العاقل أن يعتبر بهذه القصة أكبر اعتبار إن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد.

إنّ عاقبة الاختلاف الفشل وعاقبة الاتحاد التقدّم واقتطاف الثمر، يقول الشاعر:

**لسانك لا تُبدي به سوءة أمرئٍ**
**فكلك سوءآتٌ وللناس ألسن**
**وعينك إنْ أهدت إليك معايباً**
**من الناس قل يا عين للناس أعين**

وفي كلمة ذهبية عن السيد المسيح عليه السلام قال: (**ما لكم لا ترون الجذع في أعينكم، وترون القذى في أعين أخيكم**). وفي الحديث: (**ضع أمر أخيك على أحسنه**)[1].

وفي حديث آخر: (**إنْ شهد عندك خمسون قسامة وقال لك قولاً، فصدّقه وكذبهم**)[2]، أي لا ترتّب أثراً على كلامهم، في غير مورد

---

(١) الكافي (أصول): ج٢ ص٣٦٢ ح٣، الاختصاص: ص٢٦٦، كشف الريبة: ص٢١، مجموعة ورام: ج٢ ص٢٠٩، منية المريد: ص٣٢٢، مستدرك الوسائل: ج٩ ص١٤٤ ب١٤١ ح١٠٥٠٢، بحار الأنوار: ج٧١ ص١٨٦ ب١٣ ح٧ ط بيروت، وسائل الشيعة: ج١٢ ص٣٠٢ ب١٦١ ح١٦٣٦١.

(٢) ونص الحديث كما عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الأَوَّلِ عليه السلام قَالَ: (قُلْتُ لَهُ جُعِلْتُ فِدَاكَ الرَّجُلُ مِنْ إِخْوَانِي يَبْلُغُنِي عَنْهُ الشَّيْءُ الَّذِي أَكْرَهُهُ فَأَسْأَلُهُ عَنْ ذَلِكَ

الشهادات الشرعية .

وبهذه الخطوات يتمكن الإنسان من أن ينظر إلى الناس بمنظار صحة أعمالهم وحسن نياتهم وسلامة أهدافهم ، وهكذا يخطو خطوة كبيرة نحو الألفة وتوحيد الكلمة .

أما إذا نظر إلى الناس بمنظار سوء الظن ، وحمل أعمالهم على الفساد بأنهم خونة لصوص سُراق فاسدو العمل ، فإنّه لا يجتني من ذلك إلاّ الإهانة لنفسه أولاً ، وتفكك عُرى الاجتماع ثانياً ، إذ : لا يجتني الجاني من الشوك العنب ، ولا من الحنظل يُجتنى الرُطب .

---

فَيُنْكِرُ ذَلِكَ وَقَدْ أَخْبَرَنِي عَنْهُ قَوْمٌ ثِقَاتٌ فَقَالَ لِي يَا مُحَمَّدُ كَذِّبْ سَمْعَكَ وَبَصَرَكَ عَنْ أَخِيكَ فَإِنْ شَهِدَ عِنْدَكَ خَمْسُونَ قَسَامَةً وَقَالَ لَكَ قَولا فَصَدِّقْهُ وَكَذِّبْهُمْ لا تُذِيعَنَّ عَلَيْهِ شَيْئاً تَشِينُهُ بِهِ وَتَهْدِمُ بِهِ مُرُوءَتَهُ فَتَكُونَ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ) الكافي (روضة) :ج٨ ص ١٤٧ ب٨ ح١٢٥ ، أعلام الدين : ص٤٠٥ ، ثواب الأعمال : ص٢٤٧ ، وسائل الشيعة : ج١٢ ص٢٩٥ ب١٥٧ ح١٦٣٤٣ ، بحار الأنوار : ج٧٢ ص٢١٤ ب٦٥ ح١١ ط بيروت

# لا تزكّوا أنفسكم

ذات مرة كان أحد المؤمنين في حرم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ورأى زائراً يضجّ ويبكي بكاء مراً ويتوسّل بالإمام عليه السلام بأن يرد إليه نفقته المسروقة قائلاً بحرقة : يا أمير المؤمنين ، ليس لي مال غيره ، وأنا هنا غريب وإذا لم أحصل على مالي ، كان معنى ذلك أن أتكفف ، وهل ترضى أنت بذلك وأنا ضيفك ، وهكذا كان يقول ويكرر هذا الكلام بأسى ولوعة ، وأخذ يدعو ويلحّ ويتضرع .

فتأثر هذا المؤمن من هذا المشهد تأثراً بالغاً ، وتوجه إلى الإمام وأخذ يخاطبه كالمعترض - يا أمير المؤمنين إذا لم تستجب دعاء هذا الرجل ولم تكشف له عن سارقه ، فمتى وأين يُستجاب دعاء المؤمنين بكم ؟ .

وفي الليل رأى هذا الرجل الإمام عليه السلام في المنام : ويظهر أنّه كان قابلاً لهذا المقام حتى يرى الإمام ليسمع جواباً ، فقال له الإمام عليه السلام :

إن كان شأننا كشف اللصوص لكشفناك أولاً وقبل سارق هذا الزائر ،

قال : وكيف يا أمير المؤمنين ، وهل أنا سارق ؟

قال الإمام عليه السلام : أجل ، ألم تأخذ من فلان مقداراً من المال أجرة على

قضاء صلاة الميت ، ولم تأت بالصلوات إلى الحال ؟

نكّس الرجل رأسه أمام الإمام عليه السلام وقام من منامه فزعاً مرعوباً ، وتاب إلى الله تعالى عن ذنبه ، وأدّى ما كان عليه من قضاء العبادة .

نعم ، أيّنا منزّه حتى نحاسب الناس على أعمالهم ؟

«وأي عبدٍ لك ما ألمّا» ، وإني لا أتكلم في هذا الموضوع الآن من الوجهة الدينية والأخلاقية ، بل بالنظرة الاجتماعية ، وإن الإغضاء عن سيئات الآخرين أول الطريق إلى الألفة والمودة .

# حزب المؤتمر وتوحيد الهند

انظر إلى الهند ، فقد كان المسلمون يحكمون فيها ، وقد أخذها الإنجليز من المسلمين وأعطوها إلى الهندوس ، وهذه الحقيقة تظهر لمن طالع تاريخ الهند[1] .

وإني لأتعجب كثيراً كيف أن المسلمين طيلة ألف سنة لم يتمكنوا من إدخال جميع الهند في الإسلام ، فهل كان الشعب الهندي غير راغب في الإسلام ، أم أنّ هناك تقصيراً من قبل القادة؟ فإيران والعراق ومصر

---

(١) فتح المسلمون الهند سنة ٨٩ هـ (٧٠٧م) ، وقد حكم الهند سلالات من المسلمين الشيعة أمثال:

أ. قطب شاهيون: ومؤسسها محمد علي ، أحد تلامذة صفي الدين الأردبيلي الذي أصبح حاكماً لمنطقة «الدكن» سنة ٩١٨ هـ.

ب. العادل شاهيون: ومؤسسها عادل شاه الساوجي.

ج. النظام شاهيون: ومؤسسها أحد الهنود واسمه تبمابهن ، ومن حكامها شاه طاهر.

للتفصيل راجع مستدركات أعيان الشيعة: ج١ ص١٩٢ ومصدره الإسلام وإيران الجزء الثالث ص٢٧٠ ـ ٢٧١.

وسوريا وتركيا وإندونيسيا وغيرها من البلاد الإسلامية دخلت في الإسلام بمجرد أن حكمها الإسلام ، وقد قبلت بالإسلام طواعية لا جبر ولا إكراه وإنما كانت الحكومة التي تأخذ البلاد ترفع الموانع التي تحول دون دخول غير المسلمين إلى الإسلام .

أمّا القسم الإسلامي من الشعب الباكستاني والشعب الهندي فليس الكلام حولهم ، بل الكلام حول كل الشعب ، والكلام حول هذا الموضوع طويل وله محلّ آخر .

وإنما الكلام الآن في أن حزب المؤتمر[1] عندما تشكّل لتحرير الهند بزعامة «غاندي» كان يتعامل مع شعب يتكون من ثلاثمائة دين ومئات الولايات ، وثلاثمائة لغة ولهجة ، وكان صعباً على حزب المؤتمر استيعاب هذا الكم الهائل والمتناقض من الشرائح الاجتماعية ، إلاّ أنه في أول خطوة

---

(١) حزب أسّسته مجموعة من المفكرين الهنود لمقاومة الاستعمار البريطاني سنة ١٣٠٢هـ (١٨٨٥م) وعقد مؤتمره التأسيسي في بومباي من نفس السنة ، وقد تناوب على رئاسته عدة زعماء ، منهم : دادا بيه ناروجي ، وكوخال ، وكرفال ميها وبيلاك ، وغاندي ، ونهرو ، وشاستري ، وأنديرا غاندي ، وقد حقّق الحزب مكاسب جمّة للشعب الهندي وعلى رأسها استقلال البلاد سنة ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م) ، وفي سنة ١٩٧٧م حدث انشقاق في الحزب فجناح تزعمته أنديرا غاندي وآخر تزعمه سردار سينغ وي شافان. راجع موسوعة السياسة : ج٢ ص٥١٩ وكتاب : «عند قدمي غاندي» لبراسات ، و«قصتي مع الحقيقة» لغاندي ، و«لمحات من تاريخ العالم» لنهرو.

قام بها هو توحيد الجمع الهائل من اللهجات والقوميات في بوتقة واحدة ، وبعد خمسين عاماً من الجهود المضنية ، استطاع أن يوحّد البلاد وينقذ العباد من الاستعمار .

إلاّ أن حالنا نحن وبعد خمسين سنة من الاستعمار ، ومن العمل لأجل إزالته ، لانزداد إلاّ انقساماً وبالاستعمار إلاّ تمسكاً . والحال أنّ ديننا يأمرنا بالوحدة والتعايش والألفة ، يقول القرآن الكريم : ﴿**وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً**﴾[1] ويقول : ﴿**وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**﴾[2] .

والحال أنّ ديننا واحد ولغتنا هي القرآن ، وإن كانت لنا لغاتٌ شتى .

ولا قوم أفضل من قوم في ديننا .

ألم يحن الوقت لأن ننبذ كل أنواع التفرقة ، ونوحّد الصف ونقوم بنهضة جبارة نطرد فيها الاستعمار الاستيطاني والاستعمار الاقتصادي والاستعمار الفكري من بلادنا لترجع إلينا سعادتنا وسيادتنا ، ولا تُنهب ثرواتنا ، ولا نقوّي الكفار على أنفسنا ، ولا يصافح بعضنا الشرق وبعضنا الغرب ، وتكون بيننا الحروب والمهاترات بصورة مستمرة .

والوحدة المنشودة هي التي تتم في ظل الدين فقط .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٠٣ .

(٢) سورة الأنفال : الآية ٤٦ .

أما الوحدة التي يريدونها تحت ظل القومية فهي سيف يقطع أوصال الأمة ويمزق الجسد الواحد[1].

والوحدة في ظل حزب واحد أو مبدأ واحد هو التشتت والتفرقة والتمزّق.

---

(١) إن من يراجع التاريخ، يتبين له أن جميع دعاة القومية هم من غير المسلمين، والهدف هو تخفيف الصراع بين الإسلام والمسيحية وحماية المسيحيين في البلاد الإسلامية بشكل يصونهم ويمنحهم الامتيازات دون أن يرتبطوا بقيود. ولأجل زرع الصراع والتقاتل بين المسلمين خدمة لمصالح الاستعمار. يقول لورنس بالنسبة للقومية العربية في كتابه أعمدة الحكمة السبعة ص٣٥١: «إن قصة الثورة العربية من أولها إلى آخرها ليست سوى قضية حياة أو موت بالنسبة إلى العرب. أما نحن . الإنجليز . فقد تبنيناها حباً بأنفسنا أو على الأقل طمعاً بكسب المستقبل ولم يكن في مقدورنا تحاشي ذلك إلا بخداع أنفسنا فيما نشعر ونحس به من دوافع» للاطلاع على مساوئ القومية راجع كتاب القوميات في خمسين سنة للإمام المؤلف ﷺ.

# أمير المؤمنين عليه السلام والوحدة

يتساءل البعض عن مغزى عدم تجريد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لسيفه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ومطالبته بحقه من أعدائه وانتقامه ممن اعتدى على فاطمة الزهراء عليها السلام ؟

في الجواب نقول : إنّ علياً لو فعل ذلك لذهب الإسلام ولم يبق من الإسلام حتى الاسم . كما قال ذلك لزوجته فاطمة الزهراء عليها السلام . ذلك بأن أكثر المسلمين كانوا جديدي العهد بالإسلام ، وكان المسلمون محدقين بأعداء كثيرين يحيطون بهم من كل جانب ، فالفرس من جانب والروم من جانبٍ آخر ، كانوا يتحينون الفُرص للانقضاض على المسلمين .

فلو كان عليٌّ عليه السلام قد جردّ سيفه ، كان يؤدي ذلك إلى انقسام الجسم الإسلامي ، وكان هذا الانقسام سيؤثر على ضعيفي الإيمان الذين كانوا سيتركون هذا الدين مع أول انقسام ، حينذاك لكانت الدولتان الفارسية والرومية ، قد انتهزت الفُرصة وانقضّت على الدولة الفتية وقضت على المسلمين ، ولكان حال الدولة الإسلامية حال دولة الأندلس فيما بعد .

لذا كان قرار أمير المؤمنين عليه السلام بعدم المطالبة بحقه وجلوسه في البيت هو

عين الصواب كما كان له في نهوضه أول الدعوة الإسلامية فضل بدء الإسلام .

من هنا ، يجب علينا أن نجعل هذه المنطلقات أمام أعيننا في كافة تحركاتنا وسكناتنا . ثم نتقدم لتوحيد الصف وتقديم الإسلام إلى الأمام ، دون الاهتمام بالامتيازات والاعتبارات الأُخرى .

# مَن فرَّق المسلمين؟

قال أحد الغربيين فيما قرأته في إحدى الكُتب : إنّ علينا نحن أنْ نصنع تمثالاً من ذهب لمعاوية بن أبي سفيان ، ونضع له تمثالاً في كل بلد ، لأنه هو الذي لم يدع علياً أن يتقدم ، وأنْ يحكم البلاد وينشر الإسلام في الأصقاع[1] .

**أقول** : من حقهم أن يثنوا على معاوية لأنه استطاع أن يشق عصا المسلمين وأن يمزّق وحدتهم ويقطع أوصالهم بحربه مع الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام ، تلك الحرب التي حالت دون أن يتقدم المسلمون خطوة واحدة .

---

(١) يقول محمود أبو رية في كتابه شيخ المضيرة أبو هريرة ص١٨٥ : «قال أحد كبار علماء الألمان في الأستانة لبعض المسلمين . وفيهم أحد شرفاء مكة .: إنه ينبغي لنا أن نقيم تمثالاً من الذهب لمعاوية بن أبي سفيان في ميدان كذا من عاصمتنا برلين. فقيل له : لماذا ؟. قال : لأنه هو الذي حول نظام الحكم الإسلامي عن قاعدته الديمقراطية إلى عصبية ، ولولا ذلك لعمَّ الإسلام العالم كله . إذاً لكنا نحن الألمان وسائر شعوب أوربا عرباً مسلمين».

فلولا معاوية لكانت البشرية قد عرفت الإسلام بصورة أوضح ولاكتشفت العدالة ، عدالة أمير المؤمنين ومساواته بين نفسه وأبسط رعيته ، ولكان الإسلام قد انتشر تحت ظل هذا الإشعاع النير . وقبل معاوية هناك أيضاً من شوّه صورة الإسلام ومنع من انتشاره .

إلاّ أنّ ما يسلي الفؤاد أنّ القرآن الكريم وعد المستضعفين بأنهم سيورّثون الأرض من أيدي الكفّار ، وأنهم سينتصرون بقيادة مهدي هذه الأمة ﷺ على الشرق والغرب فيدخل الجميع تحت ظل الإسلام العظيم .

# من أخلاق الوحدويين

جاء أحد تجار إيران إلى كربلاء المقدسة في زمن المرحوم السيد أبو الحسن الأصفهاني ﵀ وكانت معه حقوق شرعية للسيد ، وكان الرجل لم ير السيد ولم يعرفه من قبل ولا حتى يستطيع أن يميّز صورته عن الآخرين .

وفي ليلة وصوله سأل عن السيد فأرشده بعضهم إلى عالم آخر كان جالساً في حرم الإمام الحسين عليه السلام ، فسلّم لهذا العالم الحقوق الشرعية التي كان يجب أن يُسلمها إلى السيد أبو الحسن الأصفهاني وهو يظن أنه السيد نفسه .

قال التاجر : في صباح ذلك اليوم ذهبتُ إلى الحرم الشريف وتوجهتُ إلى المكان الذي يصلي فيه السيد داخل الحرم ، وإذا بي أراه مختلف الوجه عن ذلك العالم الذي سلمته المال في البارحة ، لكنني قلتُ في نفسي لعلي على خطأ فيما أرى وأشاهد من المخالفة بين العالم وبين السيد ، لأن وقت تسليم المال كان في الليل ولم يكن في الحرم في ذلك الوقت النور الكافي .

على أي حال : تقدمتُ إلى السيد وطالبته بورقة إيصال بالمال الذي قدمته له البارحة ، وقلتُ في نفسي إذا أعطاني السيد الإيصال فإن ذلك دليل أنه هو الذي قبض مني المال وإذا لم يعطني فإنّ ذلك دليل على أن المال أخذه غيره .

قال السيد : لا بأس تعال إليّ بعد شروق الشمس في الدار .

ذهبتُ إلى السيد في الموعد المقرر في الصباح في داره ، فقال لي : كم كان المال؟ لأن الأموال التي استلمتها مختلفة .

فقلت له المقدار ، فكتب السيد إيصالاً بالمقدار الذي ذكرته وأعطاني الوصل .

قال التاجر وفي الليلة التالية شاهدتُ العالم الذي أعطيته المال عوضاً عن السيد في الحرم ، حينها تيقنت أنّ المال لم يصل إلى السيد .

وفي الغد ذهبتُ إلى السيد وقلت له : سيدنا كيف تعطيني الوصل بما لم تستلمه ، ونقلت له حكايتي مع السيد .

فردّ السيد الأصفهاني : نعم ، إني عرفت أنّك اشتبهت وأعطيت المال لفلان - لأنه يشبهني - لكن ما الفرق بيني وبينه؟ أليس هو أيضاً عالمٌ ووكيلٌ للإمام الحجة عليه السلام وأنت لم تقل لذلك العالم إنّ المال للسيد أبو الحسن حتى لا يأخذه منك .

قال التاجر : خرجتُ من عند السيد وأنا متعجب من أخلاقه الرفيعة كيف يحافظ على سمعة العلماء ، وكيف يواظب على وحدة الصف وإن

كان فيه تنازل عن قدر كبير من المال ؟

وهكذا ، يجب أن يكون كل إنسان يُريد الحفاظ على وحدة الصف ، فالحفاظ على الوحدة ليس بالشعار والكلام المعسول الخالي من العمل ، بل بالسيرة الحسنة والأخلاق الحميدة وبالتغاضي عن الأمور الجزئية والابتعاد عن نقاط التشنج . وهي أمور ليست بسهلة ، وليس كل واحد قادراً على التمسك بها ، لذا ترى القائلين بالوحدة كثيرين والعاملين به قليلين ، بل أقل من القليل .

# وحدة صفّ المقاتلين

استغرب القادة العسكريون في بلاد فارس من تقدّم المسلمين وانتصارهم عليهم بالرغم من قلتهم عدداً وعدةً وضعف كفاءتهم العسكرية في وقتٍ كان الجيش الفارسي يتفوق عليهم في العدَّة والعدد، وفي الكفاءة العسكرية وفنون القتال، ومن الخبرات الكثيرة التي اكتسبها في حروبه الماضية مع الروم وغيرهم.

فكان انتصار المسلمين عليهم مدعاة لأن يعيدوا النظر والتفكير في أساليبهم وخططهم، فاجتمعوا للتشاور فيما بينهم وأخذوا يدلون بدلوهم ويطرحون آراءهم.

قال أحدهم: إنَّ السبب هو الدين الذي يقاتلون باسمه؟

وجاء الجواب من أحدهم: كلا إنّ دينهم مزيّف ـ حسب عقيدة الفرس يومذاك ـ ثمَّ إنَّ الدين لا يُوجب أي تقدم، أليس الرومان أصحاب دين، والفرس قد انتصروا عليهم؟

قال آخر: إنّهم سحرة.

فأجابهم آخر: كلا، فالسحر لا يوجب انتصاراً في الحرب،

ولا يتسبب في هزيمة جيش بأكمله.

وقال ثالث: إنّه بالصدفة انتصر المسلمون وليس هناك سبب حقيقي وراء انتصارهم.

فأجابه البعض: كلا لا يمكن أن نؤمن بالصدفة، فالصدفة لا تكرر الشيء نفسه، ثم هل التكتيك الحربي يعرف الصدفة؟ وهكذا دواليك.

وقال أحدهم: أرى من الأفضل أن نسأل المسلمين أنفسهم وذلك بأن نختطف أحدهم ونسأله عن علة انتصارهم علينا، فاستحسن الجميع هذا الرأي. فبعثوا بقوة عسكرية لخطف أول مسلم يجدونه منفرداً ويأتون به إليهم.

وفعلاً تم خطف جندي من جنود المسلمين وجاؤوا به إلى خيمة القيادة، ولما أراد المسلم الجلوس، جمع ما تحته من الفراش وجلس على الأرض، فأثار ضحك واستهزاء الجميع.

ثم إنهم قالوا له: كان عندنا سؤال أردنا أن نسألك به، والآن صار السؤال سؤالين؟

قال المسلم: وما هما؟.

قالوا: أما السؤال الأول فهو: لماذا جمعت الفراش من تحتك وجلست على الأرض؟.

السؤال الثاني: كيف استطعتم أنتم معاشر المسلمين أنْ تحققوا النصر علينا مع قلة عددكم وعُدتكم؟.

أجاب المسلم : أما الجواب عن السؤال الأول فهو ، إننا نعمل بتوصيات نبينا بأنْ نساوي بين أنفسنا وبين الآخرين سواء في الحضر أم في المغيب ، وإخواني المسلمون في جبهات القتال لا فراش لهم ، فكلهم عندما يجلسون ، يجلسون على الأرض ، وكان حرياً بي أن أتأسى بهم ، وأشاركهم هذا الأمر ، بأنْ أمتنع عن الجلوس على الفراش .

أما الجواب على السؤال الثاني : نحن وحدة واحدة ليس بيننا من يشعر أنّه فوق الآخرين ، ولذا إذا أجار جيش العدو أحدنا كأنما أجاره القائد ، .وبهذه الروح تتقوى عزائمنا وتتضاعف إرادتنا وتشتد سواعدنا على القتال فنغلب الأعداء .

قالوا : وهل بإمكانك أنت أن تجير جيشنا؟

قال : نعم .

قالوا : فأجر حتى نشاهد صدقك عن كذبك؟ .

قال : لا بأس ، ثم أخذوه إلى ساحة المعركة فصاح في المسلمين : أيها المسلمون ، إني قد أجرت جيش الفرس يوماً وليلة ، فقبل قادة الجيش الإسلامي إجارته لهذا الجيش ، وكفوا عن القتال في المدة المقررة .

وهنا أخذ القادة من الجيش الفارسي ينظر بعضهم إلى بعض ، ثم يشيرون إلى حقيقة لم يكن باستطاعتهم طمسها هي أنّ وحدة المسلمين المتماسكة والصادقة ، هي السبب في تقدمهم وانتصارهم .

# الهيئات نواة الوحدة

تقدّم الكلام في السابق أنّ توحيد الصف يحتاج إلى الوعي الكامل وإلى انخراط المسلمين ومشاركتهم في هيئات وانتظامهم في منظمات عامة في الحقول المتنوعة ، كحقول تتعلق بأمر الدين وأمر الدنيا ، ثم وجود تناسق وتناغم مشترك بين هذه الهيئات والمنظمات بحيث تشكل بمجموعها نسيجاً واحداً متكاملاً ، كنسيج الجيش الواحد الذي يتكون من رتل مدرعات ورتل طيارين ورتل مظليين ورتل مشاة وهكذا .

ومّما هو جديرٌ بالملاحظة أن أسوأ ما تُمنى به الهيئات العاملة هو سوء ظن بعضها بالبعض الآخر ، وكيل التُّهم جزافاً ، ثم المقاطعة ثم عمليات التخريب ، مما يصرف كل الطاقات أو أغلبها في الهدم عوضاً عن البناء ، ولذا يصبح ضرر هذه الهيئات في مثل هذه الحالة أكثر من نفعها في بعض الأحيان .

لنفترض أنّ هناك في بلدٍ إسلامي جمعية عاملة ومجلة ومدرسة ومكتبة ونادياً ، فالجمعية تقوم بتوجيه اتهام الجمود إلى أصحاب المجلة ، وأعضاء المجلة يتهمون طلاب المدرسة وأساتذتها بالعجز عن أداء الخدمة الإعلامية

المطلوبة ، وطلاب المدرسة يتهمون أعضاء المكتبة باستغلال أعضاء المكتبة لأغراضهم الشخصية ، وأعضاء المكتبة يتهمون المتسبين إلى النادي بانحرافهم عن الخط الإسلامي ، وما ذكرناه من باب المثال ـ كما هو واضح ـ .

لماذا هذا الاختلاف؟

لماذا هذا التنافر؟

لماذا هذا التراشق بالاتهامات؟

أليس الجميع يعملون لهدف واحد؟

أليس الواحدة من هذه الهيئات تكمِّل الأُخرى؟

وهل مساحة العمل باتت ضيقة إلى الحد الذي لا تتسع للآخرين حتى يتكالب كلٌ ضد الآخر ، فباستطاعة أصحاب الجمعية أن يفتحوا مدرسة ، وأصحاب المدرسة أن يفتحوا مكتبة ، وأصحاب النادي أن يفتحوا مدرسة وهكذا ، فالبلاد الإسلامية هي من السعة بحيث لو أضفنا جميع هذه الأنشطة لما استطعنا أن نستوعبها بكاملها ، فالبلاد الإسلامية بحاجة إلى مئات الألوف من المؤسسات والهيئات وغيرها .

وعندما يدخل أيّ مسافر إلى مدينة ما ويرى الأنشطة المكثفة يفرح من قلبه ، ويقول : كم هذه المدينة ممتازة وفيها أنشطة كثيرة ، لكن ما أن يدخل مدينة أخرى خالية من الأنشطة حتى تشمئز نفسه مما يرى فيقول : يا ليت بيني وبينها بُعد المشرقين ، فالذي يراه هو المهاترات والتخريب

وكيل الاتهامات والقطيعة .

سألتُ أحد العلماء وقد زار مدينة ـ من هذا القبيل ـ كيف وجدتها؟

قال : وجدتها معملاً للغيبة والتهمة .

**أقول** : إنّ أية هيئة عاملة إنْ أرادت التقدم السريع واستقطاب أنظار الناس فليس عليها إلاّ أن تشتغل بعيوب نفسها عن عيوب الآخرين سواء كانت هذه العيوب عيوباً حقيقية أو عيوباً وهمية ، فإنّ من عادة الناس تعظيم العامل الصامت واحتقار العامل المهاجم ـ مهما كان له من مبررات التهجم ـ .

إنّ الهيئة إذا لم تتمكن من قطع الطريق أمام المهاترات لا تستطيع العمل بصورة دؤوبة ، وهنا تتحقق نصف المهمة وهي إيقاف نصف الحملات ؛ لأنّ كل هيئة إذا امتنعت عن المهاترات معناه : زوال نصف هذه المهاترات ، ويبقى النصف الآخر من مسؤولية الطرف الآخر .

# حكمة بهلول

يُقال في التاريخ : إنّ كفّاً خرجت من دجلة في زمن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام حيث كان سجيناً ببغداد ، وقد تفرّجت أصابع الكف ، وتحيّر الناس في أمرها لمن هي؟ وما المقصود منها؟ وخافوا أن يذهبوا قريباً منها وازدحم الناس حول النهر ينظرون إليها باندهاش كبير ، وأُخبرت السلطة العباسية بذلك ، فأرسلت من يذهب إلى الماء ليجد أصل الكف؟ لكنهم فوجئوا بأنّ الكف متصلة بذراع كأنها حديد لا تتحرك ولا تتزحزح ، قال البعض : إنّ ذلك من الغيب ، وقال آخرون : إنّه سحرٌ ، وفسّر كل واحد منهم تفسيراً ، وبينما هم في اختلاف واضطراب ، مرّ بهلول[1]

---

(١) بهلول بن عمرو الكوفي الصوفي ، كما عن روضات الجنات وأعيان الشيعة ، شاعر وفقيه وحكيم ، توفي سنة ١٩٠هـ وقبره في بغداد ، يعدُّ من أصحاب الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام ، أظهر الجنون بأمر الإمام الكاظم عليه السلام ؛ وقايةً لنفسه ، حيث إن هارون العباسي كان يسعى لقتل الإمام الكاظم عليه السلام ويحتال في ذلك ، فأرسل إلى حملة الفتوى يستفتيهم في إباحة دم الإمام ؛ متهماً إياه بإرادة الخروج عليه ومنهم بهلول. فخاف بهلول من هذا واستشار الإمام الكاظم عليه السلام

..........................................................

فأمره بإظهار الجنون ليسلم مما طلبه هارون منه. وفي غرائب الأخبار للسيد نعمة الله التستري أن هارون العباسي أراد أن يولي رجلاً القضاء فشاور أصحابه فأشاروا ببهلول فاستدعاه وقال له: أعنّا على عملنا هذا. قال: بأي شيء أعينك؟ قال: بعمل القضاء. قال: أنا لا أصلح لذلك. قال: أطبق أهل بغداد أنك صالح له. فقال: سبحان الله، أنا أعرف بنفسي منهم، فإن كنت في إخباري بأني لا أصلح للقضاء صادقاً، فهو ما أقول، وإن كنت كاذباً فالكاذب لايصلح لهذا العمل، فألحوا عليه وشددوا وقالوا: لا ندعك أو تقبل. قال: إن كان ولا بد فأمهلوني الليلة حتى أفكر في أمري، فلما أصبح تجانن وركب قصبة ودخل السوق وكان يقول: طرقوا، خلوا الطريق لا يطأكم فرسي. فقال الناس: جُنّ بهلول. فقال هارون: ما جنّ ولكن فرّ بدينه منّا.

وكانت لبهلول مناظرات مهمة مع الخلفاء والولاة أمثال هارون العباسي ومحمد بن سليمان والي البصرة ابن عم هارون، منها: أن هارون خرج إلى الحج فلما كان بظاهر الكوفة بصر بهلولاً على قصبة وخلفه الصبيان وهو يعدو، فقال: من هذا؟ قالوا: بهلول المجنون. قال: كنت أشتهي أن أراه فادعوه من غير ترويع. فقالوا: أجب أمير المؤمنين. فعدا على قصبته. فقال هارون: السلام عليك يا بهلول. فقال: عليك السلام يا أمير المؤمنين. فقال: كنت إليك مشتاقاً. قال: لكني لم أشتق إليك. قال: عظني. قال: وبم أعظك؟ هذه قصورهم وهذه قبورهم. فقال: زدني فقد أحسنت. فقال: من أعطاه الله مالاً وجمالاً فعفّ في جماله وواسى في ماله، كتب في ديوان الأبرار. فظنّ هارون أنه يريد منه شيئاً. فقال: أمرنا بقضاء دينك. فقال بهلول: لا، إنه لا يقضى دين بدين، اردد الحق على أهله واقض دين نفسك. فقال: قد أمرنا أن يجرى عليك. قال: أترى الله يعطيك وينساني، ثم ولّى هارباً. وروي بإسناد آخر: أنه قال لهارون: يا أمير المؤمنين، فكيف لو أقامك الله بين يديه فسألك عن النقير والفتيل والقطمير؟ قيل: فخنقته العبرة. فقال الحاجب: حسبك يا بهلول، قد أوجعت أمير المؤمنين. فقال هارون: دعه. فقال بهلول: إنما أفسده أنت وأضرابك. فقال هارون: أريد أن أصلك بصلة. فقال بهلول: ردّها على

فوقف قبال الكف ورفع يده وقد قبض أصابعها إلاّ إصبعي السبابة والوسطى ، وإذا بالكف الخارجة من دجلة تغوصُ في الماء وتغيب ، فتعجب الناس من هذا الحادث وسألوا بهلولاً عن السبب؟ .

---

من أخذت منه. فقال هارون: فحاجة. قال: لا تراني ولا أراك. ثم قال: يا أمير المؤمنين ، حدّثنا أيمن بن نائل عن قدامة بن عبد الله الكلابي قال: رأيت رسول الله ﷺ يرمي جمرة العقبة على ناقة له صهباء لا ضرب ولا طرد ، ثم ولى بقصبته وأنشأ يقول:

فعدك قد ملكت الأرض طراً ودان لك العباد فكان ماذا

ألست تموت في قبر ويحوي تراثك بعد هذا ثم هذا

ثم إن بعض الخلفاء قال لبهلول: أتريد أن أحيل أمر معاشك إلى الخزانة حتى لا تكون في تعب منه طول حياتك. فقال: أرضى به ، ما خلا من معايب ، أولها: إنك لا تدري إلى ما أحتاج حتى تهيئه لي. ثانيها: إنك لا تدري متى أحتاج حتى لا تتجاوزه. ثالثها: إنك لا تدري مقدار حاجتي حتى لا تزيد عنه ولا تنقص فتبتليني ، والله الذي ضمن رزقي ، يدري جميع هذه الثلاثة مني ، مع أنك ربما غضبت عليّ فحرمتني ، والله سبحانه وتعالى لايمنعني فضله ورزقه وإن كنت عاصياً له بجميع أعضائي وجوارحي.

ويذكر في التاريخ أن بهلولاً مرّ بهارون العباسي وقد بنى قصراً جديداً فقال لبهلول: اكتب شيئاً على هذا القصر ، فأخذ بهلول قطعة من الفحم وكتب: رفعت الطين ووضعت الدين ، ورفعت الجص ووضعت النص ، فإن كان من مالك فقد أسرفت والله لا يحب المسرفين ، وإن كان من مال غيرك فقد ظلمت والله لا يحب الظالمين.

ومن وصايا بهلول: اجعل جوارحك مطيتك واحمل عليها زاد معرفتك واسلك بها طريق مبغضك فإن ذكرتك ثقل الحمل فذكرها عاقبة البلوغ. للمزيد راجع عقلاء المجانين للحسن بن محمد النيسابوري ومجالس المؤمنين.

قال : إنّ الكف كانت تشير إلى أنه لو اتحدّ خمسة تمكنوا من التقدم ، لكني أشرت اليها بأنه لو اتحد إثنان تمكّنا من التقدم ، ولما رأت الكف صدقي غابت بعد أن وصلت إلى مرادها من توعية الناس إلى طريق التقدم .

فهل هذا صحيح؟ نعم مائة في المائة ، ولكن بشرطها وشروطها .

من المعروف أنّ كفاً واحدة لا تُحدث صوتاً إلاّ إذا انضمت إليها أكفٌ أخرى ، وهذا غير صحيح .

جرّب : اضرب يدك على الحائط أو أي جسم صلب ثم انتظر هل تُحدث اليد الواحدة صوتاً؟ أليس أول كل حركة فكرة إنسان ثم إنسان ثان ثم ثالث : وهلمّ جرّا .

الرسول الأعظم ﷺ كم فرداً كان أول ما نزل عليه الوحي؟ وكم فرداً كان السيد المسيح عليه السلام ، وكم فرداً كان موسى عليه السلام ،وكم فرداً كان غاندي[1]؟ .

فكل الأديان والمذاهب والتيارات حقاً كانت أو باطلاً ابتدأت بفرد ،

---

(١) المهاتما غاندي ، ولد في «بور بند» الهندية سنة ١٢٨٦هـ (١٨٦٩م) ، واغتيل سنة ١٣٦٧هـ (١٩٤٨م) ، بدأ كفاحه السلمي لتحرير الهند سنة١٣٣٧هـ (١٩١٩م) ، وتزعم حزب المؤتمر ، سعت جهوده إلى تحرير الهند من الاستعمار البريطاني ، عبر وسيلة المقاومة السلمية ـ اللاعنف ـ والعصيان المدني والصوم ، وقد كلّفه صراعه أن يدخل السجن عدّة مرات ، من مؤلفاته : «قصة تجاربي مع الحقيقة».

أما شرطها وشروطها ، فالشرط الأساسي هو «الاستقامة» ، والشروط هي : الحزم والصبر ومعرفة الظروف والاستفادة من الفُرص .

ولعلّ الكفّ التي ظهرت في نهر دجلة إن كان الأمر واقعاً كانت تُشير إلى إمكان التخلص من هارون وظلمه بالاتحاد أو كانت تشير إلى إمكان خلاص الإمام عليه السلام من السجن بالاتحاد ، وسواء أكان هذا أم ذاك فلم يعمل المسلمون للتخلص من هارون وعصره المُظلم الأسود .

ولم يُقدم الشيعة على تخليص الإمام عليه السلام من السجن فذاقت كلتا الطائفتين وبال عدم عملهما .

# ربَّ مشهور لا أساس له

اشتُهر عند جماعة من المغفلين تسمية عصر هارون العباسي[1] بالعصر

---

(١) هارون بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور ، خامس خلفاء بني العباس والبالغ عددهم ٣٧خليفة ، ولد في مدينة ري الإيرانية . وتقع في أطراف طهران الحالية . سنة ١٤٨هـ (٧٦٥ م) ، ومات في جمادى الأولى سنة ١٩٣هـ (٨٠٩ م) في قرية سناباد عندما ذهب إلى خراسان لقمع ثورة رافع بن الليث عن عمر يناهز ٤٧ سنة ، وحكم سنة ١٧٠هـ (٧٨٦م) ، وامتد حكمه ٢٣ سنة وشهراً وتسعة عشر يوماً ، وخلف عشرين ولداً نصفهم ذكور ونصفهم إناث ، واتّسم حكمه بالظلم والاستبداد وعلى الخصوص لأئمة أهل البيت عليهم السلام و أتباعهم ، فقد قتل الإمام الكاظم عليه السلام بعد أن سجنه عشر مرات في البصرة وبغداد ، وكذا قتل الطالبيين. وكان هارون يسعى دائماً إلى طمس المذهب الشيعي ، والآثار الإسلامية ، وبالأخص العتبات المقدسة في مدينة كربلاء فقد هدَّم قبر الإمام الحسين عليه السلام وحرث الحرم وقطع شجرة السدرة التي كانت معلماً لإرشاد الزائرين وذلك سنة ١٩٣هـ ، وقد أضحى العلماء في عهده يتحامقون أمثال بهلول بن عمرو وعليان وعيناوه ، ومن وسائل قتله للأبرياء هو بناء الأعمدة المجوَّفة ووضع الإنسان فيها ثم سد فوهة العمود فيبقى المعذب فيه حتى يأتيه الموت بتلك الحالة ، وبنى سياسته ضد خصومه على أسلوب خلق الفتن والتآمر والاغتيال والدعاية في طعن النسب وفي الإيديولوجية وفي الهجوم العسكري إن تسنى له ذلك ، واهتم بالغناء والمغنين وقرّب الكثير منهم

الذهبي ، لنرى هل صحيح هذا أم مغالطة؟ أم أنّ ذلك من قبيل قلب المفاهيم كما يُسمى الأسود أبيض والأعمى بصيراً.

إنّه يكفي للدلالة على ظلم هارون أن نعرف أنه أقام حكومته على أجساد العلويين ، وكان يقتل في كل ليلة ستين علوياً بين شيخ وشابٍ ويلقي بجثثهم في البئر[1] ، لا لظُلم اقترفوه إلاّ لأنّهم قالوا له :

---

وأجزل العطاء عليهم وكان يجمعهم في مجلس واحد ويقترح عليهم في الأصوات ليطرب هو ومن معه ، وقد اختار له إسحاق الموصلي من الغناء مائة صوت ، عرفت بالأصوات المائة المختارة ، التي وضع أبو الفرج الأصفهاني فيها كتاب الأغاني. وكان أخو هارون ، إبراهيم ، المعروف بابن شكلة قد بلغ منزلة بالغناء والعزف والمنادمة حتى اشتهر بشيخ المغنين ، وقد ذكر في التاريخ أنه لما عجز إبراهيم عن توزيع عطاء الناس؛ لصرفها في ملذاته ، قال قوم من أهل بغداد هازئين مستهزئين: «أخرجوا لنا خليفتنا يغني لأهل هذا الجانب ثلاثة أصوات ولأهل هذا الجانب ثلاثة أصوات فتكون عطاءً للجميع» ، وكانت أخت هارون ، علية ، تغني وأخوها الآخر ، يعقوب ، يزمّر لها على الغناء. وقد قال الشاعر أبو فراس الحمداني مقارناً بين أفعال العباسيين والعلويين قائلاً:

منكم علية أم منهم وصاحبكم ... شيخ المغنين إبراهيم أم لهم

تبدو التلاوة من أبياتهم سحراً ... ومن بيوتكم الأوتار والنغم

ليس الرشيد كموسى في القياس ولا ... مأمونكم كالرضا إن أنصف الحكم

راجع معجم البلدان: ج٤ ص١٦٥ ، الأعلام للزركلي: ج٨ ص٦٢.

(١) ذكر عيون أخبار الرضا بسنده عن عبيد الله البزاز النيسابوري عن حميد بن قحطبة والي خراسان؛ إنه قتل في ليلة واحدة بأمر هارون في طوس ستين نفساً من العلويين طرح أجسادهم في بئر هناك.

قف عند حدّك ولا تتخذ مال الله دولاً وعباده خولاً ، ويكفي قتله للإمام موسى بن جعفر عليه السلام بعد أن سجنه وقد أطال سجنه لا لجرم ارتكبه ، إلاّ لأنه عالمٌ عابدٌ مصلٍ صائمٌ يهدي إلى الحق ، ويرشد إلى الصواب ، وفي دولة هارون كان الفجور والخمور والخلاعة المنتشرة في البلاط العباسي ، وكان هارون أول من يعقر كاسات الخمر مع ندمائه من أمثال أبي نُواس[1] ، ولا مكان للأخيار في حكم هارون العباسي ، ثم ماذا كانت حصيلة ذلك المُلك العريض الذي يُقال عنه إنه كان يقول للسحابة : «أمطري حيث شئت فسيأتيني خراجك»[2] .

فهل كان في عهد هارون اختراعٌ علمي بالمستوى المطلوب؟ .

أم تقدمٌ فكري؟ .

أم تقدّم حضاري؟ .

---

(١) وقد عد بعض المؤرخين أن هارون أول من جعل للمغنين والمغنيات مراتب وطبقات ، اقتداءً بـ «أردشير وكسرى» حكام فارس ، وأنه أول خليفة لعب بالكرة والصولجان وهي لعبة فارسية ، وأنه كثر في زمانه لعبتا الشطرنج والنرد.

(٢) ولا يخفى عدم صحة هذه المقولة ؛ لأنه انفصلت عن الدولة العباسية الأدارسة في المغرب ، والسامانية في خراسان وما وراء النهر ، والغزنوية في أفغانستان ، والأموية في الأندلس ، والرستمية في المغرب الأوسط ، ولو سلمنا بصحة هذه المقولة فما قيمة الملك الواسع والعريض والناس يعيشون في كبت واضطهاد وذل ومهانة ، ألم يكن لجنكيزخان وهولاكو وهتلر البلاد الواسعة والمُلك العريض ؟!.

هـل تم اكتشـافٌ عـلمي في عهـد هـارون العباسـي بالمسـتوى المطلوب؟ .

إنّ من المخجل حقاً أنْ يُسمّى عهد هارون بالعصر الذهبي وهو الذي يسهر الليالي مع الغلمان والجواري ، يعقر الخمور ويرتكب الفجور ، لقد فاتت هارون الفرصة الذهبية . فكان باستطاعته أن يجهِّز الجيوش لنشر دين الله الحنيف ، وكان بمقدوره أن ينشر الفضيلة والتقوى ، وكان باستطاعته أن يفتح في كل قرية مدرسة لكثرة العلماء ولوفرة الأموال ، فماذا فعل هارون حتى يستحق هذا اللقب؟ .

هل ترك شيئاً يستحق الذكر والتفاخر؟! ، فهؤلاء البابليون والكلدانيون والفينيقيون والسومريون والآشوريون والفراعنة والساسانيون وغيرهم ذهبوا وتركوا لنا آثاراً تدل على حضارتهم وتقدمهم .

أما هارون فماذا ترك لنا وذهب؟ .

أجل ترك لنا قصائد المجون التي كانت تُتلا في مجالسه .

ترك لنا حفلات الرقص والغناء والزنا وصنع المخنثين وشرب الخمور ولعب القمار .

ترك لنا كبت الحريات وخنق الأنفاس وإشاعة الفوضى وقتل الأبرياء .

لقـــد بـــيّض هـــارون العباســـي وجـــه جنكـــيز خـــــان[1] ،

---

(١) تيمو جين بن يشوكي والمشهور بـ(جنكيز خان) ، مؤسس الإمبراطورية المغولية ، ولد سنة ١١٩٢م ومات إثر سقوطه عن صهوة جواده سنة ١٢٢٧م ، تولى الحكم وراثة وهو ابن الثالثة عشرة من العمر ، وبفترة وجيزة أبرز شجاعته وجلده وقوته العسكرية وشرع في بناء إمبراطورية عظمى ، حكم من سنة ١٢٠٦م واستمر في الحكم إلى سنة ١٢٢٧م ، واستطاع خلال هذه الفترة أن يوحد القبائل المغولية الوثنية المتنقلة وتوجيهها للفتوحات ، وأخضع الكثير من البلدان لحكمه ، منها : منغوليا سنة ١٢٠٦م والصين سنة ١٢١٥م ، وفارس وأفغانستان وأرمينيا والهند وقسم كبير من روسيا ، وعرف بالبطش والقتل وحبه للدماء ، وقد ذكر الإمام الراحل ﷺ بعض جرائم المغول وعلى رأسهم جنكيز خان في كتابه الصياغة الجديدة ص٣٥٤ ومصدره كتاب أسرى الحرب ، ما نصه : «وفي حروبهم اشتبكوا مع شاه «خوارزم» ، علاء الدين ، فأحرق المغول مدينة «بخارى» ونهبوا ثرواتها واغتصبوا النساء وسيق الأسرى إلى «سمرقند» ، ولما صعب عليهم اللحاق بالفرسان ، أمر جنكيز خان بقتل كل من يتخلّف عن السير ، واستحالت «بخارى» إلى أنقاض وخرائب. ولاقت مدينة «سمرقند» المصير نفسه ؛ حيث نهبت وقتل السكان وأسروا ٣٠ ألفاً من أمهر الصنّاعين وأرسلهم جنكيزخان إلى أبنائه في الشمال ، كما جنّدوا عدداً كبيراً لاستخدامهم في الأشغال العسكرية والنقل. وفي مدينة «خراسان» ، جمعوا الأهالي في ساحة واسعة وأمروهم أن يُكتّف بعضهم بعضاً ثم شرعوا بذبحهم ، فقتلوا سبعين ألفاً. ولما احتلوا مدينة «مرو» ، وزّعوا سكانها على المحاربين المغول ووزّع كل منهم نصيبه ، ولم يُبقوا إلاّ على أربعمائة صانع لحاجة الجيش إليهم ، وعلى بعض الأفراد لاتّخاذهم عبيداً ، ولاقت بقية المدن نفس هذا المصير. ولما سمع المغول أن بعض الأهلين رقدوا بين جثث القتلى ، أصدر الأوامر بفصل الرؤوس عن أجسادها واتبعوا ذلك في جميع معاركهم اللاحقة. وكانوا يطاردون الفارّين كما يطارد الصياد فريسته. واستخدموا شتى

.................................................................................................

أنواع الحيل لإخراج المختبئين من مخابئهم ، مثلاً : أرغموا مؤذناً من أسراهم على الأذان للصلاة ، وخرج المسلمون من مكامنهم معتقدين بذلك ، ذهب الغزاة الذين كانوا لهم بالمرصاد فأبادوهم. وكانوا يحرقون الغلات والمحاصيل قبل مغادرتهم المدن ليموت من اختبأ أو فرّ من السكان جوعاً. وكانت سياسة جنكيز خان في حروبه ذبح جميع جنود الحاميات وسكان المدن والسلب والنهب وغرق الأسرى ، وإذا قاومت مدينةٌ المغولَ ، صنعوا بها الأفضع ، فقد قاومت «نيسابور» بضعة أيام فكان جزاؤها ذبح الرجال والنساء والأطفال. وعندما هجم المغول على مدينة بغداد ، حاصروها أربعين يوماً ونصبوا المنجنيقات على جميع القلاع والحصون وأمطروها بالحجارة والنار المشتعلة وأحدثوا ثغرة كبيرة في أسوارها وأحرقوا المنازل ، ولما رأى الخليفة العباسي أنه لا علاج إلا بالصلح ، طلب الصلح وأبدى استعداده للتسليم شريطة الإبقاء على حياته وحياة السكان ، وخرج مع ثلاثة آلاف من القضاة والأعيان والأشراف لملاقاة هولاكو ، فخان الاتفاق وغدر بهم كما فتك بسكان المدينة ، فأمر هولاكو بنهب المدينة وذبح سكانها ووطئت أجساد المستغيثين بحوافر الخيل واغتصبت النساء ، وسالت الدماء في الشوارع مدة ثلاثة أيام حتى أصبح ماء دجلة لعدة أميال أحمر قانياً. واستبيحت المدينة ستة أسابيع ، فذبحوا السكان وانتهكوا الحرمات وأحرقوا الدور وتهاوت القصور وتقوضت الجوامع والضرايح بسبب النار أو بسبب المعاول ، وذبحوا المرضى في المستشفيات ، وقتلوا طلاب العلم والأساتذة في المدارس ، ونبشوا قبور الأولياء وأضرحة الأئمة الصالحين ، وأحرقوا جثث الأموات ، واستمرت المذابح عدة أيام ، وأمست مدينة بغداد خراباً بلقعاً ، وهلك من سكانها أكثر من مليون ونصف. وعبر المغول الفرات متجهين صوب الجزيرة يطاردون الأهلين فيقتلون ويسلبون ، فأبادوا جميع سكان مدينة «ألرها» و«جران» و«نصيبين» وذبحوا في مدينة «حلب» خمسين ألفاً وسبوا عشرة آلاف من نسائها وأطفالها. وفعلوا أيضاً في غالب بلاد الإسلام هذا الفعل ، مثلاً : لما علم تيمورلنك بمقتل جماعة من رجاله وجنوده الذين دخلوا مدينة

ونـــــــــيرون[1] ، وهـــــــــتلر[2] ، وموســـــــــوليني[3] ،

«أصفهان» غضب وأصدر أمره إلى الجيش باقتحام المدينة وأن يعود كل جندي مع رأس قتيل من أهلها ، ونفذ الجيش الأمر وتحولت المدينة إلى مجزرة بشرية مروعة ، وتكدست عند المساء سبعون ألف جمجمة من الضحايا ، فأمر تيمور أن تقام منها أبراج في شوارع المدينة».

(١) لوسيوس دو ميتيوس والمشهور بـ«نيرون» ، رابع أباطرة وملوك الرومان ، الذين حكموا البلاد بالحديد والنار من سنة ١٤م وإلى ١١٧م والبالغ عددهم اثني عشر شخصاً ، ولد «نيرون» سنة ٣٧م ، وحكم أربع عشرة سنة منذ سنة ٥٤م وإلى ٦٨م ، واتّسم حكمه بالاستبداد والديكتاتورية والطغيان والوحشية حتى إنه قتل أمّه سنة ٥٩م وزوجته سنة ٦٢م وأحرق روما سنة ٦٤م ، ومثالاً على استبداده أنه : «سأل «آغربين» ، الشاعر ؛ وهو تحت النطع : من أشقى الناس ؟ ، فأجابه معرّضاً به : من إذا ذكر الناس الاستبداد ، كان مثالاً له في الخيال» ؛ كما ورد في طبائع الاستبداد ص٥٨ للكواكبي ، انتحر بخنجر أغرزه في عنقه سنة ٦٨م ؛ بعد أن ثار عليه القادة العسكريون في إفريقيا وإسبانيا ، وعاش ٣١ سنة.

(٢) أدولف هتلر ولد في النمسا سنة ١٨٨٩م ، وانتحر في برلين سنة ١٩٤٥م ، تسلم مقاليد الحكم في ألمانيا سنة ١٩٣٤م ، أدت سياسته المتعجرفة إلى نشوب الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩م ، والتي ذهب ضحيتها قرابة الخمسين مليونَ إنسانٍ ، وخسر المعركة بهجومه على روسيا سنة ١٩٤٣م ، من مؤلفاته كتاب : «كفاحي».

(٣) بنيتو موسيليني ، ولد سنة ١٨٨٣م ، وقتل في ٢٨ نيسان ١٩٤٥م ، مؤسس الحزب الفاشي الإيطالي في ميلانو سنة ١٩١٩م ، زحفت ميليشياته على روما سنة ١٩٢٢م وأسندت إليه الوزارة ، أصبح رئيساً لإيطاليا في نفس السنة ، أنشأ مع هتلر محور روما ـ برلين سنة ١٩٣٦م ، تحالف مع هتلر في الحرب العالمية الثانية ، وأدّت هزيمة قواته إلى سقوطه ، أُقصي من الحكم سنة ١٩٤٣م ثم أعاده الألمان إلى

وستالين[1] وأضرابهم.

إن من المخجل حقاً أن يأتي أديسون[2] بموارده المحدودة بثلاث آلاف اختراع، أحدها الكهرباء ويؤتى بمُلك هارون الواسع والعريض ببضع ترجمات لبعض الكتب وساعة - إن صحت هذه المقولة -، فعلى أي منطق يُسمى هذا العصر بالعصر الذهبي؟!

---

الحكم مرة أخرى سنة ١٩٤٤م.

(١) جوزيف ستالين، ولد سنة ١٨٧٩م، ومات سنة ١٩٥٣م، أصبح الأمين العام للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي - السابق - سنة ١٩٢٤م، واستمر إلى سنة ١٩٥٣م وأصبح رئيساً للجمهورية بين الفترة ١٩٤١- ١٩٥٣م، اتّسم حكمه بالاستبداد والديكتاتورية، وقد قضى على خصومه في محاكم صورية، وقتل من الشعب أكثر من عشرين مليوناً لأجل تحويل النظام الزراعي التقليدي إلى المزارع الجماعية أو المزارع الحكومية. وقد سبب هذا التحويل سحق الطبقة الوسطى في المجتمع ممّا أدّى إلى خفض الإنتاج الزراعي، ونقص الملايين من رؤوس الماشية، وإحداث مجاعات في البلاد وعلى الخصوص في أوكرانيا وشمال القفقاز.

(٢) توماس أديسون، ولد سنة ١٨٤٧م، وتوفي سنة ١٩٣١م، عالم فيزيائي إمريكي، مخترع الآلات الكهربائية ومنها المصباح الكهربائي.

# إقصاء العلماء عن الحياة

برع الغربيون وعملاؤهم في العراق في ابتكار آخر الأساليب والطرق التي تكفل لهم إزاحة علماء الدين والمتدينين عن مراكز الحكم ، مستخدمين شتى الحيل في ذلك ، مثل : أسلوب الاتهام وأسلوب التجميد وأسلوب القتل والتشريد وأسلوب الإغراء .

فقد كان العلماء مُتّهمين بمختلف التّهم المزعومة ، اتُهموا بالتجسس والعمالة كما كان يحدث في زمن الملكيين والجمهوريين في العراق ، وكان الإنجليز إذا أرادوا تحطيم سمعة عالم من العلماء ، اتهموه بالعمالة لهم .

واستخدموا أساليب التجميد ، فقد رأيتُ شخصاً كبيراً ، التفّ حوله جماعة من المرتزقة ، وأدخلوا في روعه أنهم ثقات ، ثم جمّدوه عن التحرك بوحي من عملاء المستعمرين .

وأما أسلوب القتل والتشريد ، فالجميع يعلمون ، كم قتلوا ، وكم شردوا من رجال العلم ومن المتدينين؟ .

وأما أسلوب الإغراء ؛ فأتذكر أن السلطات كانت تمدح كل رجل دين لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر ولا يتدخل في الأمور الاجتماعية ،

وكـان الرؤسـاء والمسؤولون يـزورون كل من هو على هذه الشاكلة ، بينما كانـت الحكومـة تهمـل زيارة العالم النشط وتذمُّه قائلةً له : ما له والتدخل في الشـؤون السياسـية؟! فالواجـب علـيه أن يصـلّي جماعـة وأن يسـتخير ويُجيب عن الأسئلة الفقهية فقط .

وفي نظر السـلطة أن واجـب الخطيـب هـو وعـظ الناس وإرشادهم فقط وتعليمهم الصلاة والصيام ثم ذكر مصيبة الإمام الحسينعليه السلام .

وأخـذت هـذه الفكرة ، تنتشر في المجتمع ، فالناس على دين ملوكهم ، وهكـذا حـتى وصـلت الحالـة إلى أن «ذكـر المقارنـة بـين الدجاجـة المحلـية والدجاجة الأمريكـية» ، صـار سياسـة . وأن الـتكلُّم حـول تحريف الـيهود للقرآن ، صار سياسة ، وهي أمور محظورة! .

وقامـت السـلطات باعتقال أحد الكتّاب ؛ لأنه كتب كتاباً حول تحريف اليهود للقرآن الكريم[1]! .

---

(١) يقـول الكاتـب الـيهودي إيـرل يوغـر في كتابه العهـد والسـيف الصـادر سـنة ١٩٦٥م : «يجـب القضـاء على جميع العناصر التي تغذي شعور العداء ضد إسرائيل في العالم العربي. وهـي عناصـر رجعية تتمثل في رجال الدين والمشايخ».

# الاستعمار ورجال الدين

ومن باب الطريفة : أنّ خطيباً صعد المنبر وقال : أيها الناس ، إن الإمام الحسين عليه السلام ، أصابه الزكام في المدينة المنورة في يوم من الأيام ، ثم اشتدّ مرضه ، ولم ينفعهُ معالجة الأطباء حتى ابتلي بمرض ذات الرئة ، وتوفي هناك ، ثم شيع جثمانه تشيعاً لائقاً به وصلى عليه ولده الإمام السجاد عليه السلام ، وأودع في البقيع على رسم الأمانة ، ثم نقُل جثمانه الطاهر إلى كربلاء المقدسة .

ثم نزل الخطيب من المنبر بعد أن أدّى مراسم الدعاء ، فضج الناس لكلامه هذا ، مستنكرين هذا التحريف ، وانتشر خبر الخطيب في الأرجاء ، فاستدعي من قبل السلطة ؛ يسألونه عن كلامه هذا وما مغزاه ، وأرادوا إدانته ؛ لأنه تسبب في البلبلة .

قال لهم الخطيب : إنكم تمنعون الخطباء من التكلم في هذا الموضوع ، فإذا قلتُ : يزيد بن معاوية الخمار ، أو يزيد المستبد ، أو يزيد اللاعب بالكلاب قتل الحسين العابد ، الزاهد ، المصلّي ، الصائم ، الآمر بالمعروف ، والناهي عن المنكر ، والمجاهد في سبيل الله ، قلتم : لِمَ ذَكَرت

الخمر ، وذكرت الاستبداد ، وذكرت لعب الكلاب ، وذكرت الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وذكرت الجهاد؟!

وإذا لم أذكر هذا وذاك ، فعلموني كيف أذكر مصاب الإمام الحسين عليه السلام ، وماذا أقول فوق منبري؟ وهل تأمرون بأن أترك المنبر وأصبح بقالاً؟!

هكذا استطاع المستعمرون وأذنابهم ، أن يصادروا الوعي من عند المسلمين ، وتبعاً لانعدام الوعي أصبح المسلم يظنّ أنه غير مسؤول ، ولذا أخذ كلٌّ جانباً ، وتجنّب العمل ، خصوصاً العمل الاجتماعي الذي هو المقصود في ما نحن فيه ، وإذا أراد الإنسان العمل ، نصحه أصدقاؤه بترك العمل ؛ خوفاً من المشاكل ، وحتى إذا تبنى العمل ، فإنما يتبناه إذا كان عملاً سطحياً ، ويتجنب الأعمال التي فيها عمق .

إنّي رأيتُ أشخاصاً ، يتجنّبون التفاف الشباب حولهم خوفاً من أن يُقال لهم : إنّه «حزبي» ، كما رأيت شباباً يتجنّبون العمل خوفاً من التهمة نفسها ، كما رأيت أناساً يتجنبون التكلُّم حول الاقتصاد ، والحريات الإسلامية ، وحقوق العامل والفلاح ؛ خوفاً من أن ينسب إليهم التبعية للرأسمالية أو الشيوعية .

إنَّ عملية الإنقاذ بحاجة ماسَّة إلى العمل ، والعمل لا يثمر إلاّ عندما يصبح عملاً جمعياً ، فالعمل الفردي فوائده قليلة جداً فـ «يد الله مع

الجماعة»[1] ، والعمل الجمعي لا يكون إلاّ بالوعي ، والوعي له مقومات من أهمها : الرؤية الثاقبة ، والممارسة الصحيحة . فبدون الرؤية ، لا يتحقق الوعي ، كما وأنه بدون الممارسة لا تكمل الرؤية ، قال الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[2] فالهداية الكاملة إنما تكون بممارسة الجهاد .

إنَّ مثل الهداية مثل الاكتشاف ، فكل اكتشاف يفتح للإنسان الباب لاكتشافٍ آخر مكمّل للاكتشاف الأول .

كذلك الجهاد ، وهو من ثمرات الهداية البدائية فهو سببٌ للهداية الكاملة ، ولذلك قال سبحانه : ﴿سُبُلَنَا﴾ بلفظ الجمع لا بلفظ المفرد .

وكيف كان ، فاللازم على المتدينين أن يزدادوا وعياً ، وأن يعودوا بقوة إلى مزاولة الحياة ، سياسياً ، واقتصادياً ، وغير ذلك من سائر الحقول ، وإلاّ فمادام المتدينون منسحبين عن الحياة لا يتمكنون من إقامة كلمة الله وحكم الله في الأرض ، فالكلمة والحُكم لمن سيطر ، محقّاً كان أم على باطل .

---

(١) إشارة إلى الحديث الوارد في نهج البلاغة: الخطبة ١٢٧ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٠ ص٢٨٠.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٦٩.

# من مقومات الحركة

من أهم مقومات أية حركة هم الجماهير ، فمن فقد الجماهير ؛ لا يتمكن من الحركة ، ومن وحّد الجماهير ، تمكّن من الحركة ، والجماهير كانوا ولا يزالون على نمط واحد ، فبمقدار ما تتمكن الحركة من كسب الجماهير ، تتمكن من الوصول إلى أهدافها ، وإلاّ فهي لا تقدر على شيء .

إنَّ العالِم الديني الذي لا جماهير له ، لا مقلّدين له أيضاً ، والخطيب الذي لا جماهير له ، لا يُسمّى خطيباً ، والمؤلف الذي لا جماهير له ، لا قيمة لكتبه ، والإمام الذي لا جماهير له ، لا يتمكن من إقامة صلاة الجماعة ، وحتى الحاكم الذي لا جماهير له يسقط بصورة طبيعية ، أو يُسقطونه بالقوة ، لذا فإنّ من أراد العمل ، أول ما عليه هو الحفاظ على الجماهير بكل ثمن ، والإنسان إذا لاحظ المصلحين والمراجع الكبار ، رأى أهم ميزة فيهم أنَّهم يلاحظون الجماهير ، حتى قال رسول الإسلام صلى الله عليه وآله : **(إنه ما من مرة نزل عليّ جبرائيل إلاّ وأمرني بمداراة الناس)**[1] ، فمن

---

(١) فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله الحديث التالي : (أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني

تبجّح بأنه صريح ، وأنّهُ لا يعرف المداراة ، يجب عليه أن يعيد النظر في تعامله ، فالمداراة هي أساس النجاح في العمل ، مثلاً الخطيب الصريح الذي يستمع إلى مواعظه ألف إنسان ؛ يجب أن يعلم أنه إذا كان مُدارياً ، كان سامعوه خمسة آلاف .

كما وأن توحيد الفئات ، ورصّ الصفوف بحاجة إلى المداراة ، والمداراة لا تعني ألاّ يكون الإنسان صريحاً بل يجب أن يكون صريحاً بتعقل وحكمة . وهذا معنى المداراة[1] .

---

بأداء الفرائض) الكافي (أصول): ج٢ ص١١٧ ح٤ ، وسائل الشيعة: ج١٢ ص٢٠٠ ب ١٢١ ح١٦٠٨١ ، وورد أيضاً: (أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بتبليغ الرسالة) مستدرك الوسائل: ج٩ ص٣٥ ب١٠٤ ح١٠١٣٤.

(١) للمزيد من التفصيل راجع كتاب الوصول إلى حكومة واحدة إسلامية للإمام المؤلف ﷺ.

# مداراة المجدّد الشيرازي

يُنقل عن المجدد الشيرازي ﷺ أنّهُ وكّل عالماً على بلده ، وبعد مدة قصيرة تصرَّف ذلك العالم ببعض التصرفات غير اللائقة ، وجاء بعض الثقات إلى المجدد ، وأخبروه بتصرف ذلك العالم المشين ، وطلبوا منه عزله ، لكن المجدد لم يعزلْه . وتكرّر الأمر في المرة الثانية والثالثة ، وفي كلِّ مرَّةٍ ، كانوا يراجعون المجدد ، و المجدد لا يحرك ساكناً حتى طار صوابهم ، فقالوا للمجدد بعد نفاذ صبرهم : هل أنتم في شك من كلامنا؟! .

قال المجدد : كلا ، فإني أعتقد بما تقولون ، ولكني أفكرُ في شيء وهو أنّ هذا العالم ، كان له من المنزلة عند الناس مقدار خمسين في المائة ـ مثلاً ـ ووكالتي له زادته خمسين في المائة أخرى ، فصار اعتباره مائة في المائة ، فإذا عزلته أخذتُ منه ما كان له وما زدته أنا ، ولا يحقّ لي شرعاً أن آخذ ما كان له ، ولذا أفكرُ في طريقة أستطيع بها أن آخذ ما زدته وأبقي ما كان له من الخمسين ـ مثلاً ـ .

**أقول** : مثل هذا المرجع المداري للناس إلى هذا الحد ، يستطيع أن يحقق وحدة الصف ، وبالتالي يتمكن ومن خلال الوحدة أن ينسف المستعمر بفتوى واحدة .

# جاسوس بزيّ راهب

روى لي أحد الثقات ، قال : جاء إلى مدينة كربلاء المقدسة أحد الوزراء في العهد القاجاري[1] ، وكان صديقاً لي ، وإنّه حكى لي هذه الحكاية :

قال الوزير : كان في بعض الجبال الموجودة في أطراف طهران راهب مسيحي ، يتعبّد لله في صومعته منذ عشرات السنين ، وكان بمرأى ومسمع من القوافل الذاهبة والعائدة ، وكان الناس معجبين بعبادته وانقطاعه عن الناس .

(١) القاجاريون: سلالة إيرانية ، حكموا منذ سنة ١٢١٠هـ (١٧٩٥م) وإلى سنة ١٣٤٣هـ (١٩٢٥م) ولمدة ١٣٣سنة ، وعدد ملوكهم سبعة ؛ أوّلهم محمد فتح علي شاه وآخرهم أحمد شاه ، وأبرز ملوكهم فتح علي شاه وناصر الدين شاه ومظفر الدين شاه ، وفي عهدهم دخلت إيران في السلك الأوروبي ، وخسرت مدينة باكو وجورجيا ومعظم أرمينيا الفارسية ؛ بعد أن استولت عليها روسيا القيصرية ، وأطاح بسلالتهم رضا بهلوي سنة ١٣٤٣هـ (١٩٢٥م). للتفصيل عن قبيلة قاجار راجع أعيان الشيعة : ج٣ ص ١٢٠.

وفي ذات يوم جاءني إنسان وقال : إنّ الراهب الفلاني يدعوك في يوم كذا في صومعته ، قال الوزير : فتعجبتُ وقلتُ في نفسي : ما للراهب ولي؟ ولكني لبّيت دعوته .

وفي اليوم المحدد ، ذهبتُ إليه ، وإذا بي أرى جماعة من الشخصيات أيضاً عنده مما تبين أنهم كانوا مدعوين ، مثلما أنا مدعوٌ ، وكل من جاء كان متحيراً من هذه الدعوة غير المرتقبة .

قال : فتكلّم الراهب ، وبلغ عمره مائة ونيفاً ، حسب ما يظهر من تقاطيع وجهه .

قال : قد انقضى عمري وقرب موتي ، ولا أظن أنّه بقي من عمري إلاّ أيامٌ معدودات ، وأني دعوتكم لأمرين :

الأمر الأول : أن أظهر الإسلام أمامكم ؛ لتشهدوا لي يوم القيامة عند رسول الله ﷺ بإسلامي ، فإذا متُّ جهّزوا جنازتي حسب المراسيم الإسلامية ، فإني بمطالعاتي اقتنعتُ أنَّ الإسلام على حقٌ ، وأنَّ المسيحية منسوخة .

الأمر الثاني : أُريد أن أُبيّن لكم حقيقة مهمة ، وهي : أني ومنذ شبابي أسكن هذا الجبل وفي هذه الصومعة ، وفي الظاهر أنا راهب ، ولكن في الباطن كنتُ جاسوساً بريطانياً على إيران ، وكنت مركزاً للأخبار التي أجمعها بواسطة عملائي عن العشائر والبلاد ، وكنتُ أراقب تحركات إيران ، وأُقدم التقارير حول هذا الأمر ، وقد تبتُ إلى الله عزّ وجلّ ،

ـ بعدما عرفت أحقّيّة الإسلام ـ عن سالف أعمالي وإني أعلمكم أن هناك من أمثالي الكثير في البلاد الإسلامية ، وهم جواسيس متلبسون بلباس الرهبانية أو الأطباء أو ما أشبه ذلك ، وأعمالنا الرئيسية هي الاستطلاع وإيجاد الفرقة والاختلاف بوسائلنا الخاصة ، فلا تعتمدوا بعد ذلك على مظهرنا الخارجي .

قال الوزير : إن الرجل قال كلامه هذا وقد تعجب الجميع من ذلك ، وكان عجبهم من الأمر الثاني أكثر من عجبهم من الأمر الأول ؛ إذ ليس هناك من يستطيع أن يستوعب أن مثل هذا الراهب المنقطع في هذا الجبل لعشرات السنين ، يصبح جاسوساً بهذا الزّي .

قال الوزير : ولم تمض بعد ذلك إلاّ مدّة قليلة حتى أُخبرنا بأنّه قد مات ، وعمل بحسب وصيته من تجهيزه ودفنه في مقابر المسلمين[1] .

---

(١) ومن نافلة القول نذكر القصة التالية : يقول طه الهاشمي : إنَّ شاباً مسيحياً من الموصل ، راجعني حينما كنت رئيساً لجمعية فلسطين ، وطلب إليّ أن أتوسط في إرساله مجاهداً إلى فلسطين ، فقلت له : إن الجمعية لا تبعث المجاهدين إلى فلسطين ، لأن مهمتها جمع المال للمنكوبين من أهل فلسطين. ولما لم يقتنع بهذا الجواب ، أتى إلى مركز الجمعية في يوم اجتماع هيئتها الإدارية ، وكرر الطلب. فأجيب بما قلت له قبلاً. وبعد بضعة أيام ، راجعني مرة ثانية ، والتمس مني أن أتوسط في تعيينه موظفاً ، وادّعى بأنه متخرج من مدرسة الصنائع. فقلت له : إن وزارة الدفاع نشرت في الجرائد حاجتها إلى متخرجي مدارس الصنائع ، فليراجعها. فذهب. ثم عاد ، وطلب مني مالاً ، فنهرته على ذلك. وبعد مدة من

**أقول :** المشكلة ليست في بعث الجواسيس إلى بلادنا ، المشكلة تكمن في ضعف الجسد الإسلامي وتمكن الجواسيس من اللعب بمقدرات المسلمين ، فالميكروب موجودٌ في الهواء دائماً لكن لا يصيب إلاّ الإنسان الضعيف قليل المناعة ، أما قويّ المناعة فلا يُصاب بالميكروب أبداً .

فالحكومة العثمانية[1] والحكومة القاجارية ، لم تكونا بالمستوى المطلوب ، ولم تكونا بالدرجة المثلى ، فبينما كان الغرب يتقدم أشواطاً إلى

---

الزمن علمت من رجل مسؤول أن الشاب المذكور اتصل برئيس المرافقين وأسرّه بأنني حرّضته على اغتيال شخصية عظيمة ، وأني وعدته بالمال. نقل رئيس المرافقين الخبر إلى الحكومة ، فاجتمع المسؤولون وتداولوا في الأمر ، فلم يصدقوه وتأكدوا مني أن المخبر مفترٍ كاذب. وطلب رئيس الوزراء من وزير الداخلية إعادة ذلك المفتري إلى بلده ، وقد اتّضح بعد مدة أن الشاب المذكور لم يبعد ، إنما استخدم في مطعم ضباط القوة الجوية.

لقد حاولت عبثاً أن أعرف الجهة التي دبرت ضدي هذه المؤامرة الحمقاء وأعلم الواسطة التي استخدمت الشاب في مطعم الضباط ولكن دون جدوى. راجع جريدة لواء الاستقلال تاريخ ١٠/ ١/ ١٩٥١م.

(١) تأسست الدولة العثمانية سنة ١٢٨١م وسقطت سنة ١٩٢٢م وعدد خلفائها ٣٧ خليفة أولهم عثمان الأول وآخرهم عبد المجيد الثالث الذي نفاه أتاتورك إلى مدينة نيس الفرنسية. ومن أخطر مثالبهم . إضافة إلى الفساد والاستبداد . هو ترك مصادر التشريع الإسلامي والتوسل بالقوانين الغربية الوضعية. للمزيد راجع كتاب موجز عن الدولة العثمانية للإمام المؤلف ﵀ .

الأمام ، كانت الحكومتان ترقدان في نومٍ عميقٍ ، وكانتا تكرران عبارة (**الإسلام يعلو ولا يعلى عليه**)[1] ، وكان حكامهما يعتقدون أنّ هذه العبارة كافية لصنع التفوّق ، ناسين أو متناسين الآية الكريمة : ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ**﴾[2] . والآية الكريمة ﴿**ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً**﴾[3] . والحديث الوارد عن أبي عبد الله عليه السلام : (**أبى الله أن تجري الأشياء إلاّ على الأسباب**)[4] .

لقد ولّى ذلك العهد ، ولم يعد للحكومة القاجارية ، ولا للحكومة العثمانية وجودٌ بيننا .

وهلُمّ إلى واقعنا اليوم :

فهل حكوماتنا اليوم بالمستوى اللائق ؟

وهل شعوبنا حسب الوصف المطلوب ؟

ذلك سؤالٌ يُجيب عليه منطق تأخر المسلمين القاتل . ومنطق تفوُّق

---

(١) متشابه القرآن : ج٢ ص٢١٢ ، نهج الحق : ص٥١٥ ، من لايحضره الفقيه : ج٤ ص ٣٣٤ ب٢ ح٥٧١٩ ، وسائل الشيعة : ج٢٦ ص١٤ ب١ ح٣٢٣٨٣ وص١٢٥ ب١٥ ح ٣٢٦٤٠ ، غوالي اللآلي : ج١ ص٢٢٦ ح١١٨ وج٣ ص٤٩٦ ح١٥ ، مستدرك الوسائل : ج١٧ ص١٤٢ ب١ ح٢٠٩٨٥ .

(٢) سورة الأنفال ، الآية : ٦٠ .

(٣) سورة الكهف : الآيات ٨٩ ، ٩٢ .

(٤) غوالي اللآلي : ج٣ ص٢٨٦ وقريب منه في بصائر الدرجات : ص٦ وص٥٠٥ وبحار الأنوار : ج٢ ص٩٠ ب١٤ ح١٤ وح١٥ ، وص١٦٨ ب٢٢ ح١ ط بيروت .

الغرب والشرق الساحق.

فمن غير المشكوك إخلاص بعض الجماعات في الشعوب ، ولكن هل الإخلاص وحده ينفعنا؟ ، إنَّه ما لم نأخذ نحن المسلمين بكل أسباب الدنيا ، بالإضافة إلى الأخذ بأسباب الدين ، لا يمكن أن نتفوق مطلقاً ، فإذا أخذنا بالدنيا وحدها ، وعلى فرض تمكننا الكبير في مجال الدُنيا وإحاطتنا الكاملة بها ، إلاّ أننا سنكون حينذاك مساوين لغيرنا في هذا المجال ، أما إذا أخذ بالدنيا وبالدين معاً فسنتفوّق على الآخرين ، ولَتقدمنا على الآخرين ؛ لأن ما عندنا ونحن متحدّون أكثر مما لدى الآخرين.

فلو جمعنا الموارد في بلادنا الإسلامية لكانت أكبر من موارد الولايات المتحدة وأكبر من موارد أية دولة عظمى أخرى.

ومعنى ذلك سيكون عالمنا الإسلامي هو القوة العظمى لكن هذا لا يتحقق إلاّ من خلال الدين.

فالدين وحده يوحدنا ويرتب صفوفنا.

أمّا إذا تخلينا عن الدين ، فسنبقى متفرِّقين متمزّقين ، والتمزّق لا يأتي إلاّ بالتراجع إلى الخلف ، بالإضافة إلى أنّ البعثرة والتشتت ستزيدنا ضعفاً على ضعفنا ؛ لأن الواحد منَّا سيُحارب الآخر ، وهذه هي النتيجة الحاسمة لكل بعثرة وتشتّت.

# تطويق الخلافة العثمانية

لقد اشتركت الحكومات الغربية بأجمعها في تمزيق الخلافة العثمانية ، وبالأخص دولة بريطانيا[1] ، ومن شاء المزيد من المعلومات في هذا المجال عليه بكتاب «أعمدة الحكمة السبعة» للورنس العرب ، وسيجد أن الدور الذي كان يقوم به لورنس هو توجيه فيصل بن الحسين توجيهاً مباشراً[2] ، وفيصل يومذاك كان من أبرز القادة العرب الذين قاموا بالثورة ضد العثمانيين .

إنّ فيصلاً وأمثاله ، كانوا يعملون من الداخل ، أمَّا الإنجليز والفرنسيون والروس ، فكانوا يعملون من الخارج ، حتى تمكنوا من هدم

---

(١) يقول كرزون وزير خارجية إنجلترا في مجلس العموم البريطاني بالنسبة للقضاء على الخلافة العثمانية :«لقد قضينا على تركيا التي لن تقوم لها قائمة بعد اليوم ، لأننا قضينا على قوتها المتمثلة في أمرين الإسلام والخلافة».

(٢) يقول توماس أدورد لورنس في كتابه «أعمدة الحكمة السبعة» : ص٤٧ ــ ٤٨ عن فيصل : «وما كان نظري يقع عليه حتى أيقنت أن هذا الشخص هو الشخص الذي جئت بلاد العرب لأبحث عنه وآمنت بأنه هو الزعيم الذي سيسير بالثورة العربية إلى هدفها المنشود».

الإمبراطورية الواسعة الأرجاء[1].

وممّا يذكره لورنس : لمّا دخل فيصل سوريا فاتحاً ، ضرب موعداً بينه وبين «الجنرال أللنبي[2]» ، ذهب فيصل إلى «أللنبي» ، برفقة لورنس[3].

فكان ممّا قاله لورنس عند لقاء الطرفين : «لقد قُدتُ الهلال إلى

---

(١) فقد قسموا الخلافة العثمانية وفق اتفاقية سايكس بيكو ، وتنص هذه الاتفاقية على تقاسم كل من إنجلترا وفرنسا وروسيا القيصرية تركة الخلافة العثمانية. وهذا الاتفاق كشف عنه الروس بعد إطاحتهم بالنظام القيصري ، يقول لورنس في كتابه أعمدة الحكمة السبعة ص٣٥٤ ـ ٣٥٥ ما نصه : «وقرأ جمال باشا بنوده السرية في حفل عام دعا إليه في بيروت ، وبذلك سبب الكثير من المتاعب ولو إلى حين في وجه بريطانيا وفرنسا اللتين أرادتا إخفاء نواياهما الحقيقية بشأن البلاد العربية عن العرب. ولحسن حظي أنني كنت قد كشفت لفيصل قبل هذا التاريخ عن وجود مثل تلك الاتفاقية ، وأقنعته بأن أفضل وسيلة لكسر مفعول الاتفاق هي تقديم عون فعال للإنجليز. عندئذ سيكون من الصعب عليهم بعد النصر التضحية بحليف السلاح من أجل تنفيذ اتفاق ورقي. ولكن بما أنني لم أكن واثقاً من حسن تصرف الإنجليز فقد رجوت فيصلاً ألاّ يعتمد كوالده على وعودنا».

(٢) الجنرال أللنبي : القائد العام للقوات البريطانية ، وكان هذا الشخص يموّل الشريف الحسين والد فيصل الأول مادياً وعسكرياً ضد الدولة العثمانية ، وكان فيصل تحت إمرته ، للمزيد راجع مذكرات لورنس ص٢١٦.

(٣) يقول لورنس في كتابه أعمدة الحكمة السبعة ص٤٠١ : «قيل لنا بأن القطار الذي يقل فيصلاً من درعا قد وصل إلى المحطة ، فكلفنا يوينغ بالذهاب إليه واستقباله باسمنا في المحطة. وبعد برهة من الوقت ووسط هتافات الجماهير المدوية ، وصل فيصل ليجتمع بالجنرال أللنبي لأول مرة وكلاهما في قمة النصر والمجد. وكانت مهمتي في هذا الاجتماع أن أقدِّم كليهما للآخر وأتولى عملية الترجمة بينهما».

الصليب بعد حرب دامت ألف سنة»[1].

والإشارة إلى الحروب الصليبية التي فتكت بالأمة الإسلامية ، والتي انتهت إلى انتصار الصليب على الهلال ، ذلك الانتصار الساحق ؛ وأي انتصار كان أعظم من انتصار الكفار على المسلمين ، انتصاراً فكرياً وعملياً ، ذلك الانتصار الذي هدَّم دنياهم ، وجعلهم يتركون دينهم ، وهذا ما يُعبَّر عنه بالاستعمار الفكري . وتتكرر المأساة اليوم مرّةً أخرى ومرّةً ثانية وثالثة .

فالمسلمون ؛ تراهم اليوم أكثر سرعة من الغرب في تمزيق الإسلام ، فهل كانوا مجبرين على وضع القوانين المخالفة للإسلام؟!

وهل كانوا مجبرين على إباحة الخمور وبيعها بصورة علنية في أسواق المسلمين؟!

وهل كانوا مجبرين على إباحة الربا في البنوك؟!

وهل كانوا مجبرين على أن يميز الواحد منهم الآخر ، هذا كردي ، وهذا عربي ، وهذا تركي ، وهذا فارسي؟!

لقد اتجهت حكوماتنا الإسلامية إلى الأمور الجزئية ، وتركت الأمور الرئيسية ، اتجهت الحكومة العثمانية إلى سياسة التتريك بدلاً من سياسة

---

(١) للمزيد من التفصيل عن انهيار الدولة العثمانية راجع كتاب «أعمدة الحكمة السبعة» للمؤلف توماس أدورد لورنس.

نشر الوعي الديني .

وأخذ الولاة المسلمون ، يحتقرون المسلمين من غير الترك ، كما أخذوا يُضيِّقون الخناق على الشيعة في العراق[1] وغير العراق ، ولذا وجدنا الجميع ، قد ثاروا ضد الخلافة العثمانية ؛ لأنَّها كانت حجر عثرة أمام تقدّم المسلمين في عصر كانت فيه كل الشعوب تتسابق نحو التقدم .

وبسبب هذه السياسة الهوجاء ، قامت الشعوب بالثورة على الخلافة العثمانية ، وقد تصدّى العثمانيون للثوّار بشكلٍ قاسٍ فنصبوا المشانق ، وساقوا الناس إليها .

فكل من اطّلع على حياة «بالدز» في تركيا ، ومجازر جمال باشا السفاح في لبنان وسوريا ، ومجازر حمزة بك في العراق ، يدرك حجم ذلك ؛ حيث إنهم قتلوا ونكّلوا وعذّبوا الأبرياء وسجنوا الصالحين

---

(١) يقول الباحث حسن الأمين في كتابه مظاهرات وثورات وحروب عربية ص٦٤ :
«فليس في تاريخ الدولة العثمانية ما يشعر بأنه كان للشيعة فيها نصيب ابتداءً من منصب الوزير وانتهاءً بمنصب مدير الناحية ومروراً بمنصب الوالي ومنصب المتصرف ومنصب القائمقام».
ويضيف في نفس الصفحة : «وكان «مجلس المبعوثان» كلُّه من السنة ، ما عدا واحد من كربلاء ، ولم يكن من أعضائه من شيعة العراق».
وفي مكان آخر يقول : «وحرموا الشيعة من مجلس الأعيان».
ويقول في ص٦٥ : «وممّا عاناه الشيعة في الدولة العثمانية عدم الاعتراف بمذهبهم فكان المفروض عليهم أن يتحاكموا ويحكم عليهم بما يراه قضاة المذهب الحنفي».

وصادروا أموال الناس .

وكان الأمر يزداد سوءاً على سوء ، وقد اغتنم الغرب والشرق تلك الفُرصة الذهبية للانقضاض على الخلافة العثمانية ، وتمكّن الغربيون من تحطيم هذا الكيان خلال بضع سنوات بينما استغرق بناؤه أكثر من خمسة قرون .

ويعود السبب في ذلك إلى التفرقة ، وصدق الله ﷻ حيث يقول : ﴿وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[1] و﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً﴾[2] .

كانت سوريا الكبرى جزءاً من الخلافة العثمانية ، وكانت تضم كلاً من لبنان وفلسطين والإسكندرونة وسوريا والأردن ، فكل هذه الدول كانت تشكل بلداً واحداً ، ولمّا جاء المستعمرون في الحرب العالمية الأولى[3] ،

---

(١) سورة الأنفال : الآية ٤٦ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٢٢ .

(٣) الحرب العالمية الأولى ، اندلعت سنة ١٩١٤م بين ألمانيا والنمسا والمجر من جانب ، وفرنسا وإنجلترا وبلجيكيا واليابان وأمريكا من جانب آخر ، وانتهت في سنة ١٩١٨م. وبلغت تكاليفها ١٩٠ مليار دولار ، وقد قتل فيها تسعة عشر مليون إنسان. ومن الأسباب غير المباشرة لهذه الحرب نمو النزعة القومية في أوربا ووجود الصراع السياسي والاقتصادي بين الدول إضافة الى التكتل الدولي ، ومن الأسباب المباشرة إعلان النمسا الحرب على صربيا سنة ١٣٣٢هـ (١٩١٤م) وإعلان ألمانيا الحرب على روسيا ثم فرنسا ، وانتهت الحرب بعقد معاهدة فرساي سنة ١٣٣٧هـ (١٩١٩م).

قسّموا هذه البلاد ، فأعطوا لبنان للمسيحيين ، وفلسطين لليهود ، والإسكندرونة للأتراك ، وجعلوا سوريا والأردن دولتين مستقلتين ، ولكل دولة حُماة ، وقادة ، ودُعاة ، وعندما أعلنت عصبة الأمم(١) عن حق الشعوب في تقرير مصيرها ، تشكل وفدٌ من هذه البلاد وذهب إلى عصبة الأمم لتقرير مصير شعوبها وإرجاع بلادها واحدة كما كانت .

---

(١) منظمة دولية شكّلها الحلفاء الذين كسبوا الحرب العالمية الأولى وهم: أمريكا وفرنسا وبريطانيا وإيطاليا واليابان سنة ١٩٢٠م بموجب ميثاق؛ شكل جزءاً من معاهدة فرساي والتي كانت مهمتها تنظيم الأوضاع الدولية بعد الحرب ، ويتكون برنامج عصبة الأمم من مقدمة وست وعشرين مادة ، ويتألف أعضاؤها بالإضافة إلى الحلفاء والدول التي أستشيرت عند مناقشة النصوص والبالغ عددها ١٣ دولة ودولٍ أخرى ينتمون إليها بموافقة ثلثي الأعضاء ، وتتكون العصبة من ثلاث هيئات: أ. الجمعية العامة ب. مجلس وأمانة دائمة. جـ. هيئة قضائية دولية للفصل بين المنازعات الدولية القانونية تعرف بمحكمة العدل الدولية. وقد كرّست هذه العصبة هيمنة مؤسسيها على الدول الأخرى وغرست فيهم روح التبعية للغرب ، إضافة إلى عدم تحمل مؤسسيها لمسؤولياتهم والتزاماتهم تجاه الشعوب. راجع موسوعة السياسة: ج٤ ص١١٢ د. عبد الوهاب الكيالي.

# ألف سنة لتفريق المسلمين

وكان من جملة الوفد شخصٌ مسيحي اسمه بطرس ، يقول هذا الرجل : «فجئنا ، وذهبنا ، ولقينا من لقينا ، وتكلّمنا . ولكن كانت النتيجة التسويف ، والمماطلة ، والوعود ، والكلام المعسول ، - كما هو الحال الآن حول فلسطين -» .

قال بطرس : وفي ذات يوم ، استدعاني أحد زعماء الغرب ، والذي بيده زمام الأمور ، وقال لي بالحرف الواحد : «عزيزي بطرس ، أنت لماذا؟ قلت : ولِمَ ؟ ، قال : إنّا تعبنا ألف سنة منذ الحروب الصليبية كي نفرِّق هؤلاء المسلمين[1] ، والآن تمكّنا من ذلك ، فالمسلمون إذا كانوا

---

(١) هناك وثيقة للملك فرنسا ، لويس التاسع ، وهي محفوظة في دار الوثائق القومية في باريس ، وتنص على عدة بنود لتفريق المسلمين ، منها :

١. إشاعة الفرقة بين قادة المسلمين ، وإذا حدثت فليعمل على توسيع شقتها ما أمكن حتى يكون هذا الخلاف عاملاً في إضعاف المسلمين.

٢. عدم تمكين البلاد الإسلامية والعربية أن يقوم فيها حكم صالح.

٣. إفساد أنظمة الحكم في البلاد الإسلامية بالرشوة والفساد والنساء حتى تنفصل

يطلبون الوحدة ، كان لهم الحق في ذلك ، أما أنت المسيحي ، لماذا جئت معهم[1]؟!

---

القاعدة عن القمة.

٤. الحيلولة دون قيام جيش مؤمن بحق وطنه عليه ، يضحي في سبيل مبادئه.

٥. العمل على الحيلولة دون قيام وحدة في المنطقة.

٦. العمل على قيام دولة غريبة في المنطقة العربية ، تمتد ما بين غزة جنوباً وأنطاكيا شمالاً ، ثم تتجه شرقاً وتمتد حتى تصل إلى الغرب.

راجع الصياغة الجديدة: ص٥٧٧ للإمام المؤلف ﷺ.

(١) يقول مورو بيرجر في كتابه العالم العربي المعاصر: «إن الخوف من العرب واهتمامنا بالأمة العربية ليس ناتجاً عن وجود البترول بغزارة عند العرب ، بل بسبب الإسلام ، يجب محاربة الإسلام للحيلولة دون وحدة العرب التي تؤدي إلى قوة العرب ، لأن قوة العرب تتصاحب دائماً مع قوة الإسلام وعزته وانتشاره ، إن الإسلام يفزعنا عندما نراه ينتشر بيسر في القارة الإفريقية».

ويقول أبو جين روستو ، رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الإمريكية ومساعد وزير الخارجية الإمريكية ومستشار الرئيس جونسن لشؤون الشرق الأوسط حتى عام ١٩٦٧م ما يلي: «يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين الدول أو الشعوب بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية ، لقد كان الصراع محتدماً ما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصور مختلفة ، ومنذ قرن ونصف ، خضع الإسلام لسيطرة الغرب ، وخضع التراث الإسلامي للتراث المسيحي. راجع الصياغة الجديدة : ص٥٧٠وص٥٧٥ للمؤلف ﷺ.

# أغرقوهم بالفرقة

قال أحد الزعماء الصليبيين لأعوانه بالنسبة للمسلمين : «أغرقوهم بالفُرقة» ، وكان الأمر كما قال ؛ حيث انتشرت التفرقة في بلاد المسلمين بكافة صنوفها وأشكالها :

١ـ التفرقة في العنصرية .

٢ـ التفرقة في الإقليمية .

٣ـ التفرقة في لون البشرة .

٤ـ التفرقة في القُطر .

٥ـ التفرقة في البلد .

٦ـ التفرقة بين المالك والفلاح والعامل .

٧ـ التفرقة بين السياسة والدين .

٨ـ التفرقة بين الأقوام والأعراق .

٩ـ التفرقة بين أبناء المحلة وأبناء المحلة الأخرى .

١٠ـ التفرقة بين الحكومة والشعب .

١١ـ التفرقة بين هذه الفئة وتلك ، وبين هذا الحزب وذاك .

# شعار عدم التفرقة

من يريد العمل من أجل إنقاذ بلاد المسلمين من براثن الغرب ، عليه أولاً وقبل كل شيءٍ أن يرفع شعار عدم التفرقة ، فإنَّ رسول الله ﷺ انتصر عندما رفع هذا الشعار وطبّقه على واقعه ، فقد جمع بين بلال الحبشي ، وسلمان الفارسي ، وصهيب الرومي ، وأبي ذر العربي ، فلا فرق في الإسلام بين اللون والجنس واللغة .

كما كان المدني ، والمكي ، واليمني ، والبحراني بمنزلة واحدة ، وهكذا كانت جميع الشعوب والطوائف منصهرة في بوتقة واحدة تحت لواء «الناس سواسية»[1] ، و﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[2] .

ولو كان رسول الله ﷺ يفعل ما يفعله المسلمون اليوم ، لما كان قد بقي من الإسلام شيءٌ ، ولم يحقق الانتصار الكبير على دول الشرق والغرب ، لقد أصبح حالنا ونحن نختلف لأبسط الأمور ، نختلف حول

---

(١) إشارة إلى الحديث الوارد : (الناس كأسنان المشط سواء) من لا يحضره الفقيه :ج٤ ص٣٧٩ ب٢ ح٥٧٩٨ .

(٢) سورة الحجرات : الآية ١٣ .

هلال شهر رمضان ، وهلال شهر شوال ، وهلال شهر ذي الحجة ، مع أن الشهر يثبت برؤية الهلال؟ وطالما للرؤية ميزان ومعيار ، فلماذا هذا الاختلاف؟!.

إنّ منشأ جميع هذه الاختلافات ـ غالباً ـ هو الهوى[1].

قلت : «غالباً» ، لأنه نادراً ما يكون الاختلاف حسب الاجتهاد

ثم إنّ ثقة الشهود لا تعتبر عند بعض طوائف المسلمين ، بالإضافة إلى ذلك يمنحون جائزة لمن رأى الهلال ، وماذا ستكون النتيجة؟ طبعاً عيداً سعيداً في كل عيد ، عيداً بلا اختلاف ، وصوماً بلا اختلاف

## عدم رعاية الموازين

ذات مرّة حكم القاضي بهلال شهر شوال ، ولما استفسر عن الشهود ، قيل : إنّ شاهداً واحداً شهد الهلال ، فذهب جمعٌ إلى ذلك الشاهد وسألوه : هل أنت رأيت الهلال؟ ، قال : نعم.

فأقسموا عليه بدينه ومذهبه إن هو شاهد الهلال.

قال : لم أر الهلال؟.

فقالوا له : ولِمَ قلت ذلك؟.

---

(١) ومن أمثلة ذلك : ذات مرة حكم أحد العلماء بالهلال ، وعالم آخر شهد عنده ثمانية عشر شخصاً ، ولم يحكم بالهلال ؛ وقد كان هذا العالم قد حكم بالهلال في العام السابق لرؤية سبعة أشخاص من نفس هؤلاء الشهود.

قال : رأيت أنّ أمة محمد قد هلكت من الصوم ، فقلت : أفرّج عنهم قليلاً .

إن مثل هذا الرجل مثل ذلك الجاهل الذي سرق خبزاً ورماناً ، ثم تصدق بهما ، ولما سُئل عن ذلك؟ قال : السرقة سيئة واحدة ، والتصدّق بعشر حسنات ، وإذا طرحنا السيئة الواحدة عنها ، بقيت لي تسع حسنات .

إنَّ الاختلاف حول الهلال ، ينشأ غالباً من عدم الخوف من الله عَزَّوَجَلَّ ، ومن عدم رعاية الموازين الإسلامية في الشهادة

إني لا أقول بتوحيد بلاد المسلمين في أول الشهر ، فإنَّ استظهاري الفقهي على خلاف ذلك ، كما ذكرناه في الفقه[1] ، فحال الصيام حال الصلاة في اختلاف الأفق ، وإنّما أقول : لماذا الاختلاف في قطرٍ واحدٍ وبلدٍ واحدٍ؟

أليس هذا الأمر يُوجب الأسف الشديد ، وكثيراً ما يصبح النزاع على شيءٍ وهمي .

---

(١) راجع موسوعة الفقه : ج٣٦ ص١٩٢ . ٢٠١ كتاب الصوم ، بحث ثبوت الهلال في بلد دون بلد .

# لك وحدك الربح

ومن الحكايات التي مرّت علينا في حياتنا ، ذات مرّة كنا مُسافرين من بلدٍ إلى بلدٍ آخر وكان للسيارة دلاّلان ، قد جمعا أجرة الركاب ، وكل واحد منهما توهّم أن الآخر هو الذي فاز بحصة الأسد ثمناً للدلالة ، فتنازعا داخل السيارة ونحن سائرون حتى وصل الأمر إلى الضرب ، وتوسط الركاب بينهما ، وأقنعوهم بالحل الوسط ، وهو أن ننزل في أول محل استراحة ، ويكون الربح بينهما بالتناصف ، قبل كل واحدٍ من الدلالين هذا الحل على مضض ، ونزلنا في أول موقف لحل المشكلة ، وبعد أنْ أجرينا الحساب تبيّن أن الربح لا يزيد عن أربعة فلوس عراقية فقط ، وكانت الأجرة المقررة لكل راكب في ذلك الوقت في العهد الملكي هي عشرون فلساً

أُغرق الجميع في الضحك لهذه النتيجة ، أما الدّلالان وبعد أن شرب كل واحد منها جرعة كبيرة من الخجل ، قال للآخر : لك وحدك الربح ، أنا لا أريده .

# سوء الظن بالآخرين

ويذكر في التاريخ أنّ فقيرين أحدهما أعمى والآخر بصير ، كانا يستعطيان ، فقدّم لهم أحد الخيّرين سلّة من العنب ، فأخذ الأعمى يأكل حبّة حبّة ، ثم أخذ يُسرع في التهام السلّة حبّتين حبّتين ، ثم أخذ يلتهم العنقود مرّة واحدة ، ثم أخذ السلّة بعده وقال لزميله : ما لك قد أكلت كلّ العنب ، وقد حرمتني منه؟ والحال أن صديقه المُبصر لم يأكل بعد ولا حبّة واحدة .

**أقول** : إنّ أغلب المنازعات التي تقع بين الأفراد هي من هذا القبيل ، فإمّا أن يكون النزاع على شيء تافه جداً أو على لا شيء .

# إنّ بعض الظن إثم

شاهدتُ في حياتي الكثير من هذه المنازعات ، فذات مرّة حضرت مجلساً لأحد الخطباء ، وشاهدت الحاضرين ، وكأنّهم لا يعرفون اللغة الفارسية ، وكان الخطيب يُلقي خطبته باللغة الفارسية .

وبعد ليلة حضرت مجلس خطيب ثانٍ ، وكان الحاضرون كلهم من الشباب ، ولا يعرفون إلاّ العربية ، والخطيبُ يُلقي عليهم باللغة العربية .

وبعد انتهائه من الخطاب اشتكى لي الخطيب أن زميله قد سحب أهل مجلسه ، فقلت له : من حسن الصدف أني كنت حاضراً مجلس زميلك الليلة البارحة ، وكان الأمر خلاف ما تقول ، وبعد توضيح من قبلي ، قبل هذا الكلام على مضض .

# الخبر الكاذب

وهنا تذكرت قصة من اصطدمت سيارته ، فأشيع أنّه قد مات ، وأقام بعض أصدقائه مجلس الفاتحة إلى روحه ، وينقل لي القصة نفس الميت المزعوم . وهو حالياً حيٌّ يُرزق .

قال : دخلتُ مجلس فاتحتي وأنا أعلم لمن الفاتحة ، وإذا بالجميع يندهشون ، ويتفاجؤون بميتهم يرونه حياً ، وأخذ الجميع يسألونني : ألست متّ في حادث السيارة؟ ، قلتُ : كلا ، وإني الآن حيٌّ والحمد لله .

قال أحدهم : عجيب ، لقد نقل لي شخص أثق به أنك قد متَّ .

# اختلاف في محل اختفائي

لظروف أمنية ، اختفيت فترةً من الزمن في عهد الاستبداد البعثي في العراق .الذي جاء بقطار أنجلوأمريكي[1] وكنت خلال فترة اختفائي على

---

(١) من المناسب أن نلفت نظر القارئ الكريم إلى الخطة التي سلكتها أمريكا للسيطرة على العراق ، ففي أواسط الثلاثينات من القرن الماضي طلبت الحكومة الأمريكية من وزارة الخارجية إعداد مشروع لدخول منطقة الخليج ، فأوعزت وزارة الخارجية إلى مراكز الدراسات أن تقدم ما لديها في هذا الصدد بفترة زمنية لا تتجاوز السنتين. واختارت الحكومة إحدى الدراسات بعد أن شذّبتها وأضافت إليها ، والتي تنص على أن العراق هو بوابة الخليج. ومنذ تلك الفترة قامت الحكومة الأمريكية بالنفوذ في العراق عبر تقوية علاقاتها مع بعض المسؤولين في العهد الملكي ومع بعض التجار. وبالفعل فقد تحقق حلم الأمريكان بعد تنصيب حزب البعث في العراق سنة ١٩٦٨م الذي جاء بقطار إنجلو أمريكي على حدّ تعبير أمين سرِّ القيادة القطرية ووزير الداخلية ونائب رئيس الوزراء علي صالح السعدي في نهاية الستينات ، وعلى حدٍّ تعبير عضو مجلس قيادة الثورة ورئيس أركان الجيش وقائد سلاح الطيران حردان التكريتي في مذكراته. وكما ذكر ذلك زبير سلطان قدّوري في كتابه : «بغداد على خط الصفر» ، ثم تحقق حلم الأمريكان باحتلال العراق مباشرة عبر القضاء على صنيعتهم طاغية العراق صدام التكريتي في ٩/٤/٢٠٠٣م.

اتصال دائم بالمجتمع عبر الأقرباء والأصدقاء الخاصّين[1].

وقد راحت حول اختفائي تسعة أقوال : قسم قالوا : إنني في كربلاء المقدسة في محلة حي الحسين ، وقسم قالوا : إنني في قرية الجرية القريبة من كربلاء في إحدى البساتين ، وقسم قالوا : إنني في النجف الأشرف ، وقسم قالوا : إنني في بغداد ، وقسم قالوا : إنني في الكاظمية ، وقسم قالوا : إنني في الكويت ، وقسم قالوا : إنني في سوريا ، وقسم قالوا : إنني في لبنان ، وقسم قالوا : إنني في إيران .

وكان بعض الناقلين لهذه الروايات ، يقولون : إنهم رأوني في

---

(١) وكان ذلك في شهر ربيع الأول سنة ١٣٨٩هـ واستمر إلى شهر شعبان من نفس السنة ، وفي هذه الفترة سعى ﷺ حثيثاً لإطلاق سراح أخيه السيد حسن الذي اغتالته المخابرات العراقية سنة ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) ، وكان برنامجه في هذه الفترة يتجسد في عدة نقاط كما ذكر ذلك في كتاب كفاحي:

أولاً : تربية النفس بالطاعة والعبادة والزهد والاستغناء عمّا سوى الله.

ثانياً : الاستطلاع على الأوضاع العالمية من طريق أجهزة الإعلام.

ثالثاً : التفكير في طرق إنقاذ المسلمين ، وفي هذه الفترة تكونت الخطوط والمناهج لهذه المهمة.

رابعاً : التأليف ، وقد ألّفت فيها ثلاثين كتاباً : اثنان في التفسير - تبيين القرآن وتوضيح القرآن..

وفي هذه الفترة قامت الحكومة باعتقال خمسين شخصاً من أصدقاء الإمام الراحل ﷺ من علماء وخطباء ومدرسين ووجهاء أمثال: الخطيب الشيخ عبد الزهراء الكعبي ، والشيخ حمزة الزبيدي ، والسيد سعيد زيني.

المكان المعين .

وكل هذه الأقوال لا أساس لها من الصحة إطلاقاً ، فإني لم أمرّ على تلك المناطق التي ذكروها حتى مرور الكرام ، فكيف البقاء فيها؟ ! .

# التجربة أكبر برهان

إنَّ الأخبار التي تتناقلها الألسن لا تتطابق مع الحقيقة مائة بالمائة ، فهناك إضافات على كل خبر ، يضيفها الشخص الناقل ، بناءً على حالته النفسية والاجتماعية ، ويمكن أن نجرّب ذلك في أية حادثة تقع ، من موتٍ ، أو عرس ، أو دهسٍ ، أو ما شابه ذلك ، فلو كان خمسة أشخاص ، شاهدوا الحادث ، لكان لكل واحد من هؤلاء الخمسة رواية خاصة به ، تختلف عن رواية الشخص الآخر.

ولو أردت أن تجرِّب هذه القضية بصورة عملية ، اهمس في أذن شخص كلاماً معيناً ، واطلب منه أن ينقل هذا الكلام همساً في أذن شخص ثانٍ ، ثم الثاني ينقل للثالث ، ثم الثالث ينقل للرابع ، ثم الرابع ينقل للخامس ، ثم إسأل الشخص الخامس ماذا وصل إليك عن ذلك. فحتماً سينقل شيئاً غير الذي همست في أذن الأول ، إما يُنقص من الكلام أو يُضيف عليه.

وهذا هو السر وراء هذا الاختلاف الذي نشاهده في أرقام التاريخ وفي حوادث الحياة.

حتى نجد هذا الاختلاف في تاريخ مواليد ووفيات الأئمّة عليهم السلام ، مما هو ليس محل الكلام الآن .

والمقصود : أنه كثيراً ما يكون سبب النزاع والاختلاف ، سوء الظن والأخبار الكاذبة عن عمدٍ أو اشتباه ، فاللازم على الإنسان أن يُحقق ولا يبني عمله على شفا جُرفٍ هارٍ فانهار به في نار الفُرقة والاختلاف ، الأمر الذي يحرق أولاً من أساء الظنّ ثم يحرق غيره . قال الله تعالى : ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[1] .

وفي آية أخرى : ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ﴾[2] .

---

(١) سورة الحجرات : الآية ١٢.

(٢) سورة فصلت : الآية ٢٣.

# نازع الأسد دون الهرّة

أحد الحكماء أوصى ولده قائلاً له : لا تُنازع أحداً ، وإن نازعت ، فاحفظ هذه الحكمة : «لا تُنازع هراً بل نازع الأسد» ، معللاً ذلك : أنك إن نازعت الهرة سواء غَلبت أو غُلبت ، فأنت مغلوبٌ لا محالة ، أما إذا غَلبت قال الناس : ألا يخجل فيُنازع الهرّة؟ ، وأما إذا غُلبت فأنت مغلوبٌ ومهان.

أمّا إذا نازعت الأسد ، فإنك غالبٌ سواءٌ غَلبت أو غُلبت ، قال الناس : إنه عظيم حيث يستعدُّ لمنازعة الأسد.

# لا طاقة لي بالنزاع

تنازع إثنان في أمرٍ من الأمور ، ثم أنهى أحدهما النزاع ، بينما كان الآخر يستمر في النزاع ، قيل للذي أنهى النزاع : لماذا أنهيت؟ ، قال : لأني عرفتُ أني لا أطيقُه ، فإنّ طاقتي في الخصام نصف طاقته ، قلتُ في نفسي : مادام الأمر كذلك لماذا أصرف طاقتي عبثاً .

**أقول** : إنّ الإنسان يجب أن يتنكب النزاع بكل قواه الضابطة ، وإذا اضطر اضطراراً شرعياً ، عليه رعاية هذه الأمور المهمة :

١ـ لا يخرجه سخطه عن طاعة الله جل وعلا .

٢ـ قيل لأحد المعصومين عليهم السلام : وما الحيلة؟ ، قال عليه السلام : **(ترك الحيلة)**[1] .

---

(١) بحار الأنوار: ج٣٥ ص٣٨٣ ب١٨ ح١٢. وإليك نص الحديث كما عن علي عليه السلام أنه ناجى رسول الله صلى الله عليه وآله عشر مرات بعشر كلمات قدمها عشر صدقات ، فسأل في الأولى : ما الوفاء ؟ قال: التوحيد شهادة أن لا إله إلا الله ، ثم قال: وما الفساد ؟ قال: الكفر والشرك بالله عز وجل ، قال: وما الحق ؟ قال: الإسلام والقرآن والولاية إذا انتهت إليك ، قال: وما الحيلة ؟ قال: ترك الحيلة. قال: وما عليَّ ؟ قال: طاعة

٣ـ أن لا ينازع هراً بل يُنازع الأسد ، فالذي يُنازع من هو دونه لا فخر له .

٤ـ إذا شاهد أن خصمه أقوى منه في النزاع ، فالأفضل أن يُلقي سلاحه .

## موازين النزاع

أمّا مقام «الجهاد» ، و«مقام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» ، ومقام «التضحية المشروعة» ، فهي نزاعات لها موازينها الخاصة المذكورة في الكتب الفقهية ، وليس كلامنا هنا في مثل هذه النزاعات بل في النزاعات العُرفية المنتشرة في كل مكان وكل زمان .

ويجب على الإنسان أن يعلم أن لكل قصة زوايا متعددة ، فاللازم عليه أن يتجنَّب الزوايا الحادّة ، فالزوايا الحادّة تُحرج الإنسان ، وقد تكون الزاوية الحادّة في كلمة ، وقد تتجلّى في حركة ، وقد تظهر في إشارة صغيرة ، أو في بسمة عريضة من الشفاه ، أو في جواب على سؤال .

---

الله وطاعة رسوله. قال: وكيف أدعو الله تعالى ؟ قال: بالصدق واليقين. قال: وما أسأل الله تعالى ؟ قال: العافية. قال: وماذا أصنع لنجاة نفسي ؟ قال: كل حلالاً وقل صدقاً. قال: وما السرور ؟ قال: الجنة. قال: وما الراحة ؟ قال: لقاء الله تعالى.

# الابتعاد عن المحذور

يُذكر عن المرحوم الشيخ محمد تقي الشيرازي ﷺ ، قائد ثورة العشرين في العراق أنه قلّما كان يُجيب على سؤال ؛ إذا كان يرى محذوراً في ذلك ، بل كان يرى اللازم على الإنسان العاقل ألاّ يسأل سؤالاً قد يكون في جوابه المحذور ، ولذا قال ﷻ : ﴿لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[1] .

ويقول الشاعر الفارسي :

لماذا يفعل العاقل عملاً يُوجب الندم فقد ندمت زليخا أشدّ الندم على سجن يوسف[2] .

---

(١) سورة المائدة : الآية ١٠١ .

(٢) وأصل البيت الشعري باللغة الفارسية :

جرا عاقل كند كاري كه باز آرد بشيماني

زليخا مرد زين حسرت كه يوسف كشت زنداني

# تحمُّل الآخرين

منذ عهدٍ طويل ، كنت عضواً في لجنة تقوم بالإجابة على الأسئلة التي ترد إلى إحدى المجلاّت ، وقد وُجّه إليّ سؤال ، وقمتُ بالإجابة عليه ، إلاّ أن هذا الجواب لم يُقنع أحد الإخوة الذي لا علاقة له بالمجلّة ، فأخذ يهاجم جوابي على السؤال ، ويهاجم المجلّة أيضاً ، أمّا أعضاء اللجنة ، فأخذوا يُدافعون عن الإجابة ، لكن ذلك الصديق أصرَّ على رأيه ، فقلتُ له : حسناً تفضلوا أنتم ، وأجيبوا على الأسئلة ، ونحن نقوم بوضع جوابك محل جوابي في المجلة التي لم تزل في مرحلة الإعداد ولم تُطبع بعد .

أخذ صاحبنا القلم بيده وأخذ يُفكر ملياً ثم قال : أنا الآن مشغول الفكر ، ولا أستطيع الإجابة على السؤال ، وهكذا انسحب من الميدان .

# لا تخسر أصدقاءك

واتفق مرّة أنْ كان لي صديق ، كنت أحافظ على صداقته رغم رفض الأصدقاء الآخرين له ،بل ممارستهم الضغط عليّ بأن أتركه ، وبعد مدّة قليلة ، حدثت لنا مشكلة ، فقلتُ : من يستطيع حلّها؟

من يتمكن أن يذهب إلى الموظف الحكومي ويطلب منه حل المشكلة؟ .

الجميع لم ينبسوا ببنت شفة ، فقلت لهم : إنّ صديقنا الذي طلبتم مني تركه ، هو القادر على لعب هذا الدور ، وبالفعل أنجز المهمة التي وكلت إليه .

وكان لنا صديق آخر لا يرغب فيه بقيّة الأصدقاء ، وكانوا يتمنّون أن أتركه أو أطرده أو أبعده عني ، وكنت أفعل العكس ، وصادف أن جاء أهل قرية في شهر رمضان ، وكانوا يريدون خطيباً ، فأحجم الجميع عن الذهاب إلاّ هذا الصديق الذي وافق على المقترح سريعاً ، وذهب إلى القرية ونجح فيها .

فقلت لهم : إذا كنّا قد طردناه ، ماذا كانت النتيجة !! .

وهناك الكثير من القصص المشابهة التي اتفقت لي ، وللقارئ طبعاً

قصصاً مشابهة أيضاً ، وكلها تُشير إلى حقيقة واحدة هي : أن فائدة توحيد الصف ، والصبر على نقاط الضعف ، خيرٌ من التفرقة ، والتشتُّت ، والناس الذين لا يتحملون المسؤولية ، تجذبهم السلبيات أكثر من الإيجابيات .

أمّا الذين هم أهلٌ للمسؤولية ، فهؤلاء إيجابيون دائماً في الحياة ، وكان على أصحاب المسؤولية إقناع من لا مسؤولية عنده أن يتوقف عن ممارسة السلبيّات حتى يعم الخير أرجاء الكون ، ويخف وطء الشر والأشرار .

# وحدة الوعي

وممّا يوجب توحيد الصف ، توحيد الوعي الموجب لتوحيد الاندفاع ، فإنّ الوعي كالجوع الذي يجمع الناس حول الخباز في وقت الظهيرة لشراء الخبز بدون مقدمات وتوحيد الوعي شيءٌ صعب ، لذا تضع له الدول ميزانية وموظفين ، وتُخطط له تخطيطاً واسعاً .

وتوحيد الوعي الإسلامي في البلاد الإسلامية وغيرها بحاجة إلى مقومات كثيرة ، منها نشر المفاهيم الإسلامية في الأصول والفروع ، ومن أساليب نشر المفاهيم أسلوب الكتابة ، ونشر الكتاب .

وأرى أننا بحاجة إلى ما يلي :

١ ـ تحقيق وطباعة الكتب المخطوطة الموجودة في المكتبات والبيوت ، فهناك عشرات الألوف من الكتب المخطوطة التي لم تُطبع بعد ، وتعتبر هذه المخطوطات تراثاً حضارياً ، لابُد من الاهتمام به .

فمثلاً للشيخ عبد الله الأفندي كتاب «العوالم» في مائة مجلد .

وللشيخ الكاظمي كتاب «الهداية» في زهاء مائة مجلد .

وللشيخ البرغاني كتاب في «التفسير» زهاء مائة مجلد ، هذا إذا طبعت

هذه الكتب على أسلوب البحار طبعة حديثة ، وهكذا وهلُمّ جرّا .

٢ـ طبع الكُتب المطبوعة بإخراج جديد في التبويب والشرح والتعليق ، فمثلاً بحار الأنوار بحاجة إلى شرح تفصيلي حتى تظهر قيمة الكتاب ، فالمجلسي رحمه الله ، قام بشرح الآيات والأحاديث على أسلوب وعلى علوم عصره ، سواء في الأصول أو الفروع ، أو الفلك ، أو التشريح ، أو علم الاجتماع ، أو الطب ، أو علوم الكون أو غيرها ، وقد تغيّر كثير من هذه العلوم ، كما تغير مصدر النور من الشمعة إلى الكهرباء ، وكما تغيرت وسائل النقل من الحمير إلى الطائرة ، فكلّيات الآيات والروايات تحتاج إلى التطبيقات الجديدة .

٣ـ تأليف وطبع عشرات الآلاف من الكتب المرتبطة بمختلف الشؤون الإسلامية السابقة والحاضرة ، فلكل زمان أسلوب وطريقة وإطار ، وإذا لم يكمل الأسلوب والهيكل ، لم يلائم الكتاب العصر ، مما يُوجب التفاف الناس حول ما يلائم العصر ، فإن واقع المعرفة يشبه واقع الموضة ، فالقماش نفسه ولكنه إذا فُصّل على موضة قديمة رُفض ، ولم يرغب فيه أحد .

٤ـ تأليف وطبع الكتب التي تسلط الضوء على أوضاع المسلمين في مختلف أنحاء العالم ، مثلاً : كم هو عدد المسلمين في العالم ، وأين يقطنون ، وما هي مقوماتهم الحضارية ، وما هي إمكاناتهم الاقتصادية والسياسية والثقافية ؟ .

وكم عندهم من أوقاف ومساجد ومزارات وحسينيات ونوادٍ ومكتبات ومدارس وجرائد ومجلات ومطابع و..

وما هي طريقتهم في التنظيم ، في تنظيم الجمعيات والهيئات والأحزاب ، وما هي مشاكلهم وكيف يمكن حلها؟

وربما يستغرب القارئ من هذا الكلام ، ويتساءل : هل هناك إمكانيات بشرية ومادية تكفي لمثل هذه المشاريع؟

الجواب : التكلم ليس على مستوى الأفراد والهيئات المحدودة الطاقات بل على مستوى الأمة ككل ، يقول الشاعر :

لو لا المشقة ساد الناس كلهم
الجود يفقر والإقدام قتّال

والكلام هنا ليس حول إنشاء جمعية خيرية أو فتح مدرسة أو تأسيس مؤسّسة بل الكلام يُصب باتجاه إنهاض الأمة ، ويبقى بعد ذلك أن نشرع في الأمر شروعاً جدّياً ، وما كان لله ينمو.

وإذا شرعنا في هذا المشروع من الآن ، فلعلّه لا يمرّ ربع قرن إلاّ وقد أنجز المشروع بإذن الله سبحانه.

# ظاهرة انتشار السفور

زارني عالم من إحدى البلاد الإسلامية ، وشكى إليّ وجود السفور والخلاعة في بلاده .

قلتُ له : منذ متى والسفور منتشرٌ في بلادكم؟ .

قال : منذُ نصف قرن .

قلتُ : وكم كتاباً نُشر ضد السفور بلسان يفهمُه الإنسان العصري؟

فكّر العالم قليلاً ، ثم قال : لعلّه زهاء عشْر كُتب كُتِبت في هذا الموضوع .

قلتُ : لنفرض أنَّ كل كتابٍ طُبع منه عشرة آلاف نسخة ، فالمجموع يصبح مائة ألف نسخة ولمدة خمسين سنة ، لأنّ بلدك نفوسه أكثر من ثلاثين مليوناً .

ثم واصلت الحديث : ولكن هل تعلم كم من الكتب والمجلات والجرائد قد طُبعت ونُشرت ضد الحجاب والعفّة ، وإذا أضفنا إلى نشر وسائل الأعلام الأخرى كالإذاعة والتلفزيون ، والمدارس التي تشجّع أيضاً على السفور لكان الخطب أشدّ وقعاً .

فإذا كانت الفتاة المسلمة تعيش في مثل هذه الأجواء التي تشجعها على السفور ، وليس هناك ما يمنعها أو يحذّرها من مخاطره فكيف نتوقع من الناس الانضواء تحت لواء الحجاب؟

يقول الشاعر :

نفسي وشيطاني ودنيا والهوى

كيف الخلاص وكلهم أعدائي

وليس كلامنا الآن في ظاهرة السفور والحجاب بل في إنهاض الأمة في مختلف جوانب حياتها ، فعملية النهوض بحاجة إلى مقومات كثيرة كما قال الشاعر :

إسلامنا لا يستقيم نظامه

بكلام شخصٍ في زوايا مسجد

فإذا وفّرنا هذه المقومات ، نهض الإسلام وإلاّ انتظر من يحصل على تلك المقومات ، وليس الأمر مستحيلاً بل قام الناس بأكثر من ذلك ، ألم تنهض الهند بعد استعمار دام ثلاثة قرون ، ألم تنهض الجزائر بعد استعمار دام قرناً كاملاً .

إنَّ الأمل كبير وكبير جداً بالنهوض إذا ما قررت الأمة ذلك واستعدت إليه بكافة طاقاتها الخلاّقة .

# الخاتمة

قبل أكثر من عشرين سنة كنت أكتب وأظن أني أملك سلَّة من الأقلام ، وكنتُ أعلم أني لا أملك غيرها ، ولذا كتبتُ في بعض مؤلفاتي ذلك . لكن الظروف تغيرت وعلمت بعد ذلك وعند انقلاب عبد الكريم قاسم في العراق ، أني لا أملك حتى قلم واحد .

وكما يقول الشاعر : **وهل يملك الموتور قائم سيفه**

ما يطالعه زائر هذا الكتاب ليس إلاّ رُبع ما ينبغي أن يُكتب ، فإنّ نصف الموضوع يحوم حول السياسة التي حرَّمناها على أنفسنا منذ أن فشت في المسلمين وبإيعاز من المستعمرين ، الكلمة القائلة : «دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله» .

وربع الموضوع الذي يتناوله هذا الكتاب يُثير الحساسيات بحيث يصبح ضرره أكثر من نفعه ، فلم يبق إلاّ الربع .

والربع المتبقي بالطبع لا ينفع كثيراً أو أن نفعه قليلٌ جداً .

فحال الربع هو حال ربع الإنسان فإذا أفاد ربع الإنسان : الذي اجتث ثلاثة أرباعه ، أفاد ربع الموضوع أيضاً .

إلاّ أني أكتب ما أستطيع عليه ، و﴿**لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾[1] .

و﴿**لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ مَا آتَاهَا**﴾[2] ، و(**الميسور لا يسقط بالمعسور**)[3] .

وليس تركي للأرباع الثلاثة جُبناً ، وإن كنت : «لا أُبَرِّئُ نَفْسِي»[4] ، وإنما لأنّ القسم المتروك تركته ، لأنّه إما ما لا يمكن أن يرى النور ، أو يثير الحساسيات ، فضرره أكثر من فائدته .

لذا آثرت تجاوزه لوقتٍ وظروفٍ أُخر إن شاء الله تعالى .

والمسؤول هو الله سبحانه ، نرجوه أن يوفّق الجميع لما فيه رضاه .

وأن يتقبّل هذا الجهد القليل بقبول حسن ، تأسياً منّا بزينب عليها السلام عندما رفعت جثة أخيها الحسين عليه السلام ، وقالت : (**اللّهم هذا قربان نبيك فَتَقَبَّلْهُ أحسن القبول**)[5] .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٨٦ .

(٢) سورة الطلاق : الآية ٧ .

(٣) بحار الأنوار : ج١٠٢ ص ١٦٨ «بيان» ط بيروت ، وفي غوالي اللآلي : ج٤ ص٥٨ ح ٢٠٥ : «لايترك الميسور بالمعسور» .

(٤) إشارة إلى سورة يوسف : الآية ٥٣ ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ .

(٥) نقل السيد المقرّم في كتابه مقتل الحسين : ص٣٩٦ ط قم : «فقلن النسوة : بالله عليكم إلاّ ما مررتم بنا على القتلى ، ولما نظرن إليهم مقطّعي الأوصال قد طعنتهم سمر الرماح ، ونهلت من دمائهم بيض الصفاح ، وطحنتهم الخيل بسنابكها ، صحن ولطمن الوجوه . وصاحت زينب : يا محمّداه ، هذا حسين بالعراء ، مرمّل بالدماء ، مقطع الأعضاء ، وبناتك سبايا وذريتك مقتلة ، فأبكت كلّ عدوّ وصديق حتى جرت دموع الخيل على حوافرها ، ثم بسطت يديها تحت بدنه المقدس ورفعته

وقد قال تعالى في كتابه : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[1] .

وقال أيضاً ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾[2] .

نرجو قبوله إنه هو الموفق وهو المستعان .

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۞ وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[3]

١٣٩٥هـ

محمد الشيرازي

---

نحو السماء ، وقالت : إلهي تقبّل منّا هذا القربان» .

(١) سورة المائدة : الآية ٢٧ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٣٧ .

(٣) سورة الصافات : الآيات ١٨٠ ـ ١٨٢ .

# المحتويات

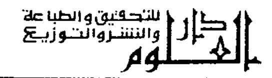
الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م

مؤسسة الوعي الإسلامي

للتحقيق والترجمة والطباعة والنشر

بيروت ـ لبنان




المكتبة : حارة حريك ـ بئر العبد ـ شارع السيد عباس الموسوي ـ الهاتف : ٠١/٥٤٥١٨٢ ـ ٠٣/٤٧٣٩١٩ ـ ص.ب : ١٣/٦٠٨٠

المستودع: حارة حريك ـ بئر العبد ـ مقابل البنك اللبناني الفرنسي ـ تلفاكس : ٠١/٥٤١٦٥٠

www.daraloloum.com E-mail : daraloloum@hotmail.com